



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَكْبَرَهُ

٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَكْبَرَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم المجلد ٢٢
١٤	اشاره
١٥	اشاره
٢٠	[تتمه القسم التاسع]
٢٠	الباب الثاني فتح مكة
٢٠	اشاره
٢٢	الفصل الأول: هكذا تحرك من مَرّ الظهران
٢٢	اشاره
٢٣	الإعلان بالأمان:
٢٤	هل هذا تشريف لأبي سفيان!؟
٢٧	إستجداء بعد الإستغناء:
٢٧	حفظ حرم الله تبارك و تعالي:
٢٨	وضوء و صلاه أبي سفيان:
٢٨	الدعاه الجدد إلى الإسلام:
٢٩	أبو سفيان يرصد كتائب الفتح:
٣١	كتائب الإسلام إلى مكة:
٤٢	العباس هو المشير أم أبو بكر!؟
٤٣	أهداف حضور العرض:
٤٤	أبو سفيان يصر على أن ما يراه (ملك):
٤٤	أعدرا يا بني هاشم!؟
٤٤	العدده و العدد:
٤٤	كتائب أم قبائل:
٤٨	من هؤلاء:

- ٤٨ خالد .. غلام!!:
- ٥٠ اللواء و الرايه:
- ٥١ الرايات السود:
- ٥٢ لقد عزّ عمر بعد قلبه و ذله:
- ٥٣ أبو سفيان يصّر على موقفه:
- ٥٣ و لكنه أمر حتم:
- ٥٨ بنو بكر أهل شؤم:
- ٥٩ موقف النبي صَلَّى الله عليه و آله من كلام سعد:
- ٦٠ يوم المرحمه و يوم عزّ قريش:
- ٦١ أخذ الرايه من سعد:
- ٦٢ سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكه:
- ٦٣ على عليه السلام صاحب اللواء:
- ٦٤ عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش:
- ٦٦ أبو سفيان يقبّل غرز رسول الله (صَلَّى الله عليه و آله):
- ٦٧ تأثير المرأه على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله!!:
- ٦٧ إحياءات لا تجدى شيئا:
- ٦٩ أسلم بنا:
- ٧١ الفصل الثاني: دخول مكه
- ٧١ اشاره
- ٧٢ أدوار مخترعه للعباس رحمه الله:
- ٧٤ خوف النبي صَلَّى الله عليه و آله على العباس:
- ٧٧ سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبه أخرى:
- ٨٠ كيف دخل النبي صَلَّى الله عليه و آله مكه!؟:
- ٨٦ النبي صَلَّى الله عليه و آله يقرأ سورة الفتح:
- ٨٧ الفتح جائزه المذنب:
- ٨٨ العيش عيش الآخره:

- ٨٩ تواضع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و تخشعه لربه:
- ٩١ رايه الزبير:
- ٩٢ الأمر لسعد، و الرايه لقيس:
- ٩٣ النساء يلطنن وجوه الخيل:
- ٩٣ كيفية الدخول و الخروج من مكة:
- ٩٧ الفصل الثالث: القتال في مكة
- ٩٧ اشاره
- ٩٨ خالد يقاتل في مكة!!:
- ١٠٦ من الخندمه إلى البحر:
- ١٠٨ أوقف الطلب:
- ١٠٨ كفوا السلاح إلا خزاعه:
- ١١٠ احصدوهم حصدا:
- ١١١ المهاجرون يظنون أن خالدا قوتل:
- ١١١ خالد لا يعصى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:
- ١١٢ كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد:
- ١١٢ قضاء الله خير:
- ١١٣ لم يسب صَلَّى الله عليه و آله لقريش ذريه:
- ١١٤ الأنصاري الخائن:
- ١١٧ أردت أمرا، و أراد الله غيره:
- ١١٨ نهى أن يقتل من خزاعه أحد:
- ١١٩ شعار النبي صَلَّى الله عليه و آله في فتح مكة:
- ١٢٣ يتضح بعض ما نريد الإلماح إليه كما يلي:
- ١٢٥ فتحت مكة عنوه لا صلحا:
- ١٢٧ إستدلالات و تأويلات:
- ١٣١ الشهداء من المسلمين:
- ١٣٢ لا غنائم في يوم الفتح:

- ١٣٤ قريش لا تقتل صبورا ولا تغزى:
- ١٣٦ لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء:
- ١٣٧ هذا ما وعدنى ربي:
- ١٤٢ الفصل الرابع: منزل الرسول صلى الله عليه وآله و جوار أم هانى
- ١٤٢ اشاره
- ١٤٣ أين نزل النبي صلى الله عليه وآله في مكة!؟:
- ١٤٥ هذا منزلنا يا جابر:
- ١٤٦ الحكمة في اختيار موضع النزول:
- ١٤٧ النبي صلى الله عليه وآله يصل الماضي بالحاضر:
- ١٤٨ أين نزل رسول الله صلى الله عليه وآله!؟:
- ١٤٨ إرث عقيل لأبي طالب دون علي وجعفر:
- ١٥١ الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلى الله عليه وآله:
- ١٥١ لا ينزل النبي صلى الله عليه وآله بيوت مكة:
- ١٥٢ النبي صلى الله عليه وآله لا يدخل دور مكة:
- ١٥٥ تكريم النبي صلى الله عليه وآله لأم هانى:
- ١٥٦ على عليه السلام و أم هانى:
- ١٦١ الأمان .. و الجوار:
- ١٦٣ من الذين أوتهم أم هانى!؟:
- ١٦٤ لقاء على عليه السلام بأم هانى:
- ١٦٥ خوف الجبناء:
- ١٦٥ لم تصرح أم هانى بما تطلب:
- ١٦٦ موقف الزهراء عليها السلام من أم هانى:
- ١٦٦ أم هانى لا تجير على رسول الله صلى الله عليه وآله:
- ١٦٧ ما مثلك يجهل الإسلام:
- ١٦٨ خوف المشركين من عمر:
- ١٦٨ رنه إبليس .. و حديث نائله و ..:

- الفصل الخامس: ما جرى لأبي قحافه ١٧٤
- اشاره ١٧٤
- إسلام أبي قحافه: ١٧٥
- الحديثان الأخيران: ١٧٩
- أبو بكر يريد طوق أخته: ١٨١
- أربعة أسلمواهم و أبأؤهم: ١٨٢
- إسلام أبوى أبى بكر: ١٨٣
- آيات فى بر أبى بكر بأبويه: ١٨٤
- أبو بكر يضرب أباه: ١٨٨
- أسلم تسلم: ١٩٠
- مفارقات لا علاج لها: ١٩١
- الأمانه اليوم قليل: ١٩١
- إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه: ١٩٢
- أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام: ١٩٢
- الفصل السادس: طواف النبى صلى الله عليه و آله و تحطيم الأصنام ١٩٦
- اشاره ١٩٦
- طواف النبى صلى الله عليه و آله بالبيت: ١٩٧
- تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام: ١٩٨
- إحالات على ما سبق: ٢٠١
- اشاره ٢٠١
- ألف: المسلمون يبتدرون وضوء رسول الله صلى الله عليه و آله: ٢٠١
- ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا: ٢٠٢
- ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه و آله: ٢٠٢
- د: المشركون فوق الجبال ينظرون: ٢٠٢
- تأسى عمر برسول الله صلى الله عليه و آله: ٢٠٣
- استلام الركن بالمحجن: ٢٠٦

- ٢٠٧ استلم الحجر ثم ركب راحلته:
- ٢٠٨ محاوله اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله:
- ٢١٠ أين كان مقام إبراهيم عليه السلام؟!
- ٢١١ لقد كدت تركن إليهم:
- ٢١٨ صنم لكل قبيله، و حتى، و بيت!!:
- ٢١٩ كف حصى يرمى به الرسول صلى الله عليه وآله:
- ٢٢١ على عليه السلام يكسر أصنام الكعبه:
- ٢٢٤ على عليه السلام يكسر الأصنام:
- ٢٢٦ تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح:
- ٢٢٧ لماذا التعرض للأصنام سرا؟!
- ٢٢٨ على عليه السلام ينوء بثقل النبوه:
- ٢٣٠ هل خيل إلى على عليه السلام؟!
- ٢٣٠ تعمل للحق، و أحمل للحق:
- ٢٣١ لماذا لم يباشر النبي صلى الله عليه وآله تحطيم الأصنام؟!
- ٢٣٢ لو نزع دلوا من زمزم:
- ٢٣٣ النداء بتكسير الأصنام فى البيوت:
- ٢٣٤ عكرمه يكسر الأصنام:
- ٢٣٦ الفصل السابع: النبي صلى الله عليه وآله فى داخل الكعبه
- ٢٣٦ اشاره
- ٢٣٧ مفتاح الكعبه مع النبي صلى الله عليه وآله:
- ٢٣٩ مفتاح الكعبه أخذ قهرا:
- ٢٤١ إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبه:
- ٢٤٥ صلاه النبي صلى الله عليه وآله فى داخل الكعبه و خارجها:
- ٢٤٧ النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل الكعبه إلا يوم الفتح:
- ٢٤٨ إزاله الصور من داخل الكعبه:
- ٢٥١ التكبير فى زوايا الكعبه:

- ٢٥١ صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ:
- ٢٥٣ سؤال .. و جوابه:
- ٢٥٣ أبو بكر و عمر لم يدخلوا الكعبة:
- ٢٥٥ لا تريد الحديث عن التناقضات:
- ٢٥٥ هذا تأويل رؤيائي:
- ٢٥٧ عثمان بن طلحة في فتح مكة:
- ٢٥٨ آية: أداء الأمانات إلى أهلها:
- ٢٥٨ لمن هذا التهديد؟!:
- ٢٦٢ الفصل الثامن: الخطبة الأولى في مكة:
- ٢٦٢ اشاره:
- ٢٦٣ خطبه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَكَّة:
- ٢٦٩ نص آخر للخطبه:
- ٢٧١ وقات مع الخطبه الشريفه:
- ٢٧١ عتقهم دليل فتح مكة عنوه:
- ٢٧٢ الطلقاء .. و الخلافه:
- ٢٧٤ تعظيم بيت الله:
- ٢٧٥ كلكم لأدم، و آدم من تراب:
- ٢٧٦ السلاح في مكة في عام الفيل و يوم الفتح:
- ٢٧٨ لا ينفر صيدها!! و لا يختلي شوكرها!!:
- ٢٧٩ الإعلان الأول: التوحيد:
- ٢٧٩ لك بها دار في الجنة:
- ٢٨٢ صدق وعده، و نصر عبده:
- ٢٨٣ إلا الإذخر:
- ٢٨٦ اجتهاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:
- ٢٨٩ كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر:
- ٢٩١ اكتبوا لأبي شاه:

- ٢٩١ التبرك بالرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله:
- ٢٩٣ الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعه
- ٢٩٣ اشاره
- ٢٩٤ مفتاح الكعبة مع الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله:
- ٢٩٥ مفتاح الكعبة لبنى شيبه:
- ٣٠١ السقايه:
- ٣٠١ توضيح أكرهت و آذيت:
- ٣٠٢ أعطيتكم ما ترزؤون:
- ٣٠٣ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات:
- ٣٠٤ على عليه السلام لا يطلب الحجاب:
- ٣٠٥ طريقه جمع فاشله:
- ٣٠٦ السدانه و السقايه مردودتان إلى أهلهما:
- ٣٠٧ أعطينا النبوه و السقايه و الحجاب:
- ٣٠٨ البيعه في فتح مكة:
- ٣١٢ ما الذى أضحك عمر بن الخطاب؟!
- ٣١٤ أو تزنى الحره؟!
- ٣١٦ إسلام هند بعد أبى سفيان بليله:
- ٣١٦ إني لا أصافح النساء:
- ٣١٩ جرأه هند:
- ٣٢٠ عمر في بيعه النساء:
- ٣٢٢ بيعه معاويه .. و إسلامه!!
- ٣٢٥ الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات
- ٣٢٥ اشاره
- ٣٢٦ لا هجره بعد الفتح:
- ٣٢٦ البيعه على الجهاد:
- ٣٢٩ إن ظهر النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله على مكة آمن به:

٣٣٠ إسلام العرب: -

٣٣١ أذان بلال فوق الكعبة: -

٣٣٦ النبي صلى الله عليه وآله لا يعود إلى مكة: -

٣٣٨ إذن يخزيك الله: -

٣٤٠ مع ما سبق: أبو سفيان والإيمان: -

٣٤٠ وهذا يؤكد لنا حقيقته هامة، وهي: -

٣٤١ الم. غلبت الروم: -

٣٤٥ الفهارس

٣٤٥ اشاره

٣٤٧ ١- الفهرس الإجمالي

٣٤٨ ٢- الفهرس التفصيلي

٣٤٥ تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/۲ ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

[تتمه القسم التاسع]

الباب الثانى فتح مكه

اشاره

الفصل الأول: هكذا تحرك من مرّ الظهران

الفصل الثانى: دخول مكه

الفصل الثالث: القتال فى مكه

الفصل الرابع: منزل الرسول صلى الله عليه وآله و جوار أم هانى

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافه

الفصل السادس: طواف النبى صلى الله عليه وآله و تحطيم الأصنام

الفصل السابع: النبى صلى الله عليه وآله فى داخل الكعبه

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه فى مكه

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

ص: ٨

الفصل الأول: هكذا تحرك من مَر الظهران

أشاره

الإعلان بالأمان:

قال أبو سفيان و حكيم بن حزام: يا رسول الله، ادع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش و كفت أيديها آمنون هم؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (نعم).

قال العباس: قلت: يا رسول الله!! قد عرفت أبا سفيان و حبه الشرف و الفخر، فاجعل له شيئاً.

و عن أبي سلمه و يحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب السماع، يعنى الشرف انتهى. فقال (صلى الله عليه و آله): (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن).

فقال: و ما تسع دارى؟

زاد ابن عقبة: (و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)- و دار أبي سفيان بأعلى مكة، و دار حكيم بأسفلها- (و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن).

فقال أبو سفيان: و ما يسع المسجد؟

قال (صلى الله عليه و آله): (و من أغلق بابه فهو آمن).

فقال أبو سفيان: هذه واسعه (١).

وقال الحلبي الشافعي: (عقد صلى الله عليه وآله) في المسجد لأبي رويحه- الذي آخى النبي (صلى الله عليه وآله) بينه وبين بلال- لواء، وأمره أن ينادى: ومن دخل تحت لواء أبي رويحه فهو آمن. أى وإنما قال ذلك لما قاله له أبو سفيان: وما تسع دارى؟ وما يسع المسجد؟ (٢).

وفي نص آخر: أن العباس أخذ أبا سفيان فأباته عنده، فلما أصبح وسمع الأذان سأل العباس عنه، فأخبره، ثم أمره العباس بأن يتوضأ و يصلى ... و علمه الوضوء .. ففعل.

فلما صلى غدا به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله، إنى أحب أن تأذن لى إلى قومك، فأنذرهم، و أذعوهم إلى الله و رسوله، فأذن له.

فقال العباس: كيف أقول لهم؟! بين لى من ذلك أمرا يطمنون إليه!!

فقال (صلى الله عليه وآله): (تقول لهم: من قال: لا إله إلا الله وحده لا

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٨ عن ابن عقبة، و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ٩ / ٨ و انظر المجمع ١٧٢ / ٦ و أخرج صدره مسلم فى الجهاد باب (٣١ و ٨٤ و ٨٦) و أبو داود فى الخراج باب (٢٥) و أحمد ٢ / ٢٩٢ و ٥٣٨ و البيهقى ٦ / ٢٣٤ و ٩ / ١١٧ و ١١٨ و ١٧١ و الطبرانى فى الكبير ٩ / ٨ و ابن أبى شيبه ١٤ / ٤٧٥ و عبد الرزاق (٩٧٣٩) و الطبرانى فى الصغير ٢ / ٧٢ و الدار قطنى ٣ / ٦٠ و الطحاوى فى المعانى ٣ / ٣٢١ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٣٢ و ٣٧ و ٥٦ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠.

شريك له، و شهد أن محمدا رسول الله، و كف يده فهو آمن، و من جلس عند الكعبه و وضع سلاحه فهو آمن).

فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.

فقال (صلى الله عليه و آله): (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن).

قال أبو سفيان: داري؟

قال: دارك.

ثم قال: (و من أغلق بابه فهو آمن) (١).

و نص آخر يقول:

و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأسلما و بايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) بين يديه إلى قريش، يدعوانهم إلى الإسلام.

و قال: من دخل دار أبي سفيان- و هو بأعلى مكة- فهو آمن، و من دخل دار حكيم- و هو بأسفل مكة- فهو آمن، و من أغلق بابه و كف يده فهو آمن (٢).

و نقول:

إن في هذه النصوص العديد من الإشارات و الدلالات، نذكر منها ما يلي:

١- البحار ج ٢١ ص ١٢٩ عن إعلام الوری.

٢- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ و البحار ج ٢١ ص ١٠٤ و تاريخ الخميس ح ٢ ص ٨١.

هل هذا تشریف لأبى سفيان!؟:

قد كان مما أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبى سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره، لأن أبا سفيان يحب التفخيم و الذكر، كما قاله العباس رحمه الله.

و لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و إن كان قد أنعم لأبى سفيان بهذا الأمر و أعطاه إياه بيد، و لكنه عاد فأخذه منه باليد الأخرى، بأسلوب رصين يجعل الناس يدركون للتوّ: أنه مجرد إجراء شكلى ليس له مضمون تشریف و لا تكريم، لأنه:

١- أعطى مثل ذلك لحكيم بن حزام أيضا.

٢- ساوى بين دخول دار أبى سفيان، و بين اللجوء إلى رايه الأمان، التى جعلها مع أبى رويحه.

٣- ساوى أيضا بينه و بين أیه دار فى مكة يدخلها صاحبها، و يغلق بابها على نفسه.

٤- ساوى بين ذلك و بين أن يضع الإنسان سلاحه، و يكف يده، ليكون ذلك إشاره إلى مجرد اتخاذ وضع غير قتالى.

و بذلك يتضح: أن أبا سفيان ليس فقط لم يحصل على ما أراد من الذكر و الفخر، و إنما أخذ منه ما كان قد استلبه بغير حق .. لأن المساواه بين دخول داره و بين دخول دار أى إنسان فى مكة، ثم بين ذلك و بين أن يكف الإنسان يده و يضع سلاحه فيها حط من المقام الذى جعله أبو سفيان لنفسه، و جعله كأى إنسان آخر من أهل مكة ..

و ذلك بعد أن جعله أيضا مثل حكيم بن حزام .. الأمر الذى لا يرضاه

أبو سفيان، و لا يقرّ به له.

و لا بد من أن يرضى ذلك ابن حزام، و ربما تذهب به الأوهام إلى أبعد من ذلك، إذا كان يذكى لديه الطموح لمنافسه أبا سفيان، أو لعدم الإقرار له بالتفرد فى الزعامه على الأقل .. و من شأن هذا أن يزعج أبا سفيان، و يؤرقه فى مضجعه أيضا.

إستجداء بعد الإستغناء:

لقد كان أبو سفيان طيله حوالى عشرين سنه يسعى لإطفاء نور الله، مدّعا لنفسه مواقع الشرف و الكرامه، متخذًا من هذا الفعل المخزى و المشين سيلا للمجد و الذكر و الفخر، و شيوع الذكر.

و لكنه بين ليله و ضحاها أصبح يستجدى شيئا من الذكر، و ما يوجب له الفخر من نفس هذا العدو الذى لم يزل يحاربه إلى تلك اللحظه، و لو قدر على شىء من ذلك لما تردد فيه ..

فما هذه الدنيا التى تذلل حتى أشد الناس حبا لها، و لا تعطيهم شيئا إلا أن يدفعوا ثمنه أعز شىء لديهم، و أغلاه عليهم!؟

حفظ حرم الله تبارك و تعالى:

و لسنا بحاجة إلى التأكيد على أن إعلان الأمان لأهل مكه، و كذلك سائر المواقف و السياسات النبويه فى مسيره (صلى الله عليه و آله) إلى مكه، تظهر بما لا مجال معه لأى شبهه و ريب: أن المطلوب هو: أن لا تراق أية قطره دم فى حرم الله تبارك و تعالى ..

و لا بد من أن يقارن الكثيرون من أهل مكه و غيرهم بين هذه السياسه

مع صناديد قريش و كل رجالها، و بين ما فعله أهل مكه أنفسهم بالخزاعيين الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء. فى حين أن قريشا لو تمكنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم بأكملة فى نفس بيت الله و حرمه ..

وضوء و صلاه أبى سفيان:

و قد أظهر النص المتقدم عن البحار عن إعلام الورى: أن أبى سفيان قد توضحاً و صلى مع المسلمين.

و نقول:

إن ذلك لا مجال لقبوله، إن كان أبو سفيان على شركه إلى تلك اللحظه، كما ذكرته بعض الروايات، فإنه إنما أسلم بعد ما بات عند العباس ..

و إن أخذنا بروايه البحار و إعلام الورى، و قلنا: بأنه قد أسلم ليلا، ثم سلمه النبى (صلى الله عليه و آله) إلى العباس ليبيت عنده، فلما أصبح رأى أذان المسلمين و صلاتهم، فصلى معهم .. فلا غبار على الروايه التى نتحدث عنها من هذه الجبهه ..

إلا- أن يقال: إنه قد بات ليله أخرى غير الليله التى أخذ فيها، و كان قد أسلم نهاراً، و هو إنما توضحاً و صلى فى صبيحه الليله الثانية، فلا يبقى إشكال فى قولهم: إنه توضحاً و صلى، حتى على القول الأول.

الدعاه الجدد إلى الإسلام:

و فى النصوص المتقدمه: أن النبى (صلى الله عليه و آله) بعث بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام يدعوان الناس فى مكه إلى الإسلام، بل فيها: أن

أبا سفيان نفسه قد تبرع بذلك، لكنه كان على جهل تام بما يريد قوله، فطلب أن يعلموه ما يقول للناس في ذلك، فعلمه النبي (صلى الله عليه وآله) أن يطلب من الناس النطق بالشهادتين.

و نقول:

إن هؤلاء وهم رؤوس الشرك يمكن أن يساهموا في إطفاء نار الحرب، و حمل الناس على ترك القتال .. لأن ذلك يحفظ أرواح الناس، خصوصا إذا كانوا من أهلهم، و عشيرتهم، أو من أحبائهم و أصدقائهم، أو من حلفائهم.

و يمكن أن يقدموا على ذلك من منطلق الحفاظ على حرمة البيت و الحرم، و لأجل حفظ ماء وجههم أمام الآخرين .. لا لأجل أن للحرم قداسه حقيقه في نفوسهم.

و لكننا لا يمكن أن نصدق: أن رؤوس الشرك يطلبون أن يكونوا دعاه للناس للدخول في هذا الدين، إلا على أساس أنه نفاق و استغلال، لا سيما و أنهم كانوا لا يزالون يحاربون هذا الدين للحظات خلت. بل إن أبا سفيان قد ما طل و سوف و لم يزل يقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله): إن في النفس شيئا من الشهاده له بالرساله. فكيف يعقل أن يتحول في تلك اللحظه نفسها إلى داعيه صادق لهذا الدين؟! و لو قيل: لعل الله هو الذى تصرف فى قلبه!!

قلنا: لماذا تأخر هذا التصرف إلى الآن؟!

أبو سفيان يرصد كتاب الفتح:

و لما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس الغداه، قال للعباس:

(خذه إلى رأس العقبة، فأقعدته هناك ليراه الناس جنود الله و يراها).

فقال أبو سفيان: ما أعظم ملكك ابن أخيك.

قال العباس: يا أبا سفيان هي نبوه.

قال: نعم (١).

و زعموا أيضا: أنه لما توجهوا ذاهبين قال العباس: يا رسول الله، إنني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه، فاردده حتى يفقه، و يرى جنود الله - تعالى - معك (٢).

و عن أبي سلمه و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفيان لما ولي، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق؟ (٣).

و نرى: أن الصحيح هو ما قاله ابن إسحاق و محمد بن عمر: من أن أبا سفيان لما ذهب لينصرف، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) للعباس:

(احبسه بمضيق الوادي (حتى تمر عليه جنود الله)).

قال ابن عقبة، و محمد بن عمر: فأدركه العباس فحبسه، فقال أبو سفيان: أغدرا يا بني هاشم؟

فقال العباس: إن أهل النبوه لا يغدرون. زاد الواقدي قوله: و لكن لى إليك حاجه.

فقال أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولا؟

١- البحار ج ٢١ ص ١١٩ عن الخرايج و الجرايح، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ١١٨.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٨ عن ابن عقبة.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٨ عن ابن أبي شيبه.

فقلت: إن لى إليك حاجه، فيكون أفرخ لروعى!؟

قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب.

و عبأ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أصحابه الخ .. (١).

و لفظ ابن عقبه: إنا لسنا بغدر، و لكن أصبح حتى تنظر جنود الله، و إلى ما أعد الله للمشركين.

قال ابن عقبه: فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا (٢).

كتائب الإسلام إلى مكة:

قالوا: و أمر رسول الله (صلّى الله عليه و آله) مناديا ينادى، لتصبح كل قبيله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته، و تظهر ما معها من الأداة و العده.

فأصبح الناس على ظهر، و قدّم بين يديه الكتائب.

قالوا: و مرت القبائل على قادتها. و الكتائب على راياتها (٣).

قال محمد بن عمر: و كان أول من قدم رسول الله (صلّى الله عليه و آله) خالد بن الوليد فى بنى سليم و هم ألف، و يقال: تسعمائه، و معهم لواءان و رايه، يحمل أحد اللوائين العباس بن مرداس، و الآخر يحمله خفاف بن

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨١٨ و تاريخ مدينه دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٢.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٠ و البحار ج ٢١ ص ١٠٤ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٩ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٨ و راجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢١٩ عن ابن عقبه.

ندبه، و يحمل الرايه الحجاج بن علاط - بعين مضمومه - (و عند المعتزلى:

و رايه يحملها المقداد)، فلما مروا بأبى سفيان، كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أبو سفيان: يا عباس!! من هؤلاء؟

فقال: هذا خالد بن الوليد.

(و فى نص آخر قال أبو سفيان: هذا رسول الله؟ قال: لا، و لكن هذا خالد بن الوليد فى المقدمه) (١).

قال: الغلام؟

قال: نعم.

قال: و من معه؟

قال: بنو سليم.

قال: ما لى و بنى سليم!

ثم مر على أثره الزبير بن العوام فى خمسمائه من المهاجرين و أفناء العرب (٢)، و معه رايه سوداء.

فلما مروا بأبى سفيان كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ و فى نص آخر: يا عباس! هذا محمد؟!

قال: هذا الزبير بن العوام.

قال: ابن أختك؟

قال: نعم.

١- البحار ج ١ ص ١٣٠.

٢- الأفناء: الأخلاط من الناس لا يعرف من أى القبائل هم.

ثم مرت بنو غفار فى ثلاثمائه، يحمل رايتهم أبو ذر.

و يقال: إيماء بن رضه، فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

قال: بنو غفار.

قال: ما لى و لبنى غفار؟

ثم مرت أسلم فى أربعمائه، فيها لواءان، يحمل أحدهما بريده بن الحصيبي، و الآخر ناجيه بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: أسلم.

قال: ما لى و لأسلم؟ (ما كان بيننا و بينهم تره قط.

قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام).

ثم مرت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائه، يحمل رايتهم بسر بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوه أسلم.

قال: نعم. هؤلاء حلفاء محمد.

ثم مرت مزينه فى ألف. فيها ثلاثه ألويه، و مائه فرس. يحمل ألويتها النعمان بن مقرن، و عبد الله بن عمرو بن عوف، و بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال: من هؤلاء؟

قال العباس: مزينه.

قال: ما لي و لمزينه؟ قد جاءتني توقعع من شواقتها (١).

ثم مرت جهينه في ثمانمائه، فيها أربعة ألويه، يحملها أبو روعه معبد بن خالد، و سويد بن صخر، و رافع بن مكيث و عبد الله بن بدر، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال: جهينه.

قال: ما لي و لجهينه؟

ثم مرت كنانه بنو ليث و ضميره، و سعد بن بكر في مائتين، يحمل لواءهم أبو واقد الليثي، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو بكر.

قال: نعم، أهل شؤم و الله! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم. (زاد في نص آخر قوله: أما و الله ما شوورت فيهم و لا علمته، و لقد كنت له كارها حيث بلغني، و لكنه أمر حتم).

قال العباس: قد خار الله - تعالى - لكم في غزو محمد (صلى الله عليه و آله) أتاكم أمنكم، و دخلتم في الإسلام كافه.

ثم مرت أشجع و هم آخر من مر، و هم ثلاثمائه معهم لواءان، يحمل أحدهما: معقل بن سنان، و الآخر: نعيم بن مسعود. فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال أبو سفيان: من هؤلاء؟

١- توقعع الشيء: أحدث صوتا عند تحريكه.

قال العباس: هؤلاء أشجع.

قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد.

قال العباس: و أدخل الله- تعالى- الإسلام في قلوبهم، فهذا فضل من الله.

ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟

فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبة التي فيها محمد رأيت فيها الحديد و الخيل و الرجال، و ما ليس لأحد به طاقة.

قال: و من له بهؤلاء طاقة؟

و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول أبو سفيان: ما مر محمد؟

فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخضراء التي فيها المهاجرون و الأنصار- و سميت الخضراء لما فيها من الحديد، و العرب تطلق الخضرة على السواد و العكس- و طلع سواد شديد، و غيره من سنابك الخيل، و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول: أما مر محمد؟

فيقول العباس: لا.

و في هذه الكتيبة: الرايات و الألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء و رايه، و هم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و لعمر بن الخطاب فيها زجل (١) بصوت عال و هو يزعاها (٢) و يقول: رويدا حتى يلحق أولكم آخركم.

١- الزجل: رفع الصوت.

٢- وزع فلانا: زجره و نهاه. و وزع الجيش: رتب فرقه، و سواهم صفا واحدا.

و عند الواقدي: (فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل! من هذا المتكلم؟!)

قال: عمر بن الخطاب.

فقال أبو سفيان: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و الله- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع من يشاء بما يشاء. و إن عمر ممن رفعه الإسلام، و يقال: كان في الكتيبه ألف دارع (١).

و يقال: ألفا دارع.

و أعطى رسول الله (صلى الله عليه و آله) رايته سعد بن عباد، فهو أمام الكتيبه، فلما مر سعد براه رسول الله (صلى الله عليه و آله) نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل الله قريشا.

و فى نص آخر: اليوم تستحل الكعبه (٢). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ٢٢ كتائب الإسلام إلى مكه:

..... ص : ١٧

قال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار (٣).

فمرت القبائل، و طلع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو على ناقته القصواء. قال محمد بن عمر:- طلع- بين أبى بكر الصديق، و أسيد بن الحضير- و هو يحدثهما- فقال العباس: هذا رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٤).

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢١.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٠ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨١٨-٨٢١.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و فى هامشه عن: ابن عبد البر فى الدرر (٢١٦) و البيهقى فى الدلائل ٣٨ / ٥ و ابن كثير

فى البدايه ٢٩٠ / ٤ و البحار ج ٢١-

و فى الصحيح عن عروه: أن كتيبه الأنصار جاءت مع سعد بن عباده، و معه الرايه: قال: و لم ير مثلها، ثم جاءت كتيبه هى أقل الكتائب، فيهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أصحابه، و رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله) مع الزبير.

قال فى العيون: كذا وقع عند جميع الرواه.

و رواه الحميدى فى كتابه: هى أجل الكتائب، و هو الأظهر انتهى (١).

فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملكك ابن أخيك اليوم عظيما.

قال العباس: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوه.

قال: فنعم إذا (٢).

عن العباس - رضى الله عنه - قال: لما بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) قلت لأبى سفيان بن حرب: أسلم بنا.

قال: لا و الله حتى أرى الخيل تطلع من كداء.

قال العباس: قلت ما هذا؟

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و ٢٦٧ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و ٨٣.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و فى هامشه قال: انظر المجمع ١٧٣/٦. و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨١ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ و البحار ج ٢١ ص ١٠٤ و ١١٨ و ١١٩ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٢.

قال: شىء طلع بقلبي، لأن الله لا يطلع خيلاً هناك أبداً.

قال العباس: فلما طلع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هناك ذكرت أبا سفيان به، فذكره (١).

قالوا: فلما مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي سفيان، قال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عباده؟! عبادته؟!!

قال: (ما قال)؟!!

قال: كذا وكذا، وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأوصل الناس، وأرحم الناس.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كذب سعد يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحم، اليوم يوم يعظم الله فيه الكعبه، اليوم يوم تكسى فيه الكعبه، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا). وأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء (٢).

وعند ابن إسحاق: أن سعداً لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرين.

قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

فقال: يا رسول الله، أسمع ما قال سعد؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صوله (٣).

زاد الديار بكرى قوله: فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب

١- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢١ عن الطبراني و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٣.

٢- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و البحار ج ٢١ ص ١٠٩ عن المعتزلى، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢١ و ٨٢٢.

٣- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

(عليه السلام): أدركه، وخذ الرايه، وكن أنت الذى تدخل بها (١).

و استبعد ذلك الحافظ من عمر هنا؛ لكونه كان معروفا بشده البأس عليهم (٢).

و عند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، قالوا ذلك لرسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

و قال ضرار بن الخطاب الفهرى- فيما ذكره محمد بن عمر، و أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى- شعرا يستعطف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على أهل مكه، حين سمع قول سعد، قال أبو الربيع: و هو من أجود شعر قاله.

و عن جابر: أن امرأه من قريش عارضت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بهذا الشعر، فكأن ضرارا أرسل به المرأه ليكون أبلغ فى انعطاف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على قريش:

يا نبى الهدى إليك لجاحى قريش و لات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعه الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان على القوم و نودوا بالصيلم (٤) الصلعاء

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و البحار ج ٢١ ص ١٠٩ عن المعتزلى، و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٢.

٤- الصيلم: السيف المصقول.

إن سعدا يريد قاصمه الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

و غر الصدر (١) لا يههم بشىء غير سفك الدما و سبى النساء

قد تلتظى على البطاح و جاءت عنه هند بالسوءه السواء

إذ ينادى بذل حى قريش و ابن حرب بذا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء و نادى يا حماه الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج و الأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعه القاع فى أكف الإمام

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب و الغ فى الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكو تا كالحيه الصماء فأرسل رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى سعد، فنزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس بن سعد، و رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه (٢).

و فى روايه: دخل ولد سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون (٣).

و زعموا أيضا: أن سعدا أبى أن يسلم اللواء إلا بأماره من رسول الله

١- و غر الصدر: امتلاً غيظاً.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٢ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٣- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٢.

(صلى الله عليه وآله)، فأرسل النبي (صلى الله عليه وآله) بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

و يقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر عليا (عليه السلام)، فأخذ الراية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزاها عند الركن (١).

و روى: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطى الراية للزبير إذ نزعها من سعد (٢).

زاد الديار بكرى قوله: و جعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين.

و عن الزبير: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفعها إليه فدخل بلواءين (٣).

قال الحافظ: و الذى يظهر فى الجمع: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرسل عليا لينزعها، و أن يدخل بها (٤).

ثم خشى تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إن سعدا خشى أن يقع من ابنه شىء يكرهه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يأخذها، فحينئذ أخذها الزبير (٥).

و يؤيد ذلك: ما رواه البزار بسند على شرط البخارى عن أنس قال:

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ عن ابن عبد البر و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ عن أبى يعلى، و موسى بن عقبه.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٢.

٥- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

كان قيس في مقدمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما قدم مكة، فكلم سعد النبي (صلى الله عليه و آله) أن يصرفه عن الموضوع الذى هو فيه مخافه أن يقدم على شىء فصرفه عن ذلك. انتهى (١).

و فى نص آخر: أن أبا سفيان سعى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) (و زاحم حتى مرّ تحت الرماح)، و أخذ بعرزه (٢)، فقبله، و قال: بأبى أنت و أمى، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمه فقال لعلى (عليه السلام): أدركه، فخذ الرايه منه، و كن أنت الذى يدخل بها، و ادخلها إدخالاً رقيقاً.

فأخذها على (عليه السلام)، و أدخلها كما أمر (٣).

و نقول:

قد احتوت النصوص المتقدمه أموراً عديده ينبغى الوقوف عندها. و قد آثرنا أن نقتصر هنا على بعض منها، و هى الأمور التاليه:

العباس هو المشير أم أبو بكر!؟

يلاحظ: أن بعض الروايات المتقدمه تذكر: أن العباس هو الذى اقترح أن يرى أبو سفيان عرض جنود الله تعالى.

١- المصدران السابقان.

٢- الغرز: ركاب الرجل.

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥ و ١٣٠ عن إعلام الورى، و عن مناقب آل أبى طالب.

لكن روايه أخرى تذكر: أن أبا بكر هو المشير بذلك.

غير أننا نعلم: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يكن بحاجة إلى رأى أحد ..

فإذا كانا قد بادرا إلى اقتراح من هذا القبيل، فذلك يشير إلى نقص فيهما، لأنهما يخالفان بذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١).

و الصحيح هو: أن هذا هو قرار رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لم يحتج فيه إلى أحد.

و قد صرحت بعض الروايات: بأنه بمجرد أن أعلن أبو سفيان بالشهادتين أمر النبي (صلى الله عليه و آله) العباس بأن يأخذه إلى العقبة ليراه جنود الله عز و جل، و يراهم.

أهداف حضور العرض:

و قد صرح رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالهدف الذى كان يتوخاه من حضور أبى سفيان عرض جنود الله تعالى، و هو أمران:

أولهما: أن يراه الناس جنود الله، لتقوى بذلك عزائمهم، و يصح يقينهم بوعد الله تعالى لهم بالفتح و النصر، منذ الحديبيه.

ثانيهما: أن يرى هو جنود الله، لتذلل و تتطامن نفسه الأماره بالسوء، التى تمنيه النصر، و تدعوه إلى محاربه الله و رسوله، و عباده المؤمنين، و ليكتبته

اللّٰه تبارك و تعالى بذلك، و يشفى به صدور قوم مؤمنين طالما اضطهدهم، و ألحق بهم أنواعا من الأذى و البلى و الرزايا.

أبو سفيان يصر على أن ما يراه (ملك):

و حين يعتبر أبو سفيان للعباس عن انبهاره بما يرى، تراه يقول: ما أعظم ملك ابن أخيك.

فهو يزعم للعباس: بأن ما يراه إنما هو من مظاهر السلطان و الملك، و لا يريد ان يعترف للنبي (صلى الله عليه و آله) بالنبوه، لأنه قد يستطيع أن يصنع لنفسه ملكا يضاهيه، أو أن يكيد لهذا الملك و يسقطه، أو يسلبه ممن هو له.

أما النبوه فهي شرف لا يمكن سلبه، و لا مجال للسعى للحصول عليه؛ لأن الإختيار فيه لا يعود إليه، و لا إلى أحد يمكن الوصول إليه، بل إلى الله تبارك و تعالى. و أبو سفيان لم يزل محاربا له سبحانه، منتهكا لحرماته ..

و لذلك تراه يصر على توصيف كل ما يراه بأنه (ملك)، متجاهلا كل ما يراه من معجزات و كرامات لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و لأنه يرى: أن ذلك من مصلحته، كما أن مصلحته - بزعمه الفاسد - هي إنكار النبوه، أو التشكيك فيها على الأقل.

أغذرا يا بني هاشم!؟:

إن أبا سفيان لم يزل يصف النبي (صلى الله عليه و آله) بأفضل الصفات، و بأنه أبر الناس و أوصلهم، و أرحمهم، و بأنه الحليم الكريم، و ..

و .. و قد عرفه الناس بأنه الوفي الذي لا يغدر، و الواضح الذي لا يمكر،

و الطاهر الذى لا يفجر.

و قد رفض (صلى الله عليه و آله) بعد عهد الحديبيه أن يستجيب لطلب أبى بصير بأن لا يسلمه لأهل مكه، و قال له: (لا يصح فى ديننا الغدر) (١).

و قد كان وفأؤه هذا معروفا لدى المشركين. و قد شهد بذلك مركز بن حفص الذى بعثته قريش مع جماعه، ليستعلموا منه (صلى الله عليه و آله) عن سبب مجيئه إلى مكه فى عمره القضاء، فقالوا له: (و الله، ما عرفت صغيرا و لا كبيرا بالغدر).

إلى أن تقول الروايه: فقال مركز: (هو الذى تعرف به البر و الوفاء) (٢).

و لكن أبا سفيان برغم هذا كله، بمجرد أن أشار إليه العباس بأن يقف لحاجه له معه، بادر لوصف جميع بنى هاشم بالغدر .. مع أن طلب الوقوف ليس فيه ما يشير إلى غدر، و لا إلى سواه.

و لكن خوف أبى سفيان قد أعاده إلى غفلته، و أيقظ فيه سوء سريره، فتعامل مع الأمور وفق طبعه هو، لا وفق ما يعلمه من النبى (صلى الله عليه و آله) و من بنى هاشم ..

و الذى دل على ذلك: أنه قد برر و ستر بهذا الخوف ما صدر منه من اتهام بنى هاشم بالغدر، فإنه حين قال له العباس: لى إليك حاجه.

قال له أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولا.

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٩١ و فى هامشه عن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٤ ص ٣٢١ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧٣٤.

فقلت: إن لي إليك حاجة، فيكون أفرخ لروعى.

العدة و العدد:

و قد تقدم: أنه (صلى الله عليه و آله) أمر العباس بأن يوقف أبا سفيان على رأس العقبة ليراه عباد الله و يراهم .. ثم عبأ (صلى الله عليه و آله) أصحابه، و أمرهم بإظهار الأداة و العدة ..

و لا يحتاج هذا الإجراء إلى بيان، فهو المنطق الذى يفهمه عبيد الدنيا، الذين يفهمون الأمور بمقاديرها، و يقومونها بأحجامها، و هياتها المادية، لا بمضمونها و معناها الواقعى.

كتائب أم قبائل:

و قد أمر النبى (صلى الله عليه و آله) مناديا ينادى: لتصبح كل قبيله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته. ثم صارت القبائل تمر على قادتها و القبائل على راياتها ..

و السؤال هنا هو: عن السبب فى هذه التبعيه التى تعتمد على التصنيف العشائرى مع أن الإسلام يرفض المنطق القبلى و العشائرى.

و نقول فى الجواب:

إن للعشائريه و القبائليه حالتين:

إحداهما: غير مضره و لا مسيئه لأحد، و ربما تكون محبوبه و مرضيه يتجاوز فى محبوبيتها درجه الإستحباب لتصل إلى الوجوب.

و لتصبح بذلك منشأ للعقوبات و المثوبات الإلهيه، لأن لها دورا فى بناء الحياه، و فى تصحيح مسارها .. مثل صله الأرحام، و قضاء حوائجهم، و قد

حفظ الإسلام هذه الصلة و الخصوصيه، و رضيهها.

و لكنه نزع منها أو فقل: غير فيها نزعه العصبية و كرسها في أن تكون عصبية للحق، و للدين، و السعى لرضا الله تعالى، و الالتزام بأوامره في حفظ نفس هذه الصلة أيضا.

الثانيه: العصبية للعشير، و للنسب، و الإندفاع في تلبيه طموحات ذلك المتعصب، و أهوائه إلى حد الظلم و العدوان على الآخرين، لمجرد الإستجابة للداعى النسبى، أو العشائرى. و هذا مرفوض و مدان فى الإسلام.

و من الواضح: أن ترتيب الكتاب وفق التصنيف العشائرى هو من الصنف الأول أى أنه لا يوجب ضررا، بل هو مفيد و سديد، و يوجب تنافسا فى السعى إلى تحقيق رضا الله تبارك و تعالى فيما ندبهم إليه .. و هو يدفع أيضا إلى التناصر فى ساحات الجهاد، و يقلل من حجم الخسائر بين أهل الإيمان.

بل لقد كان لهذا التنظيم فائده أخرى هامه جدا، و خصوصا فى فتح مکه .. حيث رأى أبو سفيان: كيف أن مختلف قبائل العرب، التى طالما علّق آماله على نصرها، تنضوى تحت لواء الإسلام، و تأتى لفتح بلد كان يعتبره آخر ما يمكن أن يفكر أحد بجمع الجيوش لدخوله ..

و لذلك كان أبو سفيان كلما مرت به قبيله من تلك القبائل، على هيئتها و بعدتها القتاليه، يعرب عن حيرته فى دوافع تلك القبيله إلى أن تكون فى موقع المحارب له، ثم أن تبلغ فى عدائها له و للمشركين إلى هذا الحد، و هو أن تدخل مکه، فيقول: ما لى و لقبيله كذا .. ثم يكرر هذا القول بالنسبه للقبيله التى تليها .. و هكذا.

و قد يقول عن بعض القبائل: (ما كان بيننا و بينها تره قط).

و قال عن بعضها: (جاءتني توقعع من شواهقها).

بل هو حين مر به بنو بكر قال: أهل شؤم و الله، هؤلاء الذين غزانا محمد بسبيهم.

و لعل أكثر ما ألم قلبه هو: أنه قد مرت به قبائل كانت من أشد الناس عداوه لمحمد (صلى الله عليه و آله) .. فما الذى قلب الأمور، و كيف تغيرت الأحوال؟!

من هؤلاء:

و لكن يبقى لنا سؤال عن طبيعه أسئله أبى سفيان للعباس عن الأشخاص و عن القبائل .. فقد كانت معرفه أبى سفيان تضاهى معرفه العباس بهم و بها، فقد كانا يعرفان خالدا و عمر بن الخطاب، و .. و .. الخ .. و يعرفان سليما و بنى بكر، و بنى أشجع الخ ..

فهل كانت أسئله تقديرية، أم أنه كان متجاهلا- فى أسئلته لا جاهلا، ليظهر للعباس أنه قد فوجئ بالأمر؟! أم أن هناك بعض الأسباب الأخرى التى لم تخطر على بالنا؟!

كل ذلك نجعله فى بقيه الأماكن و لكن النتيجة واحده على كل حال، و هى فتح الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه و آله)، و نصره على أهل الشرك و الضلال.

خالد .. غلام!!!

و قد ورد فى الروايات المتقدمه: أن أبى سفيان وصف خالد بن الوليد

بالغلام حين رآه يقود كتيبته و هو يدخل مكة (١).

و لا ندرى ما المبرر لإطلاق هذا الوصف عليه، فقد كان عمره عاليا، و قد يكون من أتراب أبي سفيان نفسه، إن لم يكن أسن منه.

و هل يصح أن يوصف ب (الغلام) من يزعمون: أنه كان أحد أشرف قريش فى الجاهليه (٢)، و إليه كانت القبه التى كانوا يضربونها، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش؟ (٣).

و إليه - حسب زعمهم أيضا- كانت أعنه خيل قريش فى الجاهليه (٤).

إلا إذا كان يقصد ب (الغلام) الشيخ، على اعتبار أن هذه الكلمه من الأضداد التى تطلق على الفتى الطار الشارب و الكهل (٥).

و لكن قد يقال: إنه تأويل غير مقبول؛ لأن أبا سفيان لما سمع باسم خالد قال مستفهما: (الغلام؟ قال: نعم).

فقد يفيد هذا السياق: أن هذه الكلمه مما عرف إطلاقها على خالد ..

فكأنها كانت من ألقابه لمناسبه اقتضت ذلك.

١- الإصابه ج ١ ص ٤١٣ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج ١ ص ٤٠٦ عن الزبير بن بكار.

٢- الأعلام للزركلى ج ٢ ص ٣٠٠.

٣- تاريخ مدينه دمشق ج ١٦ ص ٢٥٤ و ج ٢٤ ص ١١٨ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٣٦٦.

٤- الأعلام للزركلى ج ٢ ص ٣٠٠ و تاريخ مدينه دمشق ج ١٦ ص ٢٥٤ و ج ٢٤ ص ١١٨ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٣٦٦.

٥- راجع: أقرب الموارد ج ٢ ص ٨٨٤.

اللواء و الرايه:

قدمنا بعض الحديث عن اللواء و الرايه، و اتحادها أو عدمه، فى أوائل غزوه أحد، و ربما فى مواضع أخرى أيضا ..

و سياق الحديث فى بعض النصوص المتقدمه يشير إلى اختلافهما أيضا.

و يظهر من بعضها خلاف ذلك.

فهو يجمع بين الأوليه و الرايات، فيقول عن بنى سليم: كان معهم لواءان و رايه.

و أضاف المعتزلى رايه أخرى أيضا.

و لكنه تحدث عن خصوص الأوليه فى مواضع أخرى، فقد قال عن بنى مزينه: إن لهم ثلاثه أوليه.

و عن جهينه: إن فيهم أربعة أوليه.

و عن أشجع: كان فيهم لواءان.

و عن بنى سليم: كان معهما لواءان، و لم يذكر رايات.

و ذكر لبعض الفئات: رايه أو أكثر، و لم يذكر لها لواء مثل المهاجرين، و أفناء العرب، و كذلك الحال بالنسبه لقبيله غفار.

و كل ذلك يزيد فى إبهام الأمر بالنسبه للاصطلاح الذى جرى عليه الرواه هنا.

و لعل ذلك يعزز ما قلناه من عدم الفرق بين اللواء و الرايه، و إن كان بعض الرواه قد يستنسب خصوصيه فى مورد، فيبادر إلى

التفريق بينهما فى تعابيره لأجلها، و إن لم يكن لها مدخله حقيقيه فى أصل المعنى.

الرايات السود:

و قد ذكر فيما تقدم: أن رايه المهاجرين و أفناء العرب كانت سوداء ..

و قالوا أيضا: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد عقد يوم حنين و يوم الفتح رايه سوداء (١).

و سيأتي أيضا عن أبي هريره: أنه (صلى الله عليه و آله) دخل مكة يومئذ (و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء و لواؤه أسود) (٢).

و نقول:

إننا لم نجد مبررا لعقد رسول الله (صلى الله عليه و آله) رايه لعمه، خصوصا بملاحظه الروايه الصحيحه التي صرحت: بأن العباس كان من الطلقاء ..

و لو أغمضنا النظر عنها؛ فإن عقد رايه له معناه: أن يطبل العباسيون و يزمروا لها ما شاؤوا.

و لكانت قد حفلت كتب التاريخ بذكرها تبركا، أو تزلفا لهم!! و لم نجد لذلك أثرا، لا فى تبجحات العباسيين، و لا فى تزلفات المتزلفين.

و بالمناسبه نقول:

قد يظهر من الكميت: أن الرايه التى كان المسلمون يرفعونها فى حروبهم ضد الكفار كانت سوداء، فهو يقول:

و إلا فإرفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلاله و التعدى

١- صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٧٠ عن كتاب الحاوى الكبير للماوردي.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٤.

و قد كانت رايه على (عليه السلام) فى صفين سوداء أيضا (١)، و قد خاطب صلوات الله و سلامه عليه حزين بن المنذر بقوله:

لمن رايه سوداء يخفق ظلها إذا قيل: قدمها حزين تقدا (٢)

لقد عزَّ عمر بعد قلبه و ذله:

و قد تكلمنا فيما سبق عن مقام و موقع عمر فى الجاهليه و فى الإسلام، و ليس لنا أن نعيد ما ذكرناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل (حتى الشعب)، تحت فقره بعنوان: (هل عز الإسلام بعمر حقا)؟!.

و قد أظهرت النصوص الصريحه: أن عمر بن الخطاب لم يكن من بيوت العز و الشرف و السؤدد، بل كان فى قلبه و ذله، و كان هو فى نفسه عسيفا، أى تابعا مستهاناً به.

و لكن بالإسلام ينال الناس الشرف و العزه، إلا إذا تخلفوا عن الإلتزام بمناهجه، و عن العمل بتعاليمه .. فلا بد من ملاحظه سيره حياتهم، و تقييمهم على هذا الأساس.

١- راجع: السيادة العربيه و الشيعة و الإسرائيليات هامش ص ١٢٦.

٢- الغارات ج ٢ ص ٧٩٠ و ٧٩٢ و مواقف الشيعة للأحمدى ج ١ ص ١٢٥ و دستور معالم الحكم لابن سلامه ص ١٩٦ و تاريخ مدينه دمشق ج ١٤ ص ٢٩٣ و ٢٩٦ و ج ١٦ ص ٢١٠ و تهذيب الكمال ج ٦ ص ٥٥٦ و الإصابه ج ٥ ص ٩٣ و الأعلام للزركلى ج ٢ ص ٢٦٢ و أنساب الأشراف ص ٢٦٩ و ٣٠٧ و الأنساب للسمعانى ج ١ ص ٤٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٤ ص ٢٦ و المنتخب فى ذيل المذيل للطبرى ص ١٤٦ و الجمل للمفيد ص ١٧٢.

أبو سفيان يصر على موقفه:

و قد ذكرنا فى فصول متقدمه: كيف تعامل أبو سفيان مع ما جرى على خزاعه، حين قتلت بنو بكر و قريش طائفه من نساءها و صبيانها، و ضعفاء الرجال فيها، و نقضوا بذلك عهدهم مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ..

و كان رأيه جحد هذا الأمر، و إنكاره .. و سافر من مكه إلى المدينه لكى يوهم المسلمين ببراءه قريش من هذا الأمر، و حصر الأمر فيه بأحد من بنى بكر.

و ها هو يعود ليزعم: أنه كان لما جرى على خزاعه كارها ..

و ليت شعرى إذا كان له كارها، حيث بلغه، فلما ذا سعى فى طل دماء أولئك المقتولين ظلما، و جحد أن يكون لقريش أى أثر فيه، و سافر إلى المدينه لإيهام المسلمين بهذا الأمر؟!!

و لكنه أمر حتم:

و اللافت: أن أبا سفيان يعود هنا فيلقى بالمسؤوليه على القدر، و يتحاشى أن ينسب إلى أولئك المجرمين القتله أيه مسؤوليه عن قتل أولئك الأبرياء، فهو يقول: (و لكنه أمر حتم).

و نقول له:

إنه أمر صنعته إرادات و أيدى زعماء قريش، و زعماء بنى بكر، و لم يرحموا فيه صغيرا و لا كبيرا، و لم يجبرهم عليه أحد.

فهو لم يكن محتوما لو لا ركوبهم لخيول الهوى و العصبية، و طاعتهم للشيطان.

هذا .. وقد عوّدنا الأقوياء حين يضعفون ويعجزون، وكذلك الذين يستشعرون بعض القوه، ثم يظهر لهم ما هم فيه من الوهن و الفشل - عودونا- أن يبرروا ذلك بالإحالة على القدر، أو على الجبر التكويني الإلهي، لتغطيه ذلك العجز و الوهن، و التستر على ما هم فيه من فشل و خيبه ..

و قد كانت عقيدة الجبريه فى المشركين، و ورثها الناس عنهم، و ربما يكون لأهل الكتاب أيضا دور فى ترسيخها فيهم.

قال تعالى عن المشركين: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. (١).

بل إن اليهود قد جعلوا الله تعالى محكما بقدره، و مقهورا و مجبرا فيما يفعل، فقد قال سبحانه عنهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ .. (٢).

و قد استخدم الحكام و أهل الأطماع هذه العقيدة لخدمه مصالحهم، و تسيير أمورهم، و حل مشاكلهم، و الخروج من بعض المآزق التى أوقعوا أنفسهم فيها.

و برروا بها إقدامهم على كثير من الأمور غير المشروعه أيضا.

ثم وضعت الأحاديث الكثيره على لسان رسول الله (صلى الله عليه و آله) لتأييد هذه العقيدة و نشرها ..

من أجل هذا و ذاك ظهرت هذه العقيدة فى مفردات كثيره من مواقف

١- الآيه ١٤٨ من سوره الأنعام.

٢- الآيه ٦٤ من سوره المائده.

و كلمات و تصرفات الخلفاء و الحكام، و الشخصيات المعروفة- باستثناء على و أهل بيته (عليهم السلام)- فراجع ما ينقل من ذلك عن عمر، و أبى بكر، و عائشه، و خالد بن الوليد، و معاويه، و عمر بن سعد، و المنصور و .. و الخ ..

و بها بررت عائشه حرب الجمل التي خاضتها ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) (١).

و بها برر عمر بن الخطاب بعض أعماله حتى حين مزق كتابا سجل فيه حكما فى مسأله إرثيه ..

و بها برر عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل.

و بها احتج معاويه لعهد بالخلافه بعده ليزيد الخمر و الفجور.

و بها برر عمر بن سعد قتله للإمام الحسين (عليه السلام).

و بها استدل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، و من معه من المسلمين.

و بها برر معاويه و المنصور العباسى منع الناس من حقوقهم فى بيت مال المسلمين.

إلى غير ذلك مما لا مجال لتبعه و استقصائه (٢).

-
- ١- المحاسن و المساوى للبيهقى ج ١ ص ٤٧١ و راجع: شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٨ و ٣٩ و تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٦ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٧ و راجع: البحار ج ٣٥ ص ٢٢٢ و فى هامشه عن الطوائف ص ٢٠.
- ٢- إن ما تقدم من أمثله و شواهد، و من أحاديث أيضا موجود فى المصادر المختلفه بصوره متفرقه، فمن أراد أن يقف على متفرقاته و يجمع بين شتاته، فليلتقط بعضه من المصادر التاليه: تأويل مختلف الحديث ص ٥ و ٦ و ٢٩ و ٤٥ و ٤٨ و ٨٢ و ٨٣ و ١٢٨ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و الهدى إلى دين المصطفى ج ٢ ص ١٦٢ و ٢٧١ و المصنف للصنعانى ج ١٠ ص ١١٩ و ١٢٢ و ١٨ و ج ٦ ص ٣٥٦ و حياه الصحابه ج ٢ ص ١٢ و ٩٥ و ٩٤ و ٢٣٠ و ج ٣ ص ٤٨٧ و ٤٩٢ و ٥٠١ و ٥٢٩. و راجع: الغدير ج ٧ ص ١٤٧ و ١٥٤ و ١٥٨ و ج ٨ ص ١٣٢ و ج ٩ ص ٣٤ و ٩٥ و ١٩٢ و ج ١٠ ص ٣٣٣ و ٢٤٥ و ٢٤٩ و ج ٥ ص ٣٦٥ و ج ٦ ص ١٢٨ و ١١٧ و نور القبس ص ٣١ و ٢٦٦ و ٦٥ و عيون الأخبار لابن قتيبه ج ٤ ص ٦٩ و مدارك التنزيل (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ١ ص ٤٠١ و قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٦ و الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٢٣٩ و ربيع الأبرار ج ٢ ص ٦٤ و ٦٥ و ج ١ ص ٨٢١ و المعجم الصغير ج ١ ص ١٥٨ و ٧٤ و ١٣٠ و ٢٥٥ و ج ٢ ص ٦٧ و ٥٥ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٥ ص ١٤٨ و ٥٤٣ و ج ٧ ص ١٦٣ و ٤١٧ و ج ٣ ص ٧٢ و ٦٦ و كلمه الأديان الحيه ص ٧٧ و ٨٠ و الإمام ج ٦ ص ١١٩ و لسان الميزان ج ١ ص ٤٤٨ و الكفايه فى علم الروايه ص ١٦٦ و جامع بيان العلم ج ١ ص ٢٠ و ج ٢ ص ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ضحى الإسلام ج ٣ ص ٨١ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ١ ص ٣٤٠ و ج ١٢ ص ٧٨ و ٧٩ و الإمامه و السياسه ص ١٨٣ و الأخبار الدخيله (المستدرک) ج ١ ص ١٩٣ و ١٩٧ و مقارنة الأديان (اليهوديه) ص ٢٧١ و ٢٤٩ و أنيس الأعلام ج ١ ص ٢٧٩ و ٢٥٧ و التوحيد

و إثبات صفات الرب ص ٨٠-٨٢ و المقدمه لابن خلدون ص ١٤٣ و ١٤٤ و الأغاني ج ٣ ص ٧٦ و العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٦
و ج ٢ ص ١١٢ و تاريخ الأمم و الملوك (ط مطبوعه الاستقامه) ج ٢ ص ٤٤٥ و بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص ٤٣ و ٤٩ عن
العديد من المصادر و تذكره الخواص ص ١٠٤ و ١٠٥ و تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٠ و بهج الصباغه ج ٧ ص ١٢٠ و الدر المنثور
ج ٦ و المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٠٤ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ٣ ص ٩٢ و ٩٣ و مصابيح السنه للبعثي ج ٢ ص
٦٧ و مناقب الشافعي ج ١ ص ١٧ و صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٠٨ و المعتزله ص ٧ و ٣٩ و ٤٠ و ٨٧ و ٩١ و ٢٠١ و ٢٦٥ عن
المنيه، و الأمل ص ١٢٦ و الخطط للمقرئزي ج ٤ ص ١٨١ و الملل و النحل ج ١ ص ٩٧ و ٩٨ و العقائد النسفيه ص ٨٥ و وفيات
الأعيان ص ٤٩٤. و في (الإمام الصادق و المذاهب الأربعة) ج ٣ ص ٤٥ عن الطبري ج ٦ ص ٣٣ و ج ٣ ص ٢٠٧ و عن الترمذي
ص ٥٠٨. و في حياه الصحابه نقله عن المصادر التاليه: كنز العمال ج ٣ ص ١٣٨ و ١٣٩ و ج ٨ ص ٢٠٨ و ج ١ ص ٨٦ و صحيح
مسلم ج ٢ ص ٨٦ و أبي داود ج ٢ ص ١٦ و الترمذي ج ١ ص ٢٠١ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٠٩ و السنن الكبرى للبيهقي ج
٩ ص ٥٠ و ج ٦ ص ٣٤٩ و مسند أحمد ج ٥ ص ٢٤٥ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣ و ج ١ ص ١٣٥ و تاريخ الأمم و الملوك
للتبري (مقتل بربر) ج ٤ ص ١٢٤ و ج ٣ ص ٢٨١ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٧٩. و نقل أيضا عن: جامع البيان ج ٦ ص ٦٠ و
عن تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٩٤ و عن أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٤.

هذا .. وقد تصدى أمير المؤمنين و أهل البيت (عليهم السلام) و كذلك شيعتهم (رضوان الله عليهم) لهذه العقيدة الفاسده، بكل ما أمكنهم .. كما تصدوا لكل فاسد وافد، و بينوا زيفه بالأدله و بالشواهد ..

بنو بكر أهل شؤم:

و قد قال أبو سفيان عن بنى بكر، حين مروا به: (نعم، أهل شؤم و الله! هؤلاء الذين غرانا محمد بسبيهم).

و نقول:

إنه كلام غير سليم، و هو يستبطن نوعا من التدليس للحقيقه، و المغالطه

فيها، فلاحظ ما يلي:

أولاً: إن بني بكر لم يكونوا وحدهم حين قتلوا الأطفال، و النساء، و الضعفاء من رجال خزاعة، بل كان معهم من قريش جماعة فيهم زعماء، و كبار، و لم يكن بنو بكر ليجبروهم على اتخاذ موقفهم، بل اتخذوه بملء اختيارهم.

فما معنى: أن يعتبرهم شؤماً، فضلاً عن أن يجعلهم سبب غزو محمد (صلى الله عليه و آله) لقريش؟!!

ثانياً: لو صح قول أبي سفيان هذا، فقد كان بإمكانه أن يتلافى ما حصل، بالعمل على القصاص من المجرمين، أو على الأقل أن يعطى أولئك القتلة الظالمون خزاعة دية قتلاها ..

ثالثاً: لماذا ساهم هو في التستر على مرتكبي الجريمة، و في السعي لخداع المسلمين، و إعطائهم انطباعات خاطئة عن حقيقته ما جرى؟!!

موقف النبي صلى الله عليه و آله من كلام سعد:

و عن قول سعد بن عباد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا، نقول:

إنه مرفوض جملة و تفصيلاً، بعد أن صدرت الأوامر الصارمة من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و ظهرت رغبته الأكيدة بحفظ حرمة بيت الله، و حرمة.

و هذا ينم عن جهل، أو عن عصبية جاهلية اعترت سعدا في ذلك الموقف .. إلا إذا كان يريد أن يخيف أبا سفيان، أو أنه أطلق كلماته تلك انسياقا

مع مشاعره الجياشه، و انسجاما مع عواطفه النائره، بعد كل ما رآه من بغي و طغيان، و ظلم مارسته قريش ضد الإسلام و أهله طيله أكثر من عشرين سنه.

و فى جميع الأحوال نقول:

إن النبى (صلى الله عليه و آله) كان يريد حفظ حرم الله و التأكيد على كرامه بيته، لأن فى ذلك حفظ الإسلام .. حتى لو أدى ذلك إلى أن يتمكن بعض الظلمه من أن يفلتوا من العقوبه التى يستحقونها فى هذه الدنيا، و لم يكن يريد حفظ أقاربه و قومه، بما هم قوم و أقارب، فقد أثبت الأيام: أنه (صلى الله عليه و آله) لا يفكر بهذه الطريقه، و لا ينطلق فى مواقفه من مثل هذه المفاهيم و المعانى.

كما أنه يريد: أن يفسح المجال للناس الذين استضعفهم أولئك المستكبرون، ليمارسوا حريتهم فى الاختيار و فى الممارسه، و أن يمنع حدوث أى شىء يؤسس لأحقاد، أو لطلب ثارات، قد تتسبب فى تفجير أوضاع خطيره على مستقبل الدين و أهله ..

و قد نسبت بعض الروايات إلى النبى (صلى الله عليه و آله) قوله: (كذب سعد). و هى كلمه قويه و حاده، إن كان يريد أن سعدا تعتمد أن يكذب.

و إن كان يريد أنه لم يصب الواقع، لاشتباه الأمر عليه، فظن أن يوم المرحمه هو يوم الملحمه، فليس فى هذه الكلمه إهانته لسعد، بل هو يريد تخطئته و حسب.

يوم المرحمه و يوم عز قريش:

و لا شك فى أن الرحمه الإلهيه قد شملت أهل مكه بهذا الفتح الذى

فرض عليهم الإسلام، و أدى إلى هيمنه أحكامه و شرائعه، التى هى محض الحق و العدل، و بها يكون لهم بلوغ درجات الكرامه و الفضل.

إنه يوم رفع الظلم، و الجبريه، و يوم إعلان الحرب على الفساد و المفسدين، و إبطال حكومه الأهواء و النزوات، و إسقاط هيمنه العصبيات و الشهوات.

و هو أيضا: يوم تعظيم الكعبه و كسوتها .. بعد أن خرجت من يد المشركين بربهم، الذين هتكوا حرمة حرم الله بذبح أطفال، و نساء، و ضعفاء رجال خزاعه فيه .. و تجرؤوا على الله بعباده الأصنام فى بيته و الدعوه إلى الشرك به تعالى فيه ..

و هو يوم عزّ قريش التى أعلنت براءتها من الشرك، و التزامها بالإيمان بالله، و بأنبيائه و رسله، و قبول دينه، فمنحها ذلك حصانه، و عزه، حتى لو كان إيمانها لا يزال فى مراحل الأولى، الذى يقتصر على مجرد الإعلان اللسانى، و لم يلامس بعد شغاف القلوب، و لم يتمازج مع الأرواح، و لا طبعت به النفوس.

أخذ الرايه من سعد:

و لم يكن أخذ الرايه من سعد يهدف إلى إهانته، أو المسّ بمقامه. و لذلك أخذت منه لكى تعطى لمن هو أولى بها منه و من كل أحد، ألا و هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، ليدخلها إلى مكه إدخالا رفيقا، بعيدا عن أجواء الإثارة و التحدى، و الرهج (١)، و الحركات المؤذيه للناس ..

و يعيدها إلى قيس بن سعد بن عباده، ليركزها عند الحجون، لأن إعطاء الرايه للولد يرضى الوالد، و يحفظ ماء وجهه، و يطمئنه إلى أن المقصود ليس هو الطعن بمقامه، و إنما تهدئه الأمور، و تبريد الأجواء.

و بذلك نستطيع أن ندرك: أن الروايات التي ذكرت أخذ الرايه من سعد، لتعطي لعلی (عليه السلام)، أو لقيس بن سعد ليست متنافره.

كما أنها لا تتضمن إهانته أو حطا من مقام سعد. و إن كان محبو أبي بكر و عمر قد يرضيهم إعطاؤها هذا الطابع، لأن سعدا لا يحظى بالإحترام، و التقدير لديهم، و لا يتمتع بالحصانه التي تمنع من نسبه ذلك إليه، لأنه بنظرهم يستحق كل مهانته، لأنه نافس أبا بكر على الخلافه في يوم السقيفه، في حديث معروف و مشهور ..

و مما يدل على أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يقصد ذلك: ما تقدم من أنه (صلى الله عليه و آله) نزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس. و قد قالوا: و رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه.

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكة:

و مما يؤكد: على أن سعدا لم يكن ينوى البطش بأهل مكة، و إنما قال ما قال على سبيل التهديد و التخويف لأبى سفيان .. أو لأنه فهم أن الأمور ستؤول إلى ذلك، ما رووه: من أنه بعد أن صار اللواء إلى ولده خاف أن يقدم ولده على شىء من العنف، فطلب من النبي (صلى الله عليه و آله) أن

يأخذ اللواء حتى من ولده (١).

و أما احتمال أن يكون قد طلب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ اللواء من ولده قيس بسبب انزعاجه من عزله و توليه ولده، فهو احتمال ردى ء يؤدي إلى إتهام سعد فى دينه، من حيث إنه يتضمن اعتراضا منه على النبي (صلى الله عليه وآله).

و أما القول: بأن لا شىء يدل على أن سعدا قد خاف على ولده من أن يرتكب مخالفه فيبادر إلى الطلب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ منه الرايه أيضا.

فيقال فى جوابه: إنه يمكن أن يكون راوى الحديث قد رأى قرائن و دلالات، أعطته الانطباع بأن سعدا يريد حفظ ولده من أن يقع فى خلاف ما يريده رسول الله (صلى الله عليه وآله).

على عليه السلام صاحب اللواء:

و لسنا بحاجة إلى إعادته التذكير بأن عليا (عليه السلام) كان صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى كل مشهد، و فى يوم فتح مكة أيضا.

و قد تقدم ذلك فى أوائل غزوه أحد.

و قد صرحت النصوص هنا: بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أضاف إلى على لواء سعد بن عباده أيضا.

غير أن ثمة من يدعى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أعطى رايه سعد

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ عن البزار.

للزبير، و زعموا: أن الزبير دخل مكة بلواءين.

و هي رواية الزبيرين لصالح سيدهم و كبيرهم، بل يظهر من ملاحظه بعض الروايات: أن الزبير قد روى ذلك أيضا لنفسه، في محاوله منه لجر النار إلى قرصه ..

غير أننا نقول:

لنفترض: أن لهذا الكلام نصيبا من الصحه، ففعل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن أدخل الرايه إلى مكة إدخالا رفيقا، إمتثالا لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) - لعله - أعطها بعد ذلك للزبير، مكتفيا هو بحمل لواء الجيش كله، حسبما ألمحنا إليه ..

فإنهم يقولون: إن النبي (صلى الله عليه و آله) أمر عليا، فأخذ الرايه، فذهب بها إلى مكة حتى غرزاها عند الركن (١). ففعله جعلها مع الزبير مده يسيره بعد ذلك إلى أن جاء قيس بن سعد، فأخذها من الزبير و أوصلها إلى الحجون.

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش:

و اللافت هنا: أن عمر بن الخطاب الذى أظهر حرصه على قتل أبى سفيان قبل قليل، و لم يزل يظهر الشده على المشركين، و يطالب بسفك دمهم، هو الذى سمع سعدا يقول: اليوم يوم الملحمة الخ .. فجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال له: (يا رسول الله، اسمع ما قال

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٢.

سعد!! ما نأمن أن يكون له في قريش صوله (١).

ثم تابعه على ذلك عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان (٢).

ثم دس ضرار بن الخطاب بشعره المتقدم مع امرأه لتنشده النبي (صلى الله عليه و آله)، و هو يستعطفه فيه أيضا على أهل مكة، بعد أن سمع هو الآخر مقالة سعد بن عباده.

فما هذا الحرص من خصوص هؤلاء على سلامه قريش من صولات سعد؟!!

و لماذا يكون عمر شديدا هناك، في حين كان واضحا لكل أحد أن المصلحه هي في عدم التعرض لأحد من أولئك الناس، و أن الأمر فيهم لرسول الله (صلى الله عليه و آله) دون سواه، ثم يكون حريصا على سلامه قريش هنا، حيث لا يوجد ما يمنع سعدا من أن تكون له في قريش صوله إلا تدخل النبي (صلى الله عليه و آله) معه لمنعه من ذلك .. مع توفر الدواعي للبطش بقريش، و كسر عنفوانها، و مجازاتها على بعض ما صدر منها من ظلم، و ما ارتكبه من جرائم في حق سائر أهل الإيمان في المنطقه بأسرها.

و أما استبعاد البعض: أن يكون عمر قد فعل ذلك، لكونه كان معروفا بشده البأس عليهم (٣)، فقد تقدم في غزوه أحد ما يفيد في بيان عدم صحه هذا الكلام، حيث قلنا: إن هناك ما يشير إلى وجود عطف متبادل فيما بين

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٢- تقدمت المصادر لذلك.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢١.

المشركين و بين عمر.

و أما المواقف التي كان يظهر فيها عمر شدته عليهم، فإنما هي في المواقف التي كان يعلم أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد اتخذ قرارا بعدم التعرض لهم. و لأجل ذلك لم نجده (صلى الله عليه و آله) أذن له و لو مره واحده بإلحاق الأذى بأى فرد منهم، رغم كثره طلبه ذلك منه (صلى الله عليه و آله).

أبو سفيان يقبل غرز رسول الله (صلى الله عليه و آله):

و قد أشرنا أكثر من مره إلى مشروعيه التقييل للأنبياء و الأولياء و آثارهم، و قد ذكر في الروايات الكثير من الشواهد و الدلالات على ذلك، و الروايات المتقدمه أظهرت سعى أبى سفيان، و مزاحمته للناس حتى مر تحت الرماح، و وصل إلى النبي (صلى الله عليه و آله)، و أخذ بغرزه فقبله ..

و لم يمنعه رسول الله (صلى الله عليه و آله) من ذلك، و لا أشار إلى أى تحفظ على هذا التقييل، فيدخل تحت قاعده مشروعيه فعل ما سكت المعصوم عن الاعتراض على فاعله ..

و من جهه أخرى، فإن أبى سفيان الذى لم يزل يجد فى داخله إرهابات الانتقام من النبي (صلى الله عليه و آله) و المسلمين استكبارا منه، و ظلما و عتوا قد أصبح فى موقع المستجدى لعطفهم، و المتملق لهم، و المقبل لغرز النبي (صلى الله عليه و آله)، و المعلن بالمدح و الثناء عليه، فهو يقول له: أنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فهل يعتبر هذا الرجل، و يكف عن التآمر، و الكيد، و بث الفتن و الأحقاد؟!!

تأثير المرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله!!:

وقد تقدم في بعض الروايات: أن ضرار بن الخطاب الفهري حين سمع مقاله سعد أرسل أبياتا مع امرأه من قريش، فعارضت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بها، (فكأن ضرارا أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قريش).

و نقول:

إن هذا تفكير تافه و سخي، يتناسب مع ذهنيه المشركين الذين لا يعرفون معنى النبوه، و لا يعيشون آفاقها.

فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و إن كان إنسانا كامل المزايا الإنسانيه و منها العاطفه الجياشه، و لكن عاطفته هذه تبقى خاضعه لعقله، و محكوم به بالشرع و الدين، و برضا الله تبارك و تعالى ..

فإذا كان هذا العطف متوافقا مع الباطل، و يسخط الله، فإنه يتحول إلى غضب حازم، و قرار جازم لا يحابي، و لا يجامل، و لا تخالطه عاطفه، و لا عصبيات باطله.

و إن كان متوافقا مع الحق، و مع رضا الله، فرضاه تعالى هو الذى يحرك النبى (صلى الله عليه وآله)، و الحق هو الذى يهيمن على تلك الحركه.

إيحاءات لا تجدى شيئا:

وقد ذكرت بعض الروايات المتقدمه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دخل مكه و هو بين أبى بكر (الصديق) و أسيد بن حضير، و هو يحدثهما ..

فقال العباس لأبى سفيان: هذا رسول الله!!

و نقول:

إن مجرد أن يمشى النبي (صلى الله عليه و آله) بين هذا و ذاك لا يدل على فضيله لأى منهما.

إلا إذا ثبت: أنه (صلى الله عليه و آله) هو الذى طلب منهما أن يكونا معه و إلى جانبه.

و ثبت أيضا: أنه أراد تكريمهما بذلك ..

و لم يثبت أى من هذين الأمرين .. لكننا نعرف أن من المألوف أن يسعى الناس أنفسهم للتقرب من العظماء، فكيف لا يتقربون من الأنبياء؟ و لا سيما فى مثل هذا الفتح العظيم.

بل إن التحدث عن أن هذا الأمر يشير إلى خصوصيه امتياز بها أبو بكر و أسيد بن حضير على من سواهما يوجب الريب فيما يدّعيه أتباع و محبو نفس هؤلاء، من تقدم لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و سواهما على أسيد بن حضير، فكيف اختص أسيد بهذه الفضيله دون هؤلاء، بما فيهم عمر بن الخطاب!؟

و أما قولهم: إن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يحدث أبا بكر، و أسيد بن حضير .. فإن كان على تقدير أن يكون أحدهما قد سأل النبي (صلى الله عليه و آله) عن أمر ما، فكان النبي (صلى الله عليه و آله) يجيبه عنه، فهو مقبول ..

و أما إن كان يراد تعظيم أبى بكر و أسيد، و لو بقيمه تصغير شأن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقد خاب من اعتدى و افترى على مقام النبوه الأقدس.

على أن من الجائز أن يكونا قد حشرا نفسيهما فى هذا الموقع، و بادرا إلى

طرح بعض الأسئلة لكي يرى الناس أن لهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) موقعا خاصا.

أسلم بنا:

و عن قول العباس لأبي سفيان، حين بعث النبي (صلى الله عليه وآله):

أسلم بنا، نقول:

إنه لمن الغريب حقا: أن يكون ابن عبد المطلب سيد الحجاز، و شيخ بني عبد مناف يعيش هذه التبعية الدليله و المهينه أمام أبي سفيان، حتى إنه يعتبر إسلام أبي سفيان أساسا لإسلامه، و إسلام من هم على شاكلته من الناس .. فأبو سفيان هو المتصرف بهم، حتى في قضايا الإيمان و الإسلام.

و يا ليت العباس كان قد تستر على هذا الضعف المهين، أو أخفى طرفا من هذه التبعية المشينه، فإن إظهارها بهذه الطريقه، و كأنها من الأمور العاديه و المسلمه، حيث يقول: أسلم بنا!! فذلك يؤلم روح الإنسان الحر، و يؤذى مشاعره، لأنه يعتبر ذلك إهانته للإنسانيه و استخفافا بالضمير، و تحقيرا للعقل.

و على كل حال، فإن العباس بقى على تبعيته لأبي سفيان طيله عشرين سنه، بل إنه حتى حين لم يعد له مناص هو و أبو سفيان من إعلان الإسلام لم يضعف اهتمامه بحفظ أبي سفيان، و لم يفتقر عن السعى فى مصالحه، و ما يرضيه .. و لم نجده متحمسا لحفظ أهل الإيمان، حتى لابن أخيه على (عليه السلام) حين اعتدى عليه المعتدون بعد وفاه النبي (صلى الله عليه وآله)، بمقدار عشر حماسه لأبي سفيان فى يوم الفتح .. و ذلك ظاهر لا يخفى.

ص: ٥٦

الفصل الثاني: دخول مكة

اشاره

أدوار مخترعه للعباس رحمه الله:

هذا .. و قد رووا: عن أبي سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن عروه: أن العباس قال: يا رسول الله!! لو أذنت لى فأتيتهم - أى أهل مكة - فدعوتهم فأمنتهم، فركب العباس بغله رسول الله (صلى الله عليه و آله) الشهباء، و انطلق.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (ردوا علىّ أبى، ردوا علىّ أبى، فإن عم الرجل صنو أبيه. إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروه بن مسعود، دعاهم إلى الله - تعالى - فقتلوه، أما و الله لئن ركبوها منه لأضر منها عليهم نارا).

فكره العباس الرجوع، و قال: يا رسول الله، إن ترجع أبا سفيان راغبا فى قله الناس، فيكفر بعد إسلامه.

فقال: (احبسه) فحبسه.

فذكر عرض القبائل و مرورها بأبى سفيان، و فيه: فقال أبو سفيان:

امض يا عباس.

فانطلق العباس حتى دخل مكة، فقال: يا أهل مكة!! أسلموا تسلموا

قد استبطنتم بأشهب بازل (١).

و فى حديث عروه: و كفهم الله عز و جل - عن العباس - انتهى.

قال: ثم إن النبى (صلى الله عليه و آله) قال لأبى سفيان: تقدم إلى مكة فأعلمهم الأمان (٢).

قال العباس: فقلت لأبى سفيان بن حرب: أنج ويحك، فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فخرج أبو سفيان، فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

قالوا: قاتلك الله! و ما تغنى دارك!؟

قال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته، فأخذت بشاربه، و قالت: أقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعه قوم.

فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به (٣).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٣ عن ابن أبى شيبه، و الطبرانى، و تهذيب تاريخ دمشق ج ٧ ص ٢٣٦ و معانى الآثار ج ٣ ص ٣١٥ و عن المصنف ج ١٤ ص ٤٨٤.

٢- البحار ج ٢١ ص ١١٩.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٣ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨١ و راجع: البحار ج ٢١ ص ١٣٠ و راجع ص ١١٩ و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢ و ٨٢٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١.

و فى نص آخر: أن أبا سفيان أقبل ىركض حتى دخل مكة و قد سطم الغبار من فوق الجبال (١)، ثم صاح: يا آل غالب، البيوت البيوت. من دخل دارى فهو آمن، فعرفت هند فأخذت تطردهم ..

إلى أن قالت الروايه: أن أبا سفيان قال لها: ويلك إنى رأيت ذات القرون، و رأيت فارس أبناء الكرام، و رأيت ملوك كنده و فتيان حمير، يسلمن (يسلمون) آخر النهار، ويلك اسكتى، فقد و الله جاء الحق، و دنت البليه (٢).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نذكرها فيما يلى:

خوف النبى صلى الله عليه و آله على العباس:

و بالنسبه لما ذكر من خوف النبى (صلى الله عليه و آله) على عمه العباس، و طلبه أن يردوه عليه، نقول:

إننا نكاد نطمئن إلى أنها روايه مفتعله فى معظمها، فلاحظ ما يلى:

١- كيف يرضى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يذهب العباس إلى أهل مكة، و يأذن له بأن يركب بغلته .. إذ لم يكن ليركب العباس بغله رسول الله (صلى الله عليه و آله) من دون إذنه .. ثم يغير قراره مباشرة، و يطلب من الناس إرجاع العباس.

١- سطم الغبار: إرتفع.

٢- البحار ج ٢١ ص ١٣٠ و ١٣١ عن المناقب، و إعلام الورى، و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٢ و ٨٢٣.

فإن لم يكن ملتفتا في بادئ الأمر إلى أن أهل مكة قد يؤذون عمه، و قد يجرى له معهم كما جرى لعروه بن مسعود حيث قتلته ثقيف حينما دعاهم إلى الله تعالى، فذلك يشير إلى نقص لا يصح نسبته إلى النبي (صلى الله عليه و آله) .. و إن كان قد التففت إلى ذلك و كان قرارا مصيبا، فلما ذا عدل عنه؟! و إن كان قرارا خاطئا فلما ذا اتخذه، و أصدر أمره على أساسه؟!!

و هل يمكن أن يكون النبي (صلى الله عليه و آله) مترددا إلى هذا الحد؟

ثم ألا يوجب ذلك وهن أمره، و ضعف أثره؟

و من تكون هذه حاله، كيف يستطيع أن يجمع هذه الجموع و يحقق هذه الإنجازات؟!!

٢- إن عروه بن مسعود حين دعا ثقيفا إلى الله لم يكن وراءه من تخشاه ثقيف و لا كان معه، عشره آلاف مقاتل، و لا كان قد أخذ من زعمائهم من هو مثل أبي سفيان، و بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام ..

أما العباس، فكان كل ذلك متوفرا بالنسبة إليه، فلا معنى لقياس حاله بحال ابن مسعود الثقفي، الذي قتلته ثقيف ..

٣- إن واضع الرواية لم تكن لديه خبره كافيته بالتاريخ. فإن ما ذكره من خشية النبي (صلى الله عليه و آله) من أن يجرى على عمه مثل ما جرى على عروه بن مسعود، حيث قتلته ثقيف حين ذهب إليهم يدعوهم إلى الله، لا يمكن أن يصح، لأن عروه - كما صرحت به النصوص - إنما قتلته ثقيف في سنة تسع بعد رجوع أبي بكر من الحج (١).

و قد كان فتح مكة فى شهر رمضان من سنه ثمان كما هو معلوم، أو بعد حرب الطائف كما ذكره ابن إسحاق (١). و قد كان الفتح فى شوال سنه ثمان.

و سيأتى ذلك كله مع مصادره بعد غزوه الطائف إن شاء الله تعالى.

٤- ما معنى: أن لا يرضى العباس أن يمتثل لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، حيث كره الرجوع، رغم أنه (صلى الله عليه و آله) قد أمره به.

٥- ما معنى: أن يأمر أبو سفيان العباس بأن يمضى معه، فيطيعه، و يدخل معه مكة، و ذلك بعد أن رأى أبو سفيان عرض القبائل و مرورها ..

و لا يرضى بإطاعه أمر الرسول (صلى الله عليه و آله) له بالرجوع!؟

فهل كان النبى (صلى الله عليه و آله) غافلا عن أن المصلحه هى فى أن يرى أبو سفيان ذلك العرض، ثم يذهب هو و العباس بعده إلى أهل مكة!؟

و لو صح ذلك، فكيف نرد على الروايات المصرحه: بأن النبى (صلى الله عليه و آله) قد أمر العباس - فور إسلام أبى سفيان - أن يوقفه عند العقبه، و يريه عرض القبائل!؟ بل الروايات تقول: إن العباس هو الذى اقترح ذلك، فقبله منه النبى (صلى الله عليه و آله).
آله).

فإن هذا يعنى: أن أمر النبى (صلى الله عليه و آله) للعباس بدخول مكة، ثم تراجعته عن قراره - حسبما يزعمون - قد كان بعد العرض الذى رآه أبو سفيان، و هو ينافى قولهم: إنه رأى العرض بعد إرجاع النبى (صلى الله عليه و آله) للعباس ..

١- الإصابه ج ٢ ص ٤٧٧ عن ابن إسحاق، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٧ عن الإكتفاء.

٦- لماذا يراد تضخيم دور العباس بتصوير أنه مستهدف من قبل المشركين، حتى كأن سيوفهم ورماحهم مشرعه لتغمد في صدره و نحره، حتى ليقول عروه: (و كفهم الله عز و جل عن العباس). إذ متى استهدف المشركون العباس بسوء؟

٧- إن الروايات تظهر: أن أبا سفيان هو الذى دعا أهل مكة للإسراع بالاستسلام، و هو الذى أخبرهم بالأمان، ثم دخل الجيش مكة.

و لم نجد أية فرصة للعباس ليقول لأهل ذلك البلد شيئاً، سوى تلك الكلمة التى يزعمون: أن أبا سفيان أمره بأن يقولها، و هى نفسها التى قالها لهم أبو سفيان أيضاً.

٨- إننا لم نعهد النبى الكريم (صلى الله عليه و آله) يتصرف بهذه اللهفه على العباس، أو على غيره انطلاقاً من الداعى النسبى، فضلاً عن أن يبرر تصرفه هذا بأمر عادى جداً. حيث يقول: (فإن عم الرجل صنو أبيه)، مع ملاحظه أن أبا لهب كان عم النبى (صلى الله عليه و آله) أيضاً، فهل هو الآخر صنو أبيه أيضاً فى مواقفه، و فى حربه له و لدينه؟!

٩- إنه (صلى الله عليه و آله) لم يرسل العباس لدعوه أهل مكة لدينه.

بل أرسله بالأمان لهم على دمائهم و أموالهم. فهم يرونه محسناً لهم .. حتى لو خطأوه فى دعوتهم إلى هذا الأمان. مع أنهم سوف يرون موقفه هذا هو عين الصواب.

سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبه أخرى:

و مما يدخل فى سياق تعظيم العباس و تفخيمه، ما زعموه من أن النبى

(صلى الله عليه وآله) لما فتح مكة أوحى الله إليه: إن عمك له عليك يد سابقه، وجميل متقدم، وهو ما أنفق عليك في ولیمه عبد الله بن جدعان، مع ما له عليك في سائر الأزمان. وفي نفسه سهم من سوق عكاظ، فامنحه إياه في مده حياته، وولده بعد وفاته.

ثم قال: ألا لعنه الله على من عارض عمى في سوق عكاظ، و نازعه فيه. و من أخذه فأنا برىء منه، و عليه لعنه الله، و الملائكة، و الناس أجمعين.

فلم يكثر عمر بذلك، و حسد العباس على دخول سوق عكاظ، و غصبه منه (١).

و نقول:

إن لنا على هذا النص العديد من المؤاخذات.

أولاً: قال العلامة الشيخ محمد تقى التستري ما محصله: إن مضمون هذا الحديث يدل على كذبه.

و لو كان صحيحاً، فلم لم يذكر مضامينه المفيد، و المرتضى، و لم يرد في كتاب آخر، أو خبر؟! (٢).

ثانياً: ما معنى: أن ينفق العباس على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ولیمه شخص آخر و هو عبد الله بن جدعان؟ فإن المفروض: أن يكون من ينفق في الولیمه هو صاحبها، و أن لا يرضى بأن يشاركه غيره في الإنفاق، لأن ذلك يتضمن انتقاصاً من مقامه، و تشكيكاً في قيامه بما يتوجب عليه.

١- قاموس الرجال ج ٥ ص ٢٣٣.

٢- راجع: قاموس الرجال ج ٥ ص ٢٣٤.

ثالثا: ما معنى: أن يحسد عمر العباس على دخول عكاظ؟ فإن المفروض هو: أن يحسده على حصته في ذلك السوق، لا على مجرد الدخول فيه، علما بأن الناس كلهم يقدرّون على دخول سوق عكاظ، و منهم عمر نفسه؟! إلا أن يكون المقصود هو دخوله بعنوان كونه مالكا و شريكا في جزء منه، لا مطلقا ..

و لكن لماذا لا يفصح هذا القائل عن مراده، و يورد الكلام بصورة مبهمه؟!

رابعا: هل كان ذلك السوق مملوكا لأشخاص، أم كان مجرد مكان عام واسع يجتمع به الناس، و يبيعون و يشترون، و يتناشدون الأشعار و ما إلى ذلك؟!

خامسا: قد دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ربه أن لا يجعل لفاسق و لا لفاجر عنده نعمه (١). فما بالك بالمشرك؟! كما أنه (صلى الله عليه و آله) كان لا يقبل هديه من المشرك (٢).

فذلك الدعاء يدل على أنه (صلى الله عليه و آله) لم يكن لأحد منهم قبل الدعاء و بعده أية يد عنده.

١- أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

٢- راجع: المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ و تلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) و صححاه، و مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٧٨ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عنه، و عن كثر العمال، و الترايب الإداريه ج ٢ ص ٨٦ و المعجم الصغير ج ١ ص ٩ و الوسائل ج ١٢ ص ٢١٦ و كثر العمال (طبعه أولى) ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن أحمد، و الطبراني، و الحاكم، و سعيد بن منصور، و أبي داود، و الترمذی، و الطيالسی، و البيهقی، و ابن عساكر، و المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و في هامشه عن مغازی ابن عقبه، و عن الترمذی ج ٢ ص ٣٨٩ و مجمع البيان المجلد الأول ص ٥٣٥.

و إذا كان الله تعالى قد مدح الأتقى حيث قال: **وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١)**، فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الأولى بهذا المدح، لأنه المصداق الأتم لما ذكرته الآيات من أوصاف حميده ..

فما معنى أن يكون للعباس يد عند رسول الله (صلى الله عليه و آله)، مما كان أنفقه عليه في وليمه ابن جدعان، مع ما له عليه في سائر الأزمان؟! ألم يكن العباس مشركا آتئذ و بعد ذلك إلى عشرات السنين؟!

و ألا ينافى ذلك نص الآية الكريمة التي نفت- على سبيل المدح- أن يكون لأحد عند ذلك المؤمن نعمه تجزى، فبطريق أولى أن لا يكون لأحد عند النبي (صلى الله عليه و آله) أيه نعمه تستحق الجزاء و المكافأه؟!

كيف دخل النبي صلى الله عليه و آله مكة؟!:

قالوا: لما ذهب أبو سفيان إلى مكة بعد ما عاين جنود الله- تعالى- تمر عليه، و اصل المسلمون سيرهم، حتى انتهوا إلى ذي طوى، فوقفوا ينتظرون رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى تلاحق الناس، و أقبل رسول الله (صلى الله عليه و آله) في كتيبته الخضراء، و هو على ناقته القصواء، معتجرا (٢) بشق برد حبره (٣) حمراء (٤). و قد أردف أسامه بن زيد و قد طأطأ رأسه تواضعا

١- الآية ١٩ من سوره الليل.

٢- اعتجر فلان بالعمامة: لفها على رأسه و ردّ طرفها على وجهه.

٣- الحبره: ثوب مخطط من القطن أو الكتان.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن ابن إسحاق و غيره، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٤ و المغازى ج ٢ ص ٨٢٣ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

للّٰه تعالى، و هو يقرأ سورة الفتح (١).

و عن أنس قال: لما دخل رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله متخشعا (٢).

و عن أبي هريره قال: دخل رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) يومئذ و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء، و لواؤه أسود حتى وقف بذي طوى، و توسط الناس، و إن عثونه (٣) ليمس واسطه رحله، أو يقرب منها تواضعا للّٰه عز و جل، حين رأى ما رأى من فتح اللّٰه تعالى، و كثره المسلمين، ثم قال:

(اللهم إن العيش عيش الآخرة) (٤).

قال: و جعلت الخيل تمعج (٥) بذي طوى فى كل وجه، ثم ثابت و سكنت حين توسطهم رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) (٦).

و عن أنس و عمرو بن حريث: أن رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله)

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن الحاكم و أبى يعلى، و ابن عدى فى الكامل ٤ / ٥٧١، و انظر مجمع الزوائد ٦ / ١٩٦ و السيره الحليه ج ٣ ص ٨٤.

٣- العثون: ما نبت على الذقن و تحته.

٤- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣. و راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٦٧ عن ابن أبى شيبه، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و أبى داود، و الترمذى فى الشمائل، و البيهقى فى سننه، و النسائى، و راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٥- معج الفرس: أسرع، أو سار لشده عدوه مره فى الشق الأيمن و مره فى الشق الأيسر.

٦- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن ابن سعد ٣ / ١ / ١٨٠ و المغازى ج ٢ ص ٨٢٤.

دخل مكة و عليه عمامه سوداء بغير إحرام (١).

و عن عمرو بن حريث قال: كأني أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكة، و عليه عمامه سوداء خرقانيه، و قد أرخى طرفها بين كتفيه (٢).

و قد أشرنا أكثر من مره إلى الإختلاف بين اللواء و الرايه، و غير ذلك ..

و بالنسبه لما روى عن أبي هريره: من أن لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) أسود و رايته سوداء، فى فتح مكة .. نقول:

قد رووا عن جابر أيضا، أنه قال: كان لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم دخل مكة أبيض (٣).

و عن عائشه: (كان لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح أبيض، و رايته سوداء، تسمى العقاب، و كانت قطعه مرط (٤) (٥) (٦).

- ١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن أحمد، و مسلم، و الأربعة، و فى هامشه عن: مسلم ٢ / ٩٩٠ (١٣٥٨ / ٤٥١) (١٣٥٣) / ١٣٥٩) و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٦٧ و ابن أبى شيبه ٨ / ٢٣٤ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.
- ٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن مسلم.
- ٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن الأربعة و أشار فى هامشه إلى البخارى ٧ / ٦١١ (٤٢٩٠) و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٤.
- ٤- المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان.
- ٥- المرحل: ما ينقش عليه صوره رحل الإبل.
- ٦- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ عن ابن إسحاق، و قال فى هامشه: أخرجه أبو داود فى الجهاد باب (٧٦)، و الحاكم ٢ / ١٠٤ و ابن أبى شيبه ١٢ / ٥١٤، و البيهقى ٦ / ٣٩٢. و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥.

و عنها أيضا قالت: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح من كداء من أعلى مكة (١)، و خرج من أسفلها و هو ثنيه كدى.

و عند الواقدي: أنه (صلى الله عليه و آله) أمر الزبير أن يدخل من كدى، و أمر خالد أن يدخل من الليط (موضع بأسفل مكة)، و أمر سعد بن عباد أن يدخل من كداء، و الرايه مع ابنه قيس، و مضى (صلى الله عليه و آله) فدخل من أذاخر (٢).

و قالوا: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة، و ضربت له هناك قبه (٣).

و روى: عن ابن عمر: لما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة عام الفتح، رأى النساء يلطنن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبي بكر، فقال: (يا أبا بكر كيف قال حسان)؟!

فأنشده أبو بكر قول حسان:

عدمت بنيتي إن لم تروهاتثير النقع من كتفى كداء

ينازعن الأعنه مسرجات يلطمهن بالخمير النساء فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (ادخلوها من حيث قال حسان) (٤).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٦ عن البخارى و البيهقى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٥ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٣- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ عن البيهقى فى الدلائل ٥/ ٦٦ و الطحاوى فى المعانى ٤/ ٢٩٦ و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣.

قال الصالحى الشامى: و فى الصحيح و غيره عن عروه: (أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة، و أن يغرز رايته بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه) (١).

و قال فى الصحيح أيضا عن العباس: أنه قال للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله ها هنا أمرك رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن تركز الرايه؟

قال: نعم (٢).

قال: و أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) خالد بن الوليد- و كان على المجنبه اليمنى، و فيها أسلم، و سليم، و غفار، و مزينه، و جهينه، و قبائل من العرب- أن يدخلوا من الليط، و هو أسفل مكة، و أمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت (٣)، و بها بنو بكر، و بنو الحارث بن عبد مناه، و الأحابيش الذين استنفرتهم قريش (٤).

و أمر أبا عبيده بن الجراح على الحسّر (٥). و الحاسر فى مقابل الدارع.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ و فى هامشه عن البخارى ٥٩٨ / ٧ (٤٢٨٠) و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و ٨٥ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١ و ٨٢.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ عن البخارى ٥٩٨ / ٧.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥.

٤- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٥- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ عن أحمد و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و ٨٤.

وقال الصالحى الشامى: وقع فى الصحيح عن عروه قال: و أمر النبى (صلى الله عليه و آله) يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، و دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) من أسفل مكة من كدى، أى بالقصر (١). و هذا مخالف للأحاديث الصحيحه.

ففى الصحيح و غيره: أن خالد بن الوليد دخل من أسفل مكة، و دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) من أعلاها، و به جزم ابن عقبه، و ابن إسحاق و غير هما (٢).

و عن عبد الله بن رباح: أن أبا عبيده كان على البياذقه، يعنى الرجاله (٣).

و عند ابن إسحاق و عبد الله بن أبى نجيح أن أبا عبيده بن الجراح أقبل بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

قالوا: و أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمراءه أن يكفوا أيديهم، و لا يقاتلوا إلا من قاتلهم (٤).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٧ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ ..

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٧ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ عن مسلم فى الجهاد (٨٦) و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ عن المواهب اللدنيه، و المنتقى

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٥.

النبي صلى الله عليه وآله يقرأ سورة الفتح:

عن قراءة النبي (صلى الله عليه وآله) سورة الفتح حين دخوله مكة نقول:

إن هذه السورة قد نزلت في شأن الحديبيه في ذى القعدة سنة ست (١).

وقد قرأها النبي (صلى الله عليه وآله) على المسلمين، ليدكرهم برعايه الغيب لهم، و تحقق ما وعدهم به و إذا كان المشركون يتتبعون أخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله)، خصوصا ما له ارتباط بحركه الصراع معه، فلا بد من أن يكون قد تناهى إلى مسامعهم نزول هذه السورة التي تعينهم بصورة مباشره، و جديده و حقيقيه، لأنها تتضمن الوعد بالفتح، و بأمور أخرى هامه و حساسه جدا، و فيها ما يمسه هم كأشخاص في تعاملهم معه (صلى الله عليه وآله).

فإذا قرأ هذه السورة في حال دخوله مكة، فإن أهل الإيمان سوف يزدادون إيمانا، و أهل الكفر و الشرك سوف يغرقون في بحر من التأمل الذي قد ينتهي بقناعه تتكون لديهم بعدم جدوى استمرار الجحود، و بأن لا فائده من تبييت النوايا السيئه، و لن ينتهي كيدهم و مكرهم و تأمرهم إلى أية نتيجة ..

بل إن قراءة هذه السورة في حال دخول مكة لا بد من أن يسوق المسلمين و المشركين معا إلى ترقب تحقق سائر المضامين التي ذكرت في آياتها

١- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٦٧ عن ابن إسحاق، و الحاكم، و البيهقي في الدلائل، و الكشاف ج ٣ ص ٥٤٠.

التي نزلت قبل سنوات، و التي حضر وقت تحققها.

و ستكون لحظات ممتعه، و لذيله لكل أحد، و هو يرى أمرا غيبيا عرفه، و سمعه و وعاه، يتحقق أمام عينيه.

الفتح جائزه المذنب:

و قد جاء فى أول سورة الفتح قوله تعالى: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (١).** فليلاحظ:

أولاً: إن الله تبارك و تعالى يقول: إن سبب هذا الفتح الذى منحه إياه، هو أنه أراد أن يغفر له ذنبه .. فهل يعقل أن يعطى المذنب جائزه بهذه العظمه، و الأهميه و الخطوره على جرأته عليه، و على ذنب ارتكبه؟! بحيث يكون مغفره الذنب سببا لهذه الجائزه!!

ثانيا: كيف نتصور أن يكون الله تعالى قد فتح لنبيه (صلى الله عليه و آله) ليغفر له ذنبه؟!

ثالثا: لو سلمنا: أن هذا الفتح سبب لمغفره الذنب الصادر، فكيف يكون سببا لمغفره الذنب الذى سوف يصدر؟!

إن هذا الأسئلة ستكون محرجه جدا إذا كان المراد بالذنب هو الجراه على الله، و ارتكاب ما نهى عنه، و مخالفه أوامره. و المراد بالمغفره الستر، و المراد بالذنب ما اعتبره المشركون ذنبا له (صلى الله عليه و آله)، و هو دعوته

إلى الإسلام، ورفضه الشرك، و ما وقع من حروب معهم، و قتل لرجالهم و إسقاط لأطروحتهم ..

فجاء فتح مكة ليكسر شوكتهم، و يخمد نارهم، و ليدخلوا فى دين الله، و ليروا أن مصلحتهم تقضى بالتقرب منه (صلى الله عليه و آله)، و الاستفادة من الخيرات التى تهيأت لهم فى ظل الإسلام.

و أصبحوا يصرحون: بأنهم هم المخطئون و هو المصيب.

و عوضا عن توصيفه بالغادر و قاطع الرحم، و المذنب فى عيب آلهتهم و الكاذب و .. و .. الخ .. صاروا يصفونه بالوفى، و الحليم، و الكريم، و الوصول و الصادق و .. و .. الخ ..

كما أن ما كانوا يعدونه ذنبا لو فعله فى أيام شركهم، قد غفروه له، بل صاروا يعدونه حسنا و إحسانا و حقا بعد هذا الفتح العتيد.

العيش عيش الآخرة:

و قد ذكرت الروايات: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال حين دخل مكة: (العيش عيش الآخرة).

و نقول:

ربما نستفيد من هذا القول: أنه (صلى الله عليه و آله) يريد إفهام أهل مكة، و المسلمين الفاتحين و غيرهم: أن هذا الفتح العظيم يجب أن يقودنا قبل اتخاذ أى موقف منه إلى إجراء دراسته لنتائج و آثاره الدنيوية و الأخروية، بهدف الموازنة فيما بينها، لكى ينصب الاهتمام على الأهم، فيحافظون عليه، و يعملون على ترشيده، و تنميته، و تقويته، و ليس لأحد أن يتلهى بالتفاهات، و القشور،

و يضيع فيها، و يضيع هذا الإنجاز العظيم أيضا ..

و قد سارع رسول الله (صلى الله عليه و آله) لرسم معالم الحق و الحقيقه، و السداد و الرشاد فى هذا الفتح، و حدد المكامن الحقيقه و الراسخه و الخالده فيه، و بين أنها ليست- حتما- فى هذه الحياه الدنيا، و إنما هى فى الدار الآخره.

فإن الفتح إذا كان يفتح أبوابا لأنواع أفضل من العيش فى الدنيا، فإن الأبواب التى يفتحها للعيش الخالد و الرضى فى الآخره، فى ظل الرضا الإلهى ستكون هى الأرقى و الأفضل ..

و هو إنما يقدم هذه المعادله للناس من موقع النبوه المطلعه بعمق على واقع حقيقه الدنيا و الآخره، من خلال الوحي الإلهى الذى يكشف هذه الحقائق و بينها للأنبياء (عليهم السلام)، كأفضل ما يكون الكشف و البيان.

و قد كان لا بد من إطلاق هذا البيان لأمه تؤمن بالغيب، و لطوائف من الناس يتحفزون للخروج من أسر الشرك إلى الحريه فى رحاب التوحيد ..

فيربط على قلوب أهل الإيمان، و المعلنين بالإسلام، و يزيد فى وضوح الرؤيه لأولئك الخارجين من أحضان الشرك و الجحود إلى آفاق الإسلام الرحبه ..

تواضع رسول الله صلى الله عليه و آله و تخشعه لربه:

و قد كانت تلك البيانات بالقول دروسا تحمل فى طياتها الوعى الرسالى للمفاهيم و الحقائق ..، و التربيه الروحيه، و الرشاد و السداد فى الفكر، و الوعى، و الاعتقاد ..

و قد رافقتها حاله سلوكيه لا بد من أن تترك أثرها العميق على روح و فكر أهل الإيمان، و أهل الكفر و الشرك و الطغيان على حد سواء ..

إذ ربما لم يكن يخطر على بال أحد: أن تتجلى حاله الخشوع و الخضوع، و التظامن و التواضع لله سبحانه في هذه اللحظات بالذات، بل ربما يتوقع الناس: أن يروا هيبه الملك، و عظمه النصر، و الهيمنه و الحزم، و نظرات التصميم و العزم في كل حركه و لفته في خصوص هذا الظرف الحساس، الذى يحتاج إلى إصدار الأوامر، و توزيع المهام، و إظهار القوه و الشوكه لقطع دابر أى تفكير بالتمرد، أو الغدر، أو الكيد و المكر الذكى و الخفى ..

و لكن الجميع رأوا مظهرا آخر من مظاهر العبوديه لله سبحانه، و صورته رائعه من صور الخضوع و الخشوع له، حتى إن هذا الفاتح المنتصر يطأطئ رأسه تخشعا و تواضعا إلى حد أن عثونه يلامس واسطه رحله، أو يقرب منها، و ذلك لما رآه من الفتح، و كثره المسلمين.

إن هذا النبى (صلى الله عليه و آله) و كل إنسان مؤمن واع لحقيقه إيمانه يدرك: أنه لا يكثر بالناس أمام الله، بل يكون أمام الله وحيدا فريدا، و إنما يكثر بالله وحده لا شريك له ..

إنه يريد من الله تعالى أن ينصره و ينصر من معه، و لا يريد أن ينتصر بهم.

كما أنه حين دخل حرم الله مع هذه العساكر، إنما أراد بذلك حفظ حرمه الحرم و البيت، و منع هتك حرمة من قبل العتاه و القساة بشركهم، و كفرهم، و ظلمهم، و إفسادهم فى الأرض، و محاربتهم لدين الله تعالى ..

و يلاحظ هنا: أن النص المتقدم يقول: استشرفه الناس، فوضع رأسه

على رحله متخشعا، أى أنه حين يستشرف الناس أحدا فإنه يشعر بأنه أصبح محط أنظارهم و ملتقى أبصارهم، و أن الخطرات و الصور تتزاحم فى داخل مخيلتهم عن مزاياه، و عن مظهره و خفاياه، و عن حجم قدراته، و سائر صفاته، فيرى لنفسه نوعا من الخصوصية، و درجه من المحوريه.

و لكن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يجد نفسه أمام أنظار هؤلاء الناس، بل وجد نفسه أمام الله وحده، فهو يراعه، و يراه، و يراقب حاله و مسراه، فتواضع له و تخشع، و طأطأ برأسه و لم يكذب يرفع.

رايه الزبير:

و بالنسبه لبعض التفاصيل نقول:

هناك حديث عن رايه كانت مع الزبير، و أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان قد أمره أن يركزها بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه، و نحن لا ننكر أن يكون ذلك قد حصل فعلا .. غير أننا نقول:

أولاً: لا- شك فى أنها ليست هى رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله) التى هى للجيش كله، فإن تلك كانت مع على أمير المؤمنين (عليه السلام) كما دلت عليه النصوص الكثيره التى ذكرناها فى أوائل غزوه أحد.

ثانياً: إن ملاحظه النصوص تعطى: أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان يختار مواقع معينه ليركز فيها إحدى راياته، و لعل ذلك يهدف إلى إظهار الهيمنه على تلك المنطقه، و بسط النفوذ على ذلك المحيط، لكى لا ينتهز الفرصه أوباش الناس، أو طلاب اللبانات للعبث بأمن الناس، أو للتعدى على ممتلكاتهم، و لتكون مثابه لجند الإسلام فى تلك المنطقه، و نقطه تجمع و انطلاق.

و هذا يفسر لنا أمره (صلى الله عليه و آله) خالد بن الوليد و من معه بان يدخلوا من الليط- و هو أسفل مكة- و أن يغرز رايته عند أدنى البيوت كما ذكرته النصوص المتقدمه أيضا.

ثالثا: إنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر قيس بن سعد أن يغرز رايته فى الحجون أيضا، و أمر خالدًا بغرز رايته أسفل مكة، عند أدنى البيوت، فهل ذلك يدل على ان خالدًا أو قيسا كانا يحملان رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!!

الأمر لسعد، و الرايه لقيس:

و ثمه مفارقه أخرى تظهر فى النصوص المتقدمه، و هى: أن أحدها يقول: إنه (صلى الله عليه و آله) أمر سعد بن عباده أن يدخل من كداء و الرايه مع ابنه قيس (١).

فإن الأمر إنما يصدر لصاحب الرايه التى يتبعها الناس، و يتحلقون حولها، فإصدار الأمر لسعد مع كون الرايه مع قيس يصبح غير ظاهر الوجه ..

و يزيد الأمر إشكالا بملاحظه ما قدمناه من أن الروايات تقول: إن عليا (عليه السلام) هو الذى أخذ الرايه من سعد و ادخلها إلى مكة إدخالا رفيفا حتى غرزها عند الركن، إلا أن يكون النبى (صلى الله عليه و آله) قد وزع الناس مره أخرى فى داخل مكة، و أمرهم أن ينزلوا فى مواقع معينه فى أنحاء

مختلفه، فأعطى الرايه لقيس ليوصلها إلى ذلك المكان، و أبقى القيادة العمليه لأبيه سعد.

النساء يلظمن وجوه الخيل:

و حديث لطم النساء وجوه الخيل بخمرهن، و مطابقته لما ورد في شعر حسان بن ثابت- إن صح- فهو من الدلائل الموجهه لرسوخ يقين أهل الإيمان، و تخفيف حده أهل الكفر و الشرك، و تضاؤل ميلهم إلى الجحود و التحدى، أو المماطله فى قبول الإسلام دينا .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ٧٨ النساء يلظمن وجوه الخيل: ص : ٧٨

فإذا أصروا على مواقفهم، و أرادوا المكر بأهل الدين و بالمؤمنين، فذلك يكون من موجبات خزيهم، و بوار حجتهم ..

كيفية الدخول و الخروج من مكه:

قال الحلبي بعد أن ذكر أن النبي (صلى الله عليه و آله) دخل مكه يوم الفتح من أعلاها، أى من (كداء)، و خرج من أسفلها: (و بهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكه من الأولى، و الخروج من الثانيه) (١).

و نقول:

إن هذا الاستدلال غير مقبول:

أولاً: إن هذا الدخول و ذلك الخروج لا يدل بمجردة على الاستحباب، إذ لعله أمر اقتضته أحوال عسكريه، أو طبيعه التركيبه السكانيه، أو طرق ذات خصوصيات تفرض الدخول من هنا، و الخروج من هناك.

نعم لو علمنا: أنه (صلى الله عليه و آله) لم يأخذ أى شىء بنظر الاعتبار، سوى مراعاة ما يستحب له فى الأحوال العادية ..

و سلمنا: أن هناك استحبابا فيما يرتبط بكيفية أو بطريق الدخول و الخروج من مكة، كان للحكم بالاستحباب وجه ..

ثانيا: إذا كان الدخول مستحبا من نقطه بعينها، فلما ذا أمر (صلى الله عليه و آله) الكتائب الأخرى بالدخول إلى مكة من جهات أخرى لا يستحب الدخول منها؟! و هل يمكن أن يأمرهم بمخالفه المستحب؟! و ما ذا لو كانوا يريدون رعايه الحكم الاستحبابى، ثم جاء أمره لهم بمخالفه المستحب!؟

ثالثا: سيأتى: أن عروه يروى - كما فى صحيح البخارى (١)-: أن النبى (صلى الله عليه و آله) دخل من أسفل مكة، فكيف جزم هؤلاء باستحباب دخولها من أعلاها؟!؟.٧.

ص: ٨٢

الفصل الثالث: القتال في مكة

أشاره

خالد يقاتل في مكة!!:

وقالوا: إن صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل، و سهيل بن عمر، دعوا إلى قتال رسول الله (صلى الله عليه و آله) و جمعوا أناسا بالخدمه (و هو جبل بمكة)، و ضوى إليهم ناس من قريش، و ناس من بنى بكر، و هذيل، و لبسوا السلاح، يقسمون بالله لا يدخلها محمد عنوه أبدا.

و كان رجل من بنى الدليل، يقال له: جماش بن قيس بن خالد، لما سمع بدخول رسول الله (صلى الله عليه و آله) جعل يصلح سلاحه.

فقال له امرأته (و كانت قد أسلمت سرا): لمن تعدّ هذا؟

قال: لمحمد و أصحابه.

قالت: و الله، ما أرى يقوم لمحمد و أصحابه شىء.

قال: و الله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، فإنك محتاجه إليه.

قالت: ويلك، لا تفعل، و لا تقاتل محمدا. و الله ليضلن عنك رأيك لو قد رأيت محمدا، و أصحابه.

قال: سترين. ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى عليهنذا سلاح كامل و آله

و ذو غرارين سريع السله

ثم شهد الخندمه مع صفوان، و سهيل بن عمرو، و عكرمه، فلما دخل خالد بن الوليد من حيث أمره رسول الله (صلى الله عليه و آله) وجد الجمع المذكور، فمنعوه الدخول، و شهروا له السلاح، و رموه بالنبل، و قالوا: لا تدخلها عنوه.

فصاح فى أصحابه، فقاتلهم، و قتل منهم أربعة و عشرون رجلا من قريش، و أربعة من هذيل (١).

و قالوا: أصيب من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر، و انهزموا أقبح الانهزام، حتى قتلوا بالحزورة، و هم مولون فى كل وجه.

و انطلقت طائفه منهم فوق رؤوس الجبال، و أتبعهم المسلمون (٢).

و جعل خالد يتمثل بهذه الأبيات، و هو يقاتل خارجه بن خويلد الكلبي:

إذا ما رسول الله فينا رأيتك كلجته بحر نال فيها سيرها

إذا ما ارتدنا الفارسيه فوقهاردنيه يهدى الاصم خيرها

رأينا رسول الله فينا محمدالها ناصرا عزت و عز نصيرها (٣)

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٣ ص ٢٢٨ عن ابن إسحاق، و الواقدي، و السيره الحلييه ج ٣ ص ٨٣، و راجع: المغازى للواقدي ج ٢

ص ٨٢٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٨ عن ابن إسحاق، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٦.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٣ ص ٢٢٨ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٦.

و كان شعار المهاجرين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة، و حينئذ، و الطائف: يا بني عبد الرحمن. و شعار الخزرج: يا بني عبد الله، و شعار الأوس: يا بني عبيد الله (١).

و جعل أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش، علام تقتلون أنفسكم؟! من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن، فجعل الناس يقتحمون الدور، و يغلقون عليهم، و يطرحون السلاح فى الطرق، حتى يأخذه المسلمون (٢).

و رجع جماش منهزما حتى انتهى إلى بيته، فدقه، ففتحت له امرأته، فدخل و قد ذهب روحه، فقالت له: أين الخادم الذى وعدتنى؟ ما زلت منتظره لك منذ اليوم- تسخر منه.

فقال: دعى هذا عنك، و اغلقى على بابى، ثم قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمهاذ فر صفوان و فر عكرمه

و أبو يزيد كالعجوز المؤتمهوا استقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد و جمجمه ضربا فلا تسمع إلا الغمغمه

لهم نهيت خلفنا و همهمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه (٣) و أقبل الزبير بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون، فغرز

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٨ عن ابن هشام و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٣ ص ٢٢٨ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٦.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٣ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٧ و ٨٢٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

الرايه عند منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

و لم يقتل من المسلمين إلا رجلا من أصحاب الزبير، أخطأ الطريق، فسلكا غيره فقتلا. و هما كرز بن جابر الفهري، و حبيش الكعبي (١).

و زعم بعضهم: أنهما كانا مع خالد بن الوليد فشدّا عنه فقتلا (٢).

و مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدخل مكة من أذاخر، فلما ظهر على أذاخر، نظر إلى البارقه (٣) مع فضض (٤) المشركين، فقال: (ما هذه البارقه؟! ألم أنه عن القتال؟)

قالوا: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل و لو لم يقاتل ما قاتل، و ما كان يا رسول الله ليعصيك، و لا يخالف أمرك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (قضاء الله خير) (٥).

و صرح الديار بكرى: بأن المهاجرين هم الذين قالوا له (صلى الله عليه وآله): نظن أن خالدا قوتل، و بدئ بالقتال، فلم يكن بد أن يقاتل من قاتله (٦).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٣ ص ٢٢٩.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣ عن الإكتفاء.

٣- البارقه: السلاح.

٤- الفضض من الشىء: ما تفرق منه.

٥- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و السيره الحليه ج ٣ ص ٨٣ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٦ و ٨٢٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

٦- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

و فى المنتقى: و كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد (١).

و عن أبى هريره قال: لما كان يوم فتح مكه، و بشت (٢) قريش أوباشا لها و أتباعا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شىء كنا معهم، و إن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا. فرآنى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال: (يا أبا هريره).

قلت: ليك.

قال: (اهتف بالأنصار، و لا يأتينى إلا أنصارى).

قال: ففعلت ما أمرنى به، فأتوه، فقال: (انظروا قريشا و أوباشهم فاحصدوهم حصدا) (حتى توافونى بالصفاء. أى دخلوا من أعلى مكه) (٣) ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى.

فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه. (أو قال: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه) (٤).

فجاء أبو سفيان بن حرب، فقال: يا رسول الله، أبيت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (من دخل دار أبى سفيان فهو

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

٢- بشت: جمعت جموعا من قبائل شتى.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ عن المواهب اللدنيه، و المنتقى عن أحمد و مسلم و النسائى عن أبى هريره.

٤- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٤ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ عن المواهب اللدنيه و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائى عن أبى هريره.

آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن).

فألقى الناس سلاحهم (١).

و قالوا: و وجه (صلى الله عليه و آله) اللوم على خالد، و قال له: قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

قال: هم يا رسول الله بدأونا بالقتال، و رمونا بالنبل، و وضعوا فينا السلاح، و قد كفت ما استطعت، و دعوتهم إلى الإسلام و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا، حتى إذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم قاتلتهم، فظفرنا الله بهم، فهربوا في كل وجه.

فقال (صلى الله عليه و آله): كف عن الطلب.

قال: قد فعلت.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): قضاء الله خير.

و قال (صلى الله عليه و آله): كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر إلى صلاة العصر، فحبطوهم ساعه، و هي الساعه التي أحلت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ عن أحمد، و مسلم، و البيهقي، و غيرهم، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٣ و ٨٤ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ عن المواهب اللدنيه، و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائي عن أبي هريره.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٤ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٩ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣. و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ و عن موارد الظمان للهيتمي (١٦٩٩) و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٧ و عن المصنف لابن أبي شيه ج ٤ ص

و كان (صلى الله عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد (١).

قال الديار بكرى: (أما خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة، فلقية قريش و بنو بكر و الأحابيش، فقاتلوه، فقتل منهم قريبا من عشرين رجلا، و من هذيل ثلاثة أو أربعة، و انهزموا، و قتلوا بالحزور، حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضيضمهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفه منهم على الجبال، و اتبعهم المسلمون بالسيوف، و هربت طائفه منهم إلى البحر، و إلى صوب اليمن) (٢).

و روى الطبراني عن ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) خطب فقال: إن الله عز و جل حرم هذا البلد (٣). فبينما هو كذلك قيل: هذا خالد يقتل.

فقال (صلى الله عليه و آله): قم يا فلان .. الى آخر الحديث التالى ..

و قال الديار بكرى: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قدم خالد بن الوليد، فأنا لهم شيئا من قتل، فجاء رجل من قريش، فقال: يا رسول الله، هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله) لرجل من الأنصار عنده: يا فلان.

قال: لبيك يا رسول الله.

قال: ائت خالد بن الوليد، قل له: إن رسول الله يأمرك أن لا تقتل

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٩.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٩ و المعجم الكبير ج ١١ ص ٤٨.

بمكه أحدا.

فجاء الأنصارى، فقال: يا خالد إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمرك أن تقتل من لقيت.

فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا من مكة.

فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) رجل من قريش، فقال: يا رسول الله، هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم.

قال: ولم؟!!

قال: هذا خالد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ادع لى خالدا.

فلما أتى إليه خالد، قال: يا خالد، ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحدا؟!!

قال: بل أرسلت إلى أن أقتل من قدرت عليه.

قال: ادع لى الأنصارى.

فدعاه له، فقال: ألم آمرك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا؟!!

قال: بلى. ولكنك أردت أمرا وأراد الله غيره، فكان ما أراد الله ..

فسكت (صلى الله عليه وآله)، ولم يقل للأنصارى شيئا، وقال: يا خالد!

قال: لبيك، يا رسول الله!

قال: لا تقتل أحدا.

قال: لا (١).

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ عن شفاء الغرام، والمعجم الكبير ج ١١ ص ٤٨ و مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٤ و ج ٧ ص ٣٤ و عن الأوسط للطبراني ص ١٥٤-

و نقول أخيراً:

روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، و القاساني جميعاً عن الأصفهاني، عن المنقري، عن فضيل بن عياض، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكة لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن (١).

و لنا مع ما ذكر العديد من الوقفات، و إليك بعضها:

من الخندمه إلى البحر:

الخندمه: جبل معروف بمكة، يقع خلف جبل أبي قبيس، و يمتد منه إلى المعلّاه على طول شعب علي، و شعب عامر.

فلو صح ما زعموه: من أن جماعه من أهل مكة قد تصدوا لخالد، فنقول:

١- المفروض هو: أن يواجههم خالد بما يردعهم، و يبطل حركتهم، و مقاومتهم. و أما أن يلاحقهم بعد هزيمتهم إلى الحزور، ثم يمتد قتلهم حتى باب المسجد، و إلى الجبال، حتى يضطر بعضهم إلى الهرب إلى البحر، و إلى صوب اليمن .. فهذا لا مبرر له على الإطلاق ..

٢- إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان قد نهى خالداً عن القتال.

و لامة على فعله هذا، و قال له: لم قاتلت، و قد نهيت عن القتال!؟

١- البحار ج ٢١ ص ١٣٦ و في هامشه عن الكافي ج ٣ ص ٣٢٩.

فاعتذر له: بأنهم هم بدأوا بالقتال ..

و لكنه عذر غير مقبول، إذ إن بدأهم له بالقتال لا يمنعه من أن يراجع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى أمرهم ..

٣- إن ظاهر الكلام الذى جرى بين رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بين خالد يدل على أن خالدا كان لا يزال يلاحقهم و يطلبهم ليقتلهم حتى تلك اللحظة، و لذلك قال له النبى (صلى الله عليه و آله): كف عن الطلب.

و احتمال بعض الإخوه أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد قال له ذلك، لاعتقاده- و لو على ظاهر الأمر- باستمراره فى طلب أهل مكة ليقتلهم إلى تلك اللحظة لا مجال لقبوله. فإن الأمر بالكف عن الشىء ظاهر بأنه مستمر فى فعله، و يطلب منه الكف عنه، كما أنه لا مجال للقول بأن النبى (صلى الله عليه و آله) قد اعتقد بذلك- بأنه لا يزال يطلبهم- فنهى خالدا عن ذلك، مع كون اعتقاده (صلى الله عليه و آله) مخالفا للواقع .. فإن ما يعتقده النبى (صلى الله عليه و آله) هو عين ما يحصل و يجرى.

و لا يمكن أن يعتقد بما هو خطأ. كما أن احتمال أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد علم بأن خالدا قد كف عن طلبهم، لكنه أمره بالكف كى لا يكون ترك الأمر به ذريعه لخالد فى استئناف الطلب .. مرفوض أيضا، إذ كان ينبغى أن يقول له: لا تطلبهم بعد الآن، لا أن يقول له: كف عن الطلب الذى قلنا: إن ظاهره هو أنه كان لا يزال يطلبهم فعلا كما أوضحنا ..

٤- ما معنى قول خالد: إنه دعاهم إلى الإسلام، و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس؟! هل كان هذا من المهمات التى أوكلت إليه أيضا؟!.

٥- إذا كان أبو سفيان زعيم مكة يأمر الناس بالإستسلام، فما معنى أن

يبادر أوباش من الناس لقتال هذه الألوفا التي جاءتهم على حين غفلة منهم؟!

و هل يمكن أن يفكر أوباش من الناس بإحراز أى نصر على عشرة آلاف مقاتل؟! و هم على غير استعداد، و لا سيما مع ذلك النداء الذى صدر لهم من أهم زعيم فى مكة، و معه بديل بن ورقاء الزعيم الخزاعى، و حكيم بن حزام، و هو زعيم أيضا فى قريش، فضلا عن العباس؟!!

أوقف الطلب:

و الأعجب من ذلك: أن بعض النصوص المتقدمة تعطى: أن خالدا كان لا يزال يلاحق الفارين فى الجبال، و الشعاب، حتى حين طلبه النبى (صلى الله عليه و آله)، و طالبه بما فعل؛ فقد قال له (صلى الله عليه و آله):

أوقف الطلب.

و نعتقد: أن هذا التصرف من خالد يتضمن جرأه غير عاديه .. فإنه بالرغم من إقدامه على مخالفه نهى النبى (صلى الله عليه و آله) عن القتال، و رغم إحساسه بتغيظ النبى (صلى الله عليه و آله) مما يجرى، و إحضاره للمساءله، يتابع نشاطه العسكرى المخالف لإرادته و توجيهات رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ليحقق أكبر قدر ممكن من أهدافه التى توخاها من مباشره ذلك القتال .. و كأنه يرى أن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يعلم بحقيقه ما يجرى من خلال إعلام الله تعالى له!!

كفوا السلاح إلا خزاعه:

ثم إننا لا نكاد نحتمل صحه ما زعموه من أنه (صلى الله عليه و آله) قد

طلب من جيشه أن يكفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر، و ذلك لما يلي:

١- لقد كانت سياسه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى دخول مكه هى أن يدخلها بعنفوان يضع حدا لاستكبار المستكبرين فيها و يمنعهم من التفكير بالمقاومه، مع حرص شديد و تصميم أكيد على عدم إراقه أى نقطه دم فيها، و ذلك حفاظا منه على حرمة بيت الله و حرمة .. فكيف يمكن أن نتصوره يسمح لخرزاعه بأن تنفذ مذبحه فى بنى بكر فى نفس حرم الله و فى جوار بيته؟!

٢- إن السماح لخرزاعه بالفتك بينى بكر ينافى الأمان الذى أعطاه النبى (صلى الله عليه و آله) لأهل مكه، حيث لم يستثن منه بنى بكر ..

٣- من هم الخزاعيون الذين سمح لهم النبى (صلى الله عليه و آله) بقتل بنى بكر؟ هل هم خزاعيو مكه، أم خزاعيون جاؤوا معه؟

٤- لماذا سمح لخرزاعه بقتل بنى بكر، و لم يسمح لها بقتل قريش، التى شاركت بنى بكر فى المجزرة التى ارتكبت فى حق الخزاعيين .. و قريش هى التى أرسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينه ليدلس الأمر على المسلمين، و يضع دماء المظلومين!!

٥- لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأن ينادى فى الناس: من ألقى سلاحه فهو آمن، أو دخل بيته، أو كان تحت رايه أبى رويحه الخ .. فهل سمع هؤلاء الناس هذا النداء، و أصروا على القتال و حمل السلاح؟!

و إذا كانوا أصروا على ذلك، فلما ذا يهربون إلى البحر و إلى اليمن؟!

و إذا كانوا قد ألقوا سلاحهم، فلما ذا يلاحقونهم بالقتل إلى الحزوره، و المسجد، و إلى البحر، أو إلى اليمن؟!

احصدوهم حصدا:

و أغرب من ذلك كله، ما زعمه أبو هريره: من أنه (صلى الله عليه و آله) طلب منه أن يهتف بالأنصار، و لا يأتيه إلا أنصارى، فجاؤوه، فأمرهم أن يحصدوا قريشا و أوباشهم حصدا، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى.

قال أبو هريره: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه.

و نحن لا نشك فى أن هذا من المكذوبات المتناهيه فى الجرأه و الوقاحه.

فأولاً: إن هذا لا يتلاءم مع إعلانة (صلى الله عليه و آله) بالأمان لكل من دخل داره و أغلق بابه، و دخل المسجد، و دار أبى سفيان، و ابن حزام، و من يلتجى إلى رايه أبى رويحه، و من ألقى سلاحه، فهل يريد منهم أن يلقوا سلاحهم ليحصدهم الأنصار حصدا؟!

أو هل كان النبى (صلى الله عليه و آله) غادراً؟! و العياذ بالله. أو هل كان قاسياً إلى هذا الحد؟!

ثانياً: لم نسمع أن الأنصار فتكوا بقريش، أو قتلوا منهم، بل سمعنا أن خالداً فعل ذلك، و خالد من المهاجرين، و لم يكن الأنصار معه، بل كان معه بنو سليم.

ثالثاً: هل صحيح أن النبى الكريم، و الوصول، و الرحيم و الحليم كان يتعامل وفق المنطق القبائلى و العشائرى و العنصرى، فيحرض الأنصار على قريش، و أوباشها، حيث يطلب أن لا يأتيه إلا أنصارى؟!

و ما معنى: أن يأمرهم بالإطباق على قريش كما تطبق إحدى اليدين على الأخرى؟!

رابعاً: إذا كان الأمر كذلك، فلما ذا لم يقتل أحد من الذين حرضوا على

قتل خزاعه، مثل صفوان، و عكرمه، و سهيل بن عمرو؟! و كيف أفلتوا من يد الأنصار؟ و كيف يلوم (صلى الله عليه و آله) خالدًا على ما فعل؟! و لماذا يسأله عن ذلك؟! أو لماذا يسأل عن شأن تلك البارقه التي رآها؟! ألم يكن هو الذى أمر بها و أثارها؟! كما يزعمون!!

المهاجرون يظنون أن خالدًا قوتل:

لقد صرحت بعض النصوص: بأن المهاجرين أجابوا النبي (صلى الله عليه و آله) بأنهم يظنون أن خالدًا قوتل.

و هذا معناه: أنهم لم يحضروا ما جرى، و لا تحققوا منه بأى من وسائل التحقق، بل أطلقوا كلامهم على سبيل التخمين و الحدس.

و السؤال هو: إذا كان المهاجرون لا يعرفون أزيد مما يعرفه أى إنسان آخر لم يحضر الواقعة، فلما ذا يتصدون للدفاع عن خالد؟! و لماذا لم يجب النبي (صلى الله عليه و آله) أحد من غير المهاجرين؟!

بل إن قوله (صلى الله عليه و آله): ألم أنه عن القتال؟ يعطى: أنه كان قد رتب الأمور بنحو ينمى أهل مكه من أن يفكروا فى أى حركة قتاليه، فإن كان ثمه من قتال، فهو يتوقع أن يكون مصدره أولئك الذين نهاهم عنه.

و معنى ذلك: أنه سيكون قتالا عدوانيا، قد عصى فيه أمر رسول الله، و خولفت به تعليماته ..

خالد لا يعصى رسول الله صلى الله عليه و آله:

و أما قولهم عن خالد: و ما كان ليعصيك، و لا يخالف أمرك، فهو غير ظاهر الوجه، فإن خالدًا كان حديث عهد بالإسلام، و لم يتعمق الإيمان بعد

فى داخل نفسه، و لا ظهرت دلائل انقياده التام لرسول الله (صلى الله عليه و آله).

و قد أظهرت الوقائع اللاحقه: أنه كان من أعظم الناس جرأه على مخالفه أوامر الله و رسوله، فراجع ما صنع بينى جذيمه فى عهد النبى (صلى الله عليه و آله)، ثم ما صنعه بعد ذلك بمالك بن نويره، حيث قتله، و زنى بزوجه فى نفس ليله قتله، كما ألمحنا إليه أكثر من مره.

كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد:

و يبقى السؤال يراود ذهن كل عاقل عن السر فى أن جميع تلك الحشود التى دخلت مكه، و هى أكثر من عشره أضعاف التسع مائه الذين كانوا بقياده خالد، لم تواجه أیه مشكله، و لم يلقوا أى مسلح. ألا يضع ذلك علامه استفهام على زعمهم القائل: إن هذه الثلثه اليسيره و قفت لتتحدى الذى يرفده عشره أضعافه من المقاتلين الذين يتدققون على مكه من كل جهه؟!!

قضاء الله خير:

و لا- يمكننا أن نفتنح بأن النبى الكريم (صلى الله عليه و آله) قد أنحى باللأئمه على قضاء الله تعالى، و اعتبره هو المسؤول عما جرى فى أمر عصى الله فيه بمخالفه أمر رسوله (صلى الله عليه و آله) ..

و قد تضمنت هذه المعصيه: هتك حرمة الحرم، و قتل أناس كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد أعطاهم الأمان ..

و هل يصح وصف ذلك كله: بأنه خير، و بأنه قضاء من الله، الذى يريد أن يوحى بأنه تعالى هو الذى فعله، أو أنه هو الذى قضاه على الأقل؟!!

و لم يقتصر الأمر على مجرد مهاجمه أولئك الناس، بل تجاوز ذلك إلى ملاحقتهم حتى قتلوا على باب المسجد، و اتبعوهم إلى الجبال، بل لقد اضطروا الى الهرب إلى البحر، و إلى التفكير بالهرب إلى اليمن ..

و قد كان من الوضوح بمكان: أن المقاومه لهجوم خالد و صحبه كانت فى غاية الضعف، كما تشير إليه روايه أبى هريره، التى يقول فيها: (فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه ..).

بل ذكر أبو هريره فى روايته المتقدمه ما يدل على أن الذين قصدوهم بالقتل لم يقاوموا أصلا، فقد قال: (فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه ..).

فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إن المشركين كانوا هم البادئين بالقتال؟!

بل إن الروايه التى ذكرت: أن ذلك الأنصارى قد أبلغ خالدا بعكس ما أمره رسول الله (صلى الله عليه و آله) لهى خير دليل على أن المبادره لقتل الناس فى مكه كانت من خالد نفسه ..

و لكنهم عوضا من تقبيح فعل خالد، برؤوه من جرمه و ألقوا المسؤوليه على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و اتهموه بذلك الفعل القبيح، الذى ظهر قبحه من نفس نهى النبى (صلى الله عليه و آله) للمسلمين عن فعله ..

لم يسب صلى الله عليه و آله لقريش ذريه:

و حين نقرأ فى تلك الروايه المتقدمه عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) حول ما يرتبط بسيره على (عليه السلام) فى أهل الجمل:

(كانت السيره فيهم من أمير المؤمنين على (عليه السلام) ما كان من رسول الله (صلى الله عليه و آله) في أهل مكة يوم فتح مكة، فإنه لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، الخ ..) (١).

فقد دلت هذه الروايه: على أن سياسته (صلى الله عليه و آله) في أهل مكة يوم الفتح هي الكف عنهم، و هذا لا يتلاءم أبدا مع دعواهم أنه قال للأنصار: (احصدوهم حصدا) كما أن ذلك يدل على أن مكة قد فتحت عنوه، لا صلحا.

الأنصاري الخائن:

و عن قصه ذلك الأنصاري الذي زعمت الروايه: أنه لم يكن أمينا في إبلاغ أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى خالد .. نقول:

إن لنا على تلك الروايه ملاحظات عديده هي:

١- لماذا لم يعاقب النبي (صلى الله عليه و آله) ذلك الأنصاري على فعله الذي أدى إلى إزهاق أرواح كان النبي (صلى الله عليه و آله) و آله) الذي لا ينطق عن الهوى يريد حفظها؟!!

كما أنه قد كان سببا في سل السيوف، و إراقه الدماء في حرم الله تعالى، و في جوار بيته، و إنما اكتفى (صلى الله عليه و آله) بالسكوت، فلم يوجه لذلك الكاذب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لو كلمه تأنيب أو تخطئه على أقل تقدير، و قد كان من المناسب جدا أن يذكره بقوله (صلى الله

١- الكافي ج ٥ ص ١٢ و راجع البحار ج ٢١ ص ١٣٦ عنه.

عليه وآله): فمن كذب علىّ عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (١).

١- راجع المصادر التالية: الكافي ج ١ ص ٦٢ الإعتقادات في دين الإماميه للصدوق ص ١١٨ و الخصال ص ٢٥٥ و تحف العقول ص ١٩٣ و شرح أصول الكافي ج ٢ ص ٣٠٥ و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج ٢٧ ص ٢٠٧ و (ط دار الإسلاميه) ج ١٨ ص ١٥٣ و مستدرک الوسائل ج ٩ ص ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ج ١٧ ص ٢٨٨ و ٣٤٠ و كتاب سليم بن قيس ص ١٨١ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٢٨ و ج ٢ ص ٢٧٧ و كتاب الغيبة للنعماني ص ٨١ و المسترشد ص ٢٣٢ و الإستنصار للكراچكي ص ١١ و الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٣٩٣ و ج ٢ ص ٢٤٦ و العمده لابن البطريق ص ٢٢٤ و الطرائف لابن طاووس ص ٤٥٤ و الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥٦ و ٢٥٨ و عوالي اللآلي ج ١ ص ١٨٦ و وصول الأخبار إلى أصول الأخبار للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي ص ١٦٧ و كتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠٩ و البحار ج ٢ ص ١٦١ و ٢٢٥ و ٢٢٩ و ج ٣٤ ص ١٦٩ و ج ٣٦ ص ٢٧٣ و ج ٣٧ ص ٢٢٣ و ج ٥٠ ص ٨٠ و كتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤١ و النص و الإجتهد ص ٥٢١ و جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٥ و ١٤٢ و ج ١٣ ص ٥٧٩ و مستدرک سفينه البحار ج ٩ ص ٨٠ و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٧٦ و مسند أحمد ج ٤ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ٤١٢ و صحيح مسلم ج ١ ص ٨ و سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٦٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٧٢ و شرح مسلم للنووي ج ١ ص ٦٥ و مجمع الزوائد ج ١ ص ١٤٨ و المصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٠٩ و المصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٢٠٤ و ٢٠٥ و الآحاد و المثاني للضحاک ج ٥ ص ٣٤٤ و ٣٥٢ و السنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٤٤٤ و المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٨ و الجامع الصغير ج ١ ص ٢٦ و ٣٥٧ و كنز العمال ج ٣ ص ٦٢٥ و ج ٥ ص ١٢٦ و ج ١٠ ص ٢٢٢ و ٢٣١ و تذکره الموضوعات للفتني ص ٦ و فيض القدير ج ١ ص ١٧١ و ج ٢ ص ٦٠٤ و تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٢ و تفسير الثعالبي ج ١ ص ١٣٩ و الأحكام لابن حزم ج ٢ ص ١٩٧ و طبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٢٣٤ و تاريخ مدينه دمشق ج ٤٢ ص ٢٢٢ و ج ٦٤ ص ٣٧ و الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٨١ و ٨٧ و ٨٨ ذکر أخبار إصبهان ج ٢ ص ٦ و أعيان الشيعة ج ١ ص ١١٤ و ج ٨ ص ١٢٨ و كشف الغمه ج ١ ص ٣٤٤.

٢- إن ما فعله ذلك الأنصارى، من شأنه أن يجزئ الناس على مخالفه أمر النبي (صلى الله عليه وآله)، و تبديل أوامره و نواهيه بأضدادها .. و ذلك يفتح الباب أمام مفسد كبيره و خطيره.

٣- قد رأينا: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد تبرأ مما صنعه خالد بنى جذيمه، فلما ذا لم يتبرأ من الكاذب، و من الكذب الذى نسبه ذلك الأنصارى إليه؟! و الذى أدى إلى سفك الدماء فى حرم الله تعالى، و كان (صلى الله عليه وآله) يريد حفظها.

٤- و اللامفت هنا: أن هذا الأنصارى الذى تسبب بإزهاق أرواح العشرات من الناس فى حرم الله تعالى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عن اسمه، أو عن اسم قبيلته على الأقل، بل اكتفى بوصفه بأنه (أنصارى).

٥- و يزيد الأمر إبهاماً، و إثارة للشبهه: أن هذه الروايه قد ذكرت رقماً يزيد على ضعف العدد الذى ذكرته سائر الروايات .. لأنها تقول: إن الذين قتلوا بسبب كذبه هذا الأنصارى هم سبعون رجلاً.

٦- هل نستطيع أن نفهم ما جرى على أن هذا النوع من الروايات يقصد به الطعن فى الأنصار، و إظهار أنهم قد ظلموا قريشا و أهل مكه، و تعاملوا معهم من منطلق الحقد و الضغينه؟!!

فكل ما يجرى على الأنصار بعد ذلك - كما حصل في وقعه الحره، و سواها- يصبح مبررا، و تقل بشاعته، و لا يعود مستهجننا.

أردت أمرا، و أراد الله غيره:

و الغريب في الأمر: أن يستدل ذلك الأنصارى على رسول الله (صلى الله عليه و آله) بقوله: أردت أمرا، و أراد الله غيره، و ذلك:

١- لأن النبي (صلى الله عليه و آله) لا يمكن أن يريد أمرا يخالف ما يريد الله تبارك و تعالى، فهو لا يريد إلا ما يرضى ربه، و لا يفعل و لا يقول إلا ما أذن الله تعالى له بفعله و قوله، على قاعده: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١)**. و هو (صلى الله عليه و آله) مسدد من الله، و مؤيد بتأييداته.

٢- ثم إن قتل الناس في حرم الله لم يرد الله تعالى بلا- ريب، فلا يصح نسبته إليه، بل أراده أولئك العصاه لأوامر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الكاذبون عليه، الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم في نار جهنم.

٣- و لو فرضنا: أن ذلك الأنصارى أصاب في استدلاله هذا، لكان ينبغي أن يلتفت رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى هذا الدليل قبل كل أحد، و لكان ذلك يمنع النبي (صلى الله عليه و آله) من توجيه الأسئلة لخالد حول ما اقترف، و من مطالبه الأنصارى بمبرراته التي استند إليها فيما فعل ..

٤- هل سكت النبي (صلى الله عليه و آله) حين قال له الأنصارى ذلك عن قناعه بما قاله هذا الكاذب على الرسول (صلى الله عليه و آله)، أم أن سكوته كان لأجل عجزه عن مواجهه الحجة بالحجة، و الدليل بالدليل؟! أم أن ذلك السكوت كان احتجاجيا، يريد به الإعراض عن ذلك الكاذب، و الدلالة على عدم جدوى النقاش معه فى هذا الأمر؟! بل قد تكون مواصلة النقاش معه فيه مضرة، و لها آثار سلبية على المسلمين، و ربما على غيرهم أيضا ..

قد يقال: إن الإحتمال الأول هو الأوفر حظا من بين سائر الإحتمالات.

و لكننا نقول:

إن هذا الإحتمال هو الأسوأ و الأكثر ضررا من حيث إنه يشير إلى غفلة النبي (صلى الله عليه و آله) عن أمر يعرفه سائر الناس العاديين .. كما إنه يشير إلى جهل النبي (صلى الله عليه و آله) حتى بمثل هذا الأمر البديهي.

و إذا كان النبي (صلى الله عليه و آله) لا يصدر و لا يورد، و لا يأمر و لا ينهى إلا وفق ما يريد الله تعالى، فإن الأمر يصبح أكثر إشكالا، لأنه يؤدي إلى نسبة هذه العظائم إليه سبحانه، تعالى الله عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا.

نهى أن يقتل من خزاعه أحد:

و قد صرحت النصوص التي ذكرناها: بأنه (صلى الله عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد.

و نقول:

قد يقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن القتال و القتل مطلقا، سواء لخزاعه أو لغيرها .. و أعطى الأمان لجميع أهل مكة باستثناء أشخاص بأعيانهم، سيأتي الحديث عنهم؛ لأنهم قد ارتكبوا جرائم لا مجال للعفو عنها .. فلا خصوصية لخزاعه هنا، و لا معنى لحصر الكلام فيها.

و يمكن أن يجاب: بأنه (صلى الله عليه وآله) قد عمم الأمان ليشمل خزاعه و جميع أهل مكة، ثم خص خزاعه بالذكر، لأنها كانت داخله في عقد النبي (صلى الله عليه وآله) و عهده، كما ظهر مما جرى في الحديثه .. فلهم أمان الحلف، بالإضافة إلى الأمان الذي يشملهم مع أهل مكة ..

فخزاعه: لا- يصح قتال أحد منها حتى لو بادر إلى حمل السلاح و القتال، فيجب مراعاة حاله، و تحاشي قتله، و مراجعه النبي (صلى الله عليه وآله) في أمره، لأن لخزاعه أحكاما تختلف عن أحكام سائر مشركي مكة المحاربين، و قد أصبحوا الآن أسرى في أيدي المسلمين، يحكم فيهم النبي (صلى الله عليه وآله) بما يقتضيه حالهم ..

و أما خزاعه: فليسوا محاربين كمشركي مكة، بل هم حلفاء، و لهم عهد و عقد.

و حتى لو اتفق و وقع القتل على أحد منهم، و لو عن غير قصد، فلعلهم ممن تشملهم أحكام الديات أيضا.

شعار النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة:

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي

نصر، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

شعارنا: (يا محمد، يا محمد).

و شعارنا يوم بدر: (يا نصر الله إقترب، إقترب).

و شعار المسلمين يوم أحد: (يا نصر الله إقترب).

و يوم بنى النضير: (يا روح القدس أرح).

و يوم بنى قينقاع: (يا ربنا لا يغلبنك).

و يوم الطائف: (يا رضوان).

و شعار يوم حنين: (يا بنى عبد الله، [يا بنى عبد الله]).

و يوم الأحزاب: (حم، لا يبصرون (أو لا ينصرون)).

و يوم بنى قريظة: (يا سلام أسلمهم).

و يوم المريسيع، و هو يوم بنى المصطلق: (ألا إلى الله الأمر).

و يوم الحديبيه: (ألا لعنه الله على الظالمين).

و يوم خيبر، يوم القموص: (يا على آتهم من عل).

و يوم الفتح: (نحن عباد الله حقا حقا).

و يوم تبوك: (يا أحد يا صمد).

و يوم بنى الملوخ: (أمت، أمت).

و يوم صفين: (يا نصر الله).

و شعار الحسين (عليه السلام): (يا محمد).

و شعارنا: (يا محمد) (١).

و سند الحديث صحيح.

و روى أيضا:

أن شعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

و شعار يوم أحد للمهاجرين: (يا بنى عبد الله، يا بنى عبد الرحمن).

و للأوس: (يا بنى عبد الله) (١).

و نقول:

كنا قبل سنوات قد كتبنا بحثا حول (نقش الخواتيم لدى الأئمة صلوات الله و سلامه عليهم) ..

و قد بدا واضحا: أن ما كانوا ينقشونه عليها متوافق مع طبيعه المرحلة التى يمرون بها، و التحديات التى تواجههم.

و هذه العبارات المختاره لتكون شعارا فى هذه الحرب أو تلك تشير إلى نفس هذا الأمر، و تؤكد على هذه الحقيقه ..

و لو أردنا أن نشرح هذا التوافق و الإنسجام فيما بين الشعار و بين ما يراد له أن يدل عليه و يشير إليه لاحتجنا إلى عشرات

الصفحات، و لكان علينا أن ندخر المزيد من الوقت و الجهد فى إيضاح هذه المعانى و بيان هذه الدلالات.

فلا محيص لنا عن الإكتفاء هنا بلمحه عابره عن بعض ما يرمى إليه الشعار الذى اختير ليوم فتح مكه فقط، و هو:

(نحن عباد الله حقا حقا)، فنقول:

يتضح بعض ما نريد الإلماح إليه كما يلي:

١- لقد كان مشركو مكة وجابرتها، وعتاتها، ورموز الظلم والكيد والتعدى على حرمة الله فيها، يحاربون الله ورسوله، و يهتكون حرمة بيت الله، و ينتهكون حرمة الحرم. ثم هم يدعون أنهم سدنة البيت، و أولياؤه، و حماه الحرم و أبنائه.

و قد رد الله تعالى ذلك عليهم، فقال: **وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١)**.

و لنا حول موضوع البيت و ولايته حديث ذكرناه فى كتابنا (دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام)، و لعلنا نحتاج لإيراد موجز عنه فيما يأتى من مطالب إن شاء الله تعالى ..

٢- إن الكعبة بيت الله، و الحرم المكى حرم الله، و لا بد من أن تتجلى فى هذه الأماكن المقدسه، و المشاعر المعظمه عبوديه الإنسان لربه بكل أبعادها، و مختلف تجلياتها.

و خير من يجسد هذه العبوديه هم المؤمنون بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، و لا يشركون به شيئاً، فإن الشرك ينقص من مقام العبوديه هذا ..

بل هو يصرّفها إلى غير الله تبارك و تعالى إلى حد التمحض فى ذلك الغير ..

و لأجل ذلك اختار (صلى الله عليه و آله) بيان هذه الحقيقه، و إسقاط هذه المغالطه التى يمارسها المدّعون لها كذبا و زورا ..

٣- إن اختيار العبودية لتكون أول مفهوم يطرح فى هذه المناسبة يؤكد على أن هذا الفتح العظيم لم يخرج هؤلاء الفاتحين عن حاله التوازن، و لم يدفعهم للتصرف بكبرياء، و لم يوجب لديهم حاله من الغرور و الادعاء لأنفسهم فوق ما تملكه من قدرات. بل زادهم ذلك تواضعا، و خضوعا له، و استسلاما لإرادته و مشيئته تعالى، تماما كما يستسلم كل عبد لسيده، و ليس لأهوائهم و نزواتهم.

٤- إن هذا يعطى الآخرين الذين اسأؤوا و آذوا نفحه من الشعور بالطمأنينه، و بالأمل و السكينه، من حيث أنهم سيفهمون أن القرار بشأنهم لن يكون عشوائيا، تتحكم فيه النزوات، و الأهواء و العصبيات، بل هو قرار إلهى، و حكم ربانى .. فإذا أصلحوا علاقتهم بالله، و تابوا و عادوا إلى الالتزام بأوامره و زواجه، و إذا اعتقدوا: أنه غفور رحيم، و قوى عزيز، و أنه الغفور الثواب و .. فإن بإمكانهم أن يأملوا قبول توبتهم، و النظر إليهم بعين الرحمة و المغفرة ..

فيكون نفس هذا الشعار الذى نادى به المسلمون فى فتح مكه دعوه لأهلها إلى قبول الحق، و الدخول فى دين الله و التوبه و الإستغفار، و طلب الرحمة ..

كما إنه شعار يتضمن إنذارا لهم بضروره التخلى عن المكابره و الجحود .. لأن ذلك سوف يعرضهم لغضب الله و سخطه، و ستجرى عليهم و فيهم أحكامه و شرائعه، وفق سنن العدل، و على أساس قاعده:

أَحْصَاءُ اللَّهِ وَ نَسُوهُ .. (١). و قاعده: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٢).

فتحت مكة عنوه لا صلحا:

و قد زعموا: أن مكة فتحت صلحا، و به قال الشافعي (٣).

فلما واجههم ما أثبتته التاريخ من قتل خالد ثمانية و عشرين رجلا من قريش و هذيل كما ذكرته الروايات أو سبعين من أهل مكة كما فى روايه أخرى قالوا: إن هذه المقاتله التى وقعت لخالد لا تنافى كون مكة فتحت صلحا، لأنه صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة.

و أما قوله: (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابيه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من دخل تحت لواء أبى رويحه فهو آمن) فهو من زياده الإحتياط لهم فى الأمان.

و قوله: احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال، و من ثم قتل خالد من قاتل من الكفار.

و إرادته على كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهم أخته أم هانى ء كما سيأتى لعله تأول فيهما شيئا، أو جرى منهما قتال له.

و تأمين أم هانى ء لهما، من تأكيد الأمان الذى وقع للعموم.

١- الآية ٦ من سورة المجادلة.

٢- الآيتان ٧ و ٨ من سورة الزلزله.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨١.

فلا حجه فى كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوه كما قاله الجمهور.

وقيل: أعلاها فتح صلحا: أى الذى سلكه أبو هريره و الأنصار، لعدم وجود المقاتله فيه، و أسفلها الذى سلكه خالد فتح عنوه لوجود المقاتله فيه (١).

و نقول:

إن ذلك غير صحيح، بل فتحت عنوه، و نستند فى ذلك إلى ما يلى:

أولاً: إن نفس إعطاء الأمان لأهل مكة، إن دخلوا المسجد، أو بيوتهم، أو غير ذلك يدل على أنهم قد قهروا بدخول النبى (صلى الله عليه و آله) بلدهم، و أن معارضتهم سوف تنتهى إلى استرجاع هذا الأمان، و استمرار حاله الحرب.

ثانياً: قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأهل مكة: ما ترون أنى صانع بكم؟!

قالوا: أخ كريم، و ابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فإن قوله: ما ترون أنى صانع بكم يدل على أنه هو الذى يقرر مصيرهم، و يصنع بهم ما يشاء، بعد أن أصبحوا فى يده بعد الفتح. و لو كان ثمة صلح، فإن بنود الصلح و شروطه هى التى تحدد ذلك، و لا يبقى لأحد طرفى الصلح أى خيار فى مصير الطرف الآخر ..

ثالثاً: لم يرد فى أى نص تاريخى: أن ثمة صلحا بين النبى و بين أحد من

أهل مكة، فالتقول بحصول شىء من ذلك ما هو إلا تخرص و رجم بالغيب.

رابعاً: إن اعتبارهم طلقاء فى قوله (صلى الله عليه و آله): اذهبوا فأنتم الطلقاء، يدل على أنه قد أسرهم، ثم أطلق سراحهم، فإن الطليق هو الأسير إذا أطلق و لم يسترق (١).

خامساً: إن مما يشير إلى ذلك أيضاً: ما رواه الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبى حمزه الثمالى قال: قلت لعلى بن الحسين (صلوات الله عليهما): إن عليا (عليه السلام) سار فى أهل القبلة بخلاف سيره رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى أهل الشرك.

قال: فغضب ثم جلس، ثم قال: سار و الله فيهم بسيره رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح، إن عليا (عليه السلام) كتب إلى مالك و هو على مقدمته يوم البصره بأن لا يطعن فى غير مقبل، و لا يقتل مدبراً، و لا يجهز على جريح، و من أغلق بابه فهو آمن (٢).

و على (عليه السلام) إنما انتهى إلى هذه النتيجة بعد أن انتصر عليهم فى ساحات القتال و النزال، و أصبحوا فى يده، و كذلك الحال بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ..

إستدلالات و تأويلات:

١- بالنسبة للإستدلالات المذكوره آنفا نقول:

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥.

٢- الكافي ج ٥ ص ٣٣ و البحار ج ٢١ ص ١٣٩ عنه.

قد استدل القائلون بفتح مكة صلحا: بأن ما جرى في مر الظهران يعتبر صلحا.

و نقول:

أولاً: قد ذكرنا فيما تقدم: أن أبا سفيان قد اعتقل من قبل أولئك الذين أرسلهم النبي (صلى الله عليه وآله)، و حدد لهم مكانه بدقه .. و لم يذكر التاريخ و لو كلمه واحده عن أية مفاوضات جرت بين أبي سفيان و بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) حول دخول مكة عنوه أو صلحا، أو عدم دخولها.

ثانياً: إن أبا سفيان بعد أن أعلن إسلامه، لم يكن يصح أن يعتبر نفسه مسلماً، ثم أن يعتقد بأن له الحق في أن يصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو أن يفاوضه في شأن مكة، أو في شأن غيرها ..

ثالثاً: إن إهدار دم جماعه ممن ارتكبوا جرائم في حق الدين و أهله، ما هو إلا قرار نبوى خالص، و قد كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان في جملة الذين أهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمهم. و لم يكن أبو سفيان ليرضى بقتل زوجته، أو بقتل عكرمه بن أبي جهل، أو صفوان بن أميه و غيرهم، بل هو ينقض ألف صلح و عقد و عهد من أجل حفظهم، فكيف يعقد صلحا تكون نتيجته قتل كثير من أصفيائه و أحبته؟!!

٢- بالنسبه للتأويلات التي ذكروها نقول:

ألف: ادعى القائل بفتح مكة صلحا: بأن الأمان الذي أعطاه (صلى الله عليه وآله) لمن دخل المسجد، أو دار أبي سفيان، أو أغلق بابه، أو ألقى سلاحه، أو لجأ إلى رايه أبي رويحه .. قد أعطى لهم زياده في الإحتياط.

و هو كلام غير دقيق.

فأولاً: إن معنى هذا الأمان هو أن من لم يفعل ذلك، فلا أمان له، و سيكون التعامل معه على أنه محارب، يجوز قتله و أسره، و يحل ماله.

ثانياً: لو كان الأمان قد أعطى زياده فى الإحتياط، لكان من الضرورى أن ينادى بالأمان العام أولاً، ثم يخصص ذلك و يقول: و خصوصاً من دخل المسجد، أو ألقى سلاحه، أو الخ .. مع أن ذلك لم يحصل، إذ لم يناد أحد بشىء من ذلك.

ب: و زعموا: أن ما نسب إلى النبى (صلى الله عليه و آله) من أنه قال للأنصار: احصدوهم حصداً، محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال .. و لذلك قتل خالد من قاتله من الكفار.

و نقول:

إننا و إن كنا قد ناقشنا النص المذكور بما دل على عدم صحته، غير أننا نزيد هنا:

أولاً: إن هذا الحمل تبرعى، ليس فى النص المذكور أية إشارة إليه.

ثانياً: إن النصوص تشير إلى أن من قتلهم خالد لم يكونوا قد أظهروا القتال حسبما تقدم.

ثالثاً: لقد كان الأولى بهؤلاء أن يقفوا عند عبارته (احصدوهم حصداً)، ليؤكدوا كذبها من حيث إنها لا تتناسب مع النهج النبوى، و السلوك الإيمانى .. و قد عرفنا أن النبى (صلى الله عليه و آله) كانت تذهب نفسه حسرات على قومه، و كان يدعو لهم بالهداية، حتى و هم يقاتلونه.

و لم يكن يريد سحقهم و استئصالهم، بل كان كل همه (صلى الله عليه

و آله) منصرفا إلى كسر شوكتهم، و إسقاط مقاومتهم، ثم العمل على إقناعهم بالإسلام، ثم إيصال الإسلام إلى كل من لهم به صله نسب، أو مصلحه، أو صداقه، أو غيرها ..

ج: و ذكروا: أن سعى على (عليه السلام) لقتل الرجلين اللذين اجارتهما أم هانى، لعله لأجل أنه تأول بهما شيئا، أو جرى منهما قتال. و تأمين أم هانى لهم من تأكيد الأمان الذى جرى للعموم ..

و نقول:

سيأتى الحديث عن هذه القضية عن قريب، و نكتفى هنا بما يلي:

أولا: صرح الحلبي: بأن النبي (صلى الله عليه و آله) كان قد أهدر دم هذين الرجلين اللذين أجارتهما، و هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أبى أميه (١). فلم يكن على (عليه السلام) متأولا- فى أمرهما شيئا خلاف ما نص عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله).

ثانيا: ما زعمه: من أن تأمين أم هانى لهما قد جاء تأكيدا للأمان العام، لا يصح، إذ لماذا لا تحتج أم هانى على على (عليه السلام) بذلك الأمان العام لتخرجه به، بلا حاجه إلى أن تشتكيه إلى النبي (صلى الله عليه و آله)؟!

يضاف إلى ذلك: أنه لا يوجد أى نص يشير إلى وجود ذلك الأمان العام المزعوم، بل قد تقدم أن تحديد النبي (صلى الله عليه و آله) المسجد، و دار أبى سفيان و .. و .. لتكون مواضع الأمان، ينفى وجود أمان عام.

الشهداء من المسلمين:

قالوا: (و استشهد من المسلمين ثلاثة نفر، دخلوا فى أسفل مكة، و أخطأوا الطريق، فقتلوا) (١).

و نقول:

إنه يبدو لنا: أن هذه النصوص، و أمثالها تشتمل على نوع من التضليل، و ذلك:

أولاً: لأن الذى دخل من أسفل مكة هو خالد بن الوليد (٢)، و خالد هو الذى قاتل أهل مكة حين دخل، و قتل منهم العشرات، فإذا كان هؤلاء الثلاثة قد قتلوا فى أسفل مكة، فهذا يعنى: أنهم قتلوا مع خالد بالذات، حين دافعه أهل مكة عن أنفسهم، إذ لا يعقل أن يقتل منهم ما يقرب من ثلاثين قتيلاً، و يلاحقهم خالد و من معه إلى المسجد، و إلى الجبال، بل لقد هرب بعضهم إلى جهة اليمن كما تقدم، ثم لا تكون منهم أية مقاومه، و لا

-
- ١- البحار ج ٢١ ص ١٣٣ عن إعلام الورى، و الأنوار العلويه للنقدى ص ٢٠٢ و إعلام الورى ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٢٧.
 - ٢- راجع: المصنف لابن أبى شيبه ج ٨ ص ٥٣٣ و شرح معانى الآثار ج ٣ ص ٣١٥ و كنز العمال ج ١٠ ص ٥٢٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣٣٢ و ٢٣٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٥٥٠ و ٥٦٠ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٧ ص ٢٧٤ و الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٣٩٥ و الثقات ج ٢ ص ٤٩ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٣٣٤ و عن السيره النبويه لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٥ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٩١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٧ و معجم ما استعجم ج ١ ص ١٢٩.

يقتل ولا يجرح أحد ممن كان مع خالد.

والذى نراه هو: أن ثمة تزويرا رخيصا يهدف إلى إيقاع الناس فى الغلط والاشتباه، فإن محبى خالد بعد أن ظهر لهم أن خالد قد خالف أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقتل من قتل من الناس بغير رضا ولا رخصه منه (صلى الله عليه وآله)، بل مع وجود منعه ونهيه .. خافوا أن يجعل قتل هؤلاء الثلاثة على عهده خالد، وبتسبيب منه .. فأبعدوهم عنه.

ثم رووا: أنه دخل من أعلى مكة، و رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل من أسفلها حسبما تقدم، لكى تتعارض الروايات، و يأتى أهل الخير ليجمعوا بينها، بما يبعد الشبهه عن خالد، أو يوجب الشبهه فى حقيقه ما ارتكبه، أو ما كان سببا فيه.

ثانيا: إننا لا نرى مبررا لضلال هؤلاء الثلاثة لطريقهم، و لا لقتلهم بسبب ذلك، فإنه إن كان خالد قد دخل من أسفل مكة فقد كانوا معه، و لا مجال لأن يضلوا الطريق عنه دون سواهم، و هم فى ضمن جيش يعد بالمئات و الألوف، و إن كان النبى (صلى الله عليه وآله) هو الذى دخل من أسفلها فقد كانوا معه، و فى حمايته، فلما ذا يقتلون؟! و كيف؟!

لا غنائم فى يوم الفتح:

عن عبيد بن عمير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى يوم فتح مكة: لم تحل لنا غنائم مكة (١).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ عن الواقدى و مسند أحمد ج ٦ ص ٤٦٦.

و عن يعقوب بن عتبة قال: لم يغنم رسول الله (صلى الله عليه و آله) من مكة شيئا، و كان يبعث سرايا خارجة من الحرم، و عرفه، و الحل، فيغنمون و يرجعون إليه (١).

و نقول:

قد يقال: إن هذا يدل على أن مكة قد فتحت صلحا، إذ لو فتحت عنوة لحت غنائمها ..

و نجيب:

أولاً: إن مكة قد فتحت عنوة، لكن العنوة لا تعنى لزوم وقوع قتال و قتلى، بل الفتح عنوة هو ما يكون بالقهر و القوه، و بالرغم و الهيمنة السلطوية. و ذلك حاصل فى فتح مكة .. لكن النبى (صلى الله عليه و آله) - حفظا منه لحرمة بيت الله و حرمة - منع المقاتلين من مباشرة أى عمل قتالى إلا بإذنه، و قتل الناس الذى صدر من خالد كان معصية لأوامر الرسول (صلى الله عليه و آله) فى هذا المجال.

على أن نفس أن يهدر النبى (صلى الله عليه و آله) دم حوالى عشرين شخصا، و قد قتل بالفعل عدد منهم .. يدل على أنه كان يتصرف من موقع الفاتح المنتصر، لا من موقع المصالح، الذى يفرض شروطه على الطرف الآخر .. إذ لم يكن المشركون ليرضوا بقتل عدد من كبار زعمائهم و أصحاب القرار فيهم، و لا يمكن أن يسجلوا ذلك فى بنود صلح مع من يطالب بقتلهم.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ عن الواقدي، و التنبيه و الإشراف ص ٢٣٣ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٧ و ٢٣٢.

ثانيا: إنه لا مانع من أن يكون لمكة خصوصيه فى أحكام الجهاد و الفتح، فتكون غنائمها حراما حتى لو فتحت عنوه. و قد تبينت خصوصيه مكة فى كثير من الأحكام.

قريش لا تقتل صبورا ولا تغزى:

عن مطيع بن الأسود قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول يوم فتح مكة: (لا يقتل قريشى صبورا بعد اليوم إلى يوم القيامة) (١).

و عن أبى حصين الهذلى قال: لما قتل النفر الذين أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بقتلهم سمع النوح عليهم بمكة، و جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال: فداك أبى و أمى، البقيه فى قومك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (لا يقتل قريشى صبورا بعد اليوم).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٥٧ عن مسلم، و قال فى هامشه: أخرجه مسلم فى الجهاد باب ٣٣ حديث (٨٨)، و الدارمى ٢ / ١٩٨ و الحميدى (٥٦٨). و الطبرانى فى الكبير ٧ / ٨٨ و أحمد ٣ / ٤١٢، و الطحاوى فى المعانى ٣٢٦ و البيهقى فى الدلائل ٥ / ٧٩ و ابن أبى شيبة ١٢ / ١٧٣، ١٤ / ٩٠ انتهى. و راجع: مسند أحمد ج ٤ ص ٣١٣ و الأذنب المفرد ص ١٧٨ و الفايق فى غريب الحديث ج ٣ ص ٤٣٦ و الثقات ج ٢ ص ٥٣ و تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٠٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣٥١ و السير النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٥٨١ و النهايه فى غريب الحديث ج ٣ ص ٣٦٥ و لسان العرب ج ١٥ ص ١٢٤ و مسند الحميدى ج ١ ص ٢٥٨.

قال محمد بن عمر: يعنى على الكفر (١).

عن الحارث بن مالك، (و يقال له: ابن البرصاء)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: (لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة على الكفر) (٢).

و عن الحارث أيضا، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول يوم فتح مكة: (لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة ..).

قال العلماء: معنى قوله: (لا تغزى) يعنى على الكفر (٣).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نأخذ بظاهر هذا الكلام، بل لا بد من تأويله إن أمكن، أو الحكم عليه بالسقوط و البطلان، و اعتباره مجعولا لأهداف رخيصة، تتناقض مع التشريع الإلهي و مع التوجيه الرباني ..

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٦٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٥٧ عن الواقدي.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٥٧ عن الواقدي، و في هامشه عن: المغازى للواقدي ٨٦٢ / ٢ و ابن سعد ٩٩ / ١ / ٢، و الطبراني في الكبير ٢٩٢ / ٣ و ابن أبي شيبة ٤٩٠ / ١٤ و البيهقي في الدلائل ٧٥ / ٥ انتهى. و راجع: السيرة الحلبيه ج ٣ ص ١٠٣ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٧ و أسد الغابه ج ١ ص ٣٤٦ و غريب الحديث ج ٣ ص ١٩٠ و النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٣٦٥ و لسان العرب ج ١٥ ص ١٢٤.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ عن أحمد، و الترمذي، و صححه، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٦٢.

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء:

وقد يقال: إن المقصود الإخبار عن أن الشرك والكفر لن يدخل مكة، ولن يسيطر عليها، بحيث يحتاج إخراجه منها إلى غزوها، وليس المقصود إنشاء تحريم غزوها حتى مع عودتها للكفر، فإن ذلك يعنى: القبول بسيطره الكفر عليها، وهو أمر مرفوض جملة و تفصيلا.

ولو فرض لزوم الرضى به، فليس من المصلحه الجهر بمثل هذا الأمر، ولا سيما بالنسبه لأهل مكة الذين كان معظمهم لا يزال على الشرك والكفر، أو أنه أعلن الإسلام نفاقا، بعد أن غلب أهل مكة على أمرهم بدخول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة على تلك الحال القويه، التي لا قدره لهم على مواجهتها.

ولا بد من أن يكون هذا المعنى هو المراد أيضا بقوله (صلى الله عليه وآله) - فيما رووه عنه -: (لا يقتل قرشى صبورا بعد اليوم) يعنى: على الكفر.

ويزيد الأمر وضوحا إذا علمنا: أنه لو أريد الأخذ بالإحتمال الآخر، وهو:

أن تكون قریش فى منأى عن القتل صبورا، فإننا نصبح أمام محذورين مهمين:

أحدهما: أن إعلاننا من هذا القبيل يدخل فى سياق تغذيه روح العنصرية، التي رفضها الإسلام جملة و تفصيلا، إنسجاما منه مع حكم العقل، و قضاء الفطره، و مع ما قررته الآيات الكريمة التي تقول: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (١).

مع ملاحظه: أن القرشيه أو غيرها من مثيلاتها من الخصوصيات مثل

العرق و اللون، ليست من الأمور الإختيارية التي يمكن اعتبارها حيثيه يصح إناطه التشريعات المرتبطه بالأعمال بها ..

الثانى: إنه لا شك فى أن المرتد عن فطره محكوم بالقتل من الناحيه الشرعيه، سواء كان قرشياً أو غير قرشى. و هو إنما يقتل صبراً، و لم يقل أحد: أن هذه الكلمه قد ألغت هذا الحكم، مع أنه من موارد القتل على الكفر لمن هو من قریش أيضاً.

هذا ما وعدنى ربي:

عن عبد الله بن مغفل قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكه على ناقته، و هو يقرأ سورة الفتح، يرجع صوته بالقراءه.

قال معاويه بن قره: لو لا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجعت عبد الله بن مغفل، يحكى قراءه النبى (صلى الله عليه و آله).

قال شعبه: فقلت لمعاويه: كيف كان ترجيعه؟

قال: ثلاث مرات (١).

و عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح: (هذا ما وعدنى ربي) ثم قرأ: إذا جاء نصر الله و الفتح (٢) (٣).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٠ عن البخارى فى التفسير، و فضائل القرآن، و التوحيد، و المغازى، و عن مسلم فى الصلاه، و النسائى، و الحاكم، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٧.

٢- الآيه ١ من سورة النصر.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٠ عن الطبرانى.

قالوا: و نزل يوم فتح مكة: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (١).

فارتجت مكة من قول أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله): (جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (٢).

و نقول:

١- قد تحدثنا عن بعض ما يرتبط بقراءته (صلى الله عليه و آله) سورة الفتح عن قريب، فلا ضروره للإعاده، فنحن نكتفى بما ذكرناه هناك ..

٢- بالنسبه إلى ما ادعوه في ترجيعه (صلى الله عليه و آله) في قراءه السوره المذكوره نقول:

إنه لا شك في أنه ترجيع لا يصل إلى حد ما نراه من ترجيع غنائى يقوم به القراء في زماننا، و قد وصف ابن قتيبه لنا قراءه بعض قراء زمانه، و إذ بها تشبه ما نراه في هذا الزمان.

فقد قال في معرض حديثه عن حمزه بن حبيب الزيات، و هو أحد القراء السبعه:

(.. هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب، و أهل الحجاز لإفراطه في المد، و الهمز و الإشباع، و إفحاشه في الإضجاع و الإدغام. و حملة المتعلمين على المركب الصعب، و تعسيره على الأمه ما يسر الله.

و قد شغف بقراءته عوام الناس و سوقهم، و ليس ذلك إلا لما يرونه من

١- الآيه ٨١ من سوره الإسراء.

٢- البحار ج ٢١ ص ١١٤ عن تفسير القمى.

مشقتها، و صعوبتها ..

إلى أن قال: و رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، توهّموا: أن ذلك لفضيله فى القراءه، و حذق فيها.
و ليس هكذا كانت قراءه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لا- خيار السلف، و لا- التابعين، و لا- القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهله رسله (١).

و قد تحدثنا فى موضع آخر عن موضوع التغنى بالقرآن، و أن ذلك ليس فقط لم يثبت عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بل النصوص تثبت خلافه ..

٣- إن الآيات القرآنيه التى نزلت، و التى ردها المسلمون حتى ارتجت مكه، تبين: أن المعيار عند صاحب هذا الفتح هو انتصار الحق على الباطل، و ليس المهم فتح البلاد، و امتلاك أزمه الأمر و النهى فى العباد، و لا أى شىء آخر من أمور الدنيا .. إلا إذا كان يقوى هذا الحق و يحميه، و يزهق الباطل و يضعفه، و يبطل أى حركه فيه ..

الفصل الرابع: منزل الرسول صلى الله عليه وآله و جوار أم هانى

اشاره

أين نزل النبي صلى الله عليه وآله في مكة!؟:

روى عن ابن عباس أنه قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة يوم الإثنين (١).

و عن أبي جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قبه بالحجون (أى عند شعب أبي طالب) من آدم، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى إلى القبه، و معه أم سلمه، و ميمونه زوجته (٢).

و عن أسامه بن زيد أنه قال: يا رسول الله! أتى تنزل غدا؟ تنزل فى دارك؟

قال: (و هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دار)؟

و كان عقيل ورث أبا طالب هو و أخوه طالب، و لم يرثه جعفر و لا

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٠ عن الواقدي، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ و راجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ و البحار ج ٢١ ص ١٠٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٩.

على، لأنهما كانا مسلمين، و كان عقيل و طالب كافرين، أسلم عقيل بعد (١).

و عن أبي هريره: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: (منزلنا إن شاء الله تعالى - إذا فتح الله - بخيف بنى كنانه، حيث تقاسموا على الكفر).

يعنى بذلك: المحصب.

و ذلك أن قريشا و كنانه تحالفت على بنى هاشم و بنى المطلب أن لا يناكحوهم و لا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

و عن أبي رافع قال: قيل للنبي (صلى الله عليه و آله): ألا تنزل منزلك من الشعب؟

فقال: (و هل ترك لنا عقيل منزلا)؟

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و قال فى هامشه: أخرجه البخارى ٣/٥٢٦ فى الحج (١٥٨٨) (٣٠٥٨، ٤٢٨٢، ٤٧٦٤)، و مسلم فى الحج (٤٣٩، ٤٤٠) و أبو داود حديث (٢٠١٠) و فى الفرائض باب (١٠) و ابن ماجه (٢٧٣٠) و الطحاوى فى معانى الآثار ٤/٤٩، و أحمد ٥/٢٠٢ و الدار قطنى ٣/٦٢. و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ١ ص ٧٩ و المصنف للصنعانى ج ٦ ص ١٥ و ج ١٠ ص ٣٤٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣١ عن البخارى و أحمد، و قال فى هامشه: أخرجه البخارى (٤٢٨٤) (١٥٨٩)، و مسلم فى الحج (٣٥٥) و البيهقى فى الدلائل ٥/٩٣ و أحمد ٢/٢٦٣، ٣٢٢، ٣٥٣، و الطبرانى فى الكبير ١١/٦٢ و انظر مجمع الزوائد ٣/٢٥٠. و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥.

و كان عقيل قد باع منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء بمكه، فقيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

فانزل فى بعض بيوت مكه غير منازللك.

فأبى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و قال: (لا أدخل البيوت).

و لم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتى المسجد لكل صلاه من الحجون (١).

و عن عطاء: لما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينه لم يدخل بيوت مكه، فاضطرب بالأبطح، فى عمره القضييه، و عام الفتح، و فى حجته (٢).

هذا منزلنا يا جابر:

عن جابر - رضى الله عنه - قال: كنت ممن لزم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدخلت معه يوم الفتح، فلما أشرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أذاخر، و رأى بيوت مكه، وقف عليها، فحمد الله و أثنى عليه، و نظر إلى موضع قبته، فقال:

(هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها).

قال جابر: فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينه: (منزلنا إذا فتح الله علينا مكه فى خيف بنى كنانه، حيث تقاسموا على الكفر).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣١ عن الواقدى و السيره الحلييه ج ٣ ص ٨٥ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٩.

٢- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٩.

و كنا بالأبطح، و جاه شعب أبى طالب، حيث حصر رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بنو هاشم ثلاث سنين (١).

و نقول:

إننا هنا نشير إلى الأمور التاليه:

الحكمه فى اختيار موضع النزول:

قال الصالحى الشامى:

(الحكمه فى نزول النبى (صلى الله عليه و آله) بخيف بنى كنانه، الذى تقاسموا فيه على الشرك، أى تحالفوا فيه على إخراج النبى (صلى الله عليه و آله) و بنى هاشم إلى شعب أبى طالب، و حصروا بنى هاشم و بنى المطلب فيه، كما تقدم ذلك فى أبواب البعثه، ليتذكر ما كان فيه من الشده، فيشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، و تمكنه من دخول مكه ظاهرا على رغم من سعى فى إخراجها منها، و مبالغه فى الصفع عن الذين أساؤوا، و مقابلتهم بالمن و الإحسان، و ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء) (٢).

غير أننا نقول:

إن الأمر لا يقتصر على ما ذكر آنفا، فهناك أمور أخرى نشير إليها فى الفقرات التاليه:

-
- ١- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٠ عن الواقدى و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٣ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٢٨.
 - ٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٧.

النبي صلى الله عليه وآله يصل الماضي بالحاضر:

قد عرفنا فيما سبق: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نزل في نفس الموقع الذي حصره فيه أهل الكفر هو و سائر بنى هاشم، حينما تظاهروا عليه و عليهم بالإثم و العدوان، و قد مكثوا فيه حوالي ثلاث سنوات يقاسمون الآلام، و لا يقدرّون على الاتصال بأحد من الناس، إلا خفيه، و قد منع الناس من إقامة أية صلة بهم، حتى صله البيع و الشراء لأبسط الأشياء، فضلا عن منعهم الناس من مجالستهم، و من التزوج منهم، و التزويج إليهم، و ما إلى ذلك.

و ها هو (صلى الله عليه وآله) قد عاد إلى مكة، و معه أكثر من عشرة آلاف مقاتل .. و أصبح محاصروه بالأمس هم أسراه، و طبعي أن يتوقعوا محاصرتهم من قبله، جزاء لهم على ما كسبت أيديهم.

نعم، لقد أصبح من لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه، أو يقيم معه أية صلة و لو عابره، موضع الحفاوه و التكريم، و التبجيل و التعظيم، و يتلهف الناس للاقتراب منه، و التماس البركة به، و بكل شيء ينسب إليه، و يتمنون أن تشملهم منه نظره أو لفته، حتى لو كانت عابره ..

بل إن أعداءه بالأمس، الذين تشهد تلك الشعاب التي نزل فيها على شدة ظلمهم له، و بغيهم عليه، يتوافدون إليه في نفس المكان الذي اضطهدوه فيه بالأمس، لتقديم فروض الولاء، و التفنن فيما يزجونه إليه من مدح و ثناء. فيتذكرون ما ارتكبوه في حقه، و في حق الشيوخ و الأطفال و النساء من صحبه و أهله، فهل يخجلون من أنفسهم؟! أو هل يندمون؟! و هل يتوبون إلى الله و يستغفرون؟! و يستغفرون؟! و يستغفرون!؟

و هل يفيدهم ذلك في إعادته النظر و المقارنه بين ما كانوا عليه، و ما آلت أمورهم إليه؟! فيضعون الأمور في نصابها، و يتأكد لديهم أن الله هو الراعى، و الحامى، و المدبر لنبيه، و المعين و الناصر لعباده و أوليائه ..

أين نزل رسول الله صلى الله عليه و آله؟!:

و قال الصالحى الشامى أيضا:

(لا مخالفه بين حديث نزوله (صلى الله عليه و آله) بالمحصب، و بين حديث أم هانئ: أنه (صلى الله عليه و آله) نزل فى بيت أم هانئ. لأنه (صلى الله عليه و آله) لم يقيم فى بيت أم هانئ، و إنما نزل به حتى اغتسل و صلى، ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبى طالب. و هو المكان الذى حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجره كما تقدم) (١).

إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر:

و عن إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر نقول:

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصح:

أولاً: لأننا قدمنا فى هذا الكتاب الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد على إيمان أبى طالب (عليه السلام) .. و قد كتب فى إثبات إيمانه عشرات المؤلفات، بأقلام العلماء من السنه و الشيعة، بالإضافة إلى بحوث كثيره جدا كتبت حول هذا الموضوع.

ثانياً: إن المسلم يرث الكافر بلا ريب، و لكن الكافر لا يرث المسلم،

فعلى (عليه السلام) يرث أبا طالب، لأنهما كانا مسلمين، ولا يرثه عقيل لأنه كان كافرا حين موت أبى طالب المؤمن .. فراجع كتابنا: (ظلامه أبى طالب)، ففيه بعض ما يفيد فى هذا المجال.

إن قلت: لعلمهم قد جروا فى هذا الإرث على أحكام الجاهليه وقوانينها ..

قلت:

ألف: إن الذين ذكروا هذا الأمر لا يقصدون بكلامهم أحكام الجاهليه.

ب: لم يكن لأهل الجاهليه أحكام وقوانين فى هذا الأمر، بل كان هناك ظلم و تعد على المؤمنين، فلو فرضنا: أن عقيلاً كان قويا بحيث استطاع أخذ أموال النبى (صلى الله عليه وآله) و على و جعفر (عليهما السلام)، فهل كان قويا إلى حد أنه يأخذ حصه أخواته و أخيه طالب، الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد، حسب قول هؤلاء الرواه؟!

و لماذا رضى سائر أقارب النبى (صلى الله عليه وآله) و على و جعفر (عليهما السلام) بتسلط خصوص عقيل على أموال أبيه، و على أموال ابن عمه - أعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) - دونهم.

ثالثا: إن عقيلاً- لم يبع خصوص ما ورثه هو من أبيه، بل باع أيضا منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء، كما صرحت به النصوص المتقدمه.

فإن كان على و جعفر (عليهما السلام) قد أسلما، و سلمنا جدلا أنهما لا يرثان- و سلمنا على مضمض أيضا بموت أبى طالب على الشرك- فإن رسول

اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) لم يكن من ورثه أبى طالب .. فلما ذا يبيع عقيل أملا-كه، و لماذا رضى العباس من عقيل بأن يفعل ذلك، و العباس أقرب إلى النبي (صلى اللّٰه عليه و آله) منه، فكيف لم يعترض عليه؟!

كما أن أم هانئ أخت على (عليه السلام) كانت هى و أخواتها- كما يزعمون- على الشرك أيضا، فلما ذا باع عقيل منزلها و منازل و رباع أخواتها؟! و لماذا باع منزل طالب أيضا؟!

فلما ذا لم يمنعوه من إتمام هذا البيع، و لماذا تركوا أهل مكه يشترى من هذا البائع ما ليس له؟!

رابعاً: كان بإمكان النبي (صلى اللّٰه عليه و آله) أن ينزل فى أحد بيوت مكه على سبيل العاربه، أو الشراء، فلما ذا لم يفعل ذلك؟!

بل لقد كان يمكنه أن ينزل فى بيت عمه العباس، أو فى أى بيت آخر من بيوت المؤمنين الذين كانوا فى مكه، و ما أكثرهم!! و سيدخل ذلك عليهم السرور بلا ريب.

و قد نزل على أبى أيوب حين هاجر (صلى اللّٰه عليه و آله) إلى المدينه مدته شهر أو أشهر أو سنه.

خامساً: إن قول الرسول (صلى اللّٰه عليه و آله): (لا أدخل البيوت) ثم لم يدخل بيتاً أبداً لا فى عمره القضاء، و لا فى عام الفتح، و لا فى حجه الوداع، يشير إلى أن الأمر ليس لأجل عدم وجود بيت ينزل فيه، بل هو يتعدى ذلك ليكون قراراً إلهياً نبوياً، و قد بدا بمثابه قاعده يلتزم بها ..

و أما دخوله بيت أم هانئ فلم يكن دخول سكنى، بل دخول تكريم لها و لأخيها على (عليه السلام).

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلى الله عليه وآله:

إن الحديث المتقدم عن اختيار موضع نزوله (صلى الله عليه وآله) في مكة يدل على أن القرار بذلك لم يكن وليد ساعته، بل يدخل ضمن خطه كانت قد رسمت منذ وقت طويل، حيث إنه (صلى الله عليه وآله) كان قد أخبر جابرا بذلك في المدينة، قبل مده، فلما سمعه جابر يذكر ذلك في مكة تذكر ما كان في المدينة.

و إذا كان (صلى الله عليه وآله) لا ينطق عن الهوى، و لا يفعل إلا ما يريد الله سبحانه، و يرضاه، فالنتيجة هي أن ذلك لا بد من أن يكون من مفردات السياسة الإلهية في تربيته أهل الإيمان، و تقديم العبر و العظات للناس جميعاً، مؤمنهم و كافرهم، فيقيم الحجة على الكافر ليكتبته بها، و يرسخ يقين المؤمن ليسعده به، و يبعث فيه نفحة أخرى من الوعي للحقائق و يشتهه بالقول الثابت و الصادق.

لا ينزل النبي صلى الله عليه وآله بيوت مكة:

كأن هؤلاء الناس حين يذكرون امتناع النبي (صلى الله عليه وآله) عن النزول في بيوت مكة، يريدون الإيحاء بأن السبب في ذلك: أنه لم يكن له (صلى الله عليه وآله) بيت ينزل فيه، لأن عقيلاً كان قد باع الرباع و المنازل.

و الحقيقة هي: أن هذا يدخل في سياق تزوير الحقائق الذي طالما شاهدناه في المواضيع المختلفة .. إذ عدم وجود بيت يملكه النبي (صلى الله عليه وآله) لا- يعني أن يتخذ قراراً بعدم دخول أى بيت من بيوت مكة، و لو كضيف على عمه العباس إن لم يكن يريد شراء بيت فيها .. تماماً كما جرى له

(صلى الله عليه وآله) حينما هاجر إلى المدينة، فإنه نزل على أبي أيوب الأنصاري .. وبقى عنده شهرا، أو سبعة أشهر، أو سنة (١).

ولنفترض: أن عقيلاً قد باع البيوت، لكن أم هانئ كان لها بيت تسكن فيه، وبيت عمه العباس لا يزال على حاله، ولم يبعه عقيل، وكذلك بيوت سائر بنى هاشم. ألم يكن يمكنه أن ينزل في أحدها؟! ألم يكن العباس وغيره من المؤمنين الذين كانوا في مكة، و ما أكثرهم، في غاية اللهفة لنيل هذا الشرف العظيم؟! و هو نزول النبي (صلى الله عليه وآله) في بيوتهم، وإذا كان (صلى الله عليه وآله) قد أكرم أم هانئ، فأكل عندها .. فلما ذا لا يكرمها بالنزول في بيتها أياما يسيره؟!

فإن كانت لا تزال على شركها، و لا يريد أن تكون لها منه عليه، فلما ذا أكل و صلى و اغتسل عندها؟! (٢) ألا يدل ذلك على أنها كانت مسلمة؟!

و الخلاصة: إن ذلك كله يدل على أن ما يذكرونه من الاستناد إلى ما فعله عقيل من بيع البيوت و الرباع لم يكن هو السبب في اتخاذ هذا القرار.

النبي صلى الله عليه وآله لا يدخل دور مكة:

و في سياق آخر نقول:

بالنسبة لما تقدم: من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يدخل دور مكة، لا في الفتح و لا في عمره القضاء، و لا في حجه الوداع: فقد روى عن

١- راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٧٨ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٥ و السير الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٧.

الإمام الصادق (عليه السلام) أنه كره المقام بمكة، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرج عنها، والمقيم بها يقسو قلبه (١).

و روى أيضا عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إذا قضى أحدكم نسكه فليركب راحلته، و ليلحق بأهله، فإن المقام بمكة يقسى القلب) (٢).

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى أهل مكة أن يؤاجروا دورهم، و أن يعلقوا عليها أبوابا. و قال:

سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِ (٣).

و فى حديث آخر: لم يكن ينبغي أن يصنع على دور مكة أبوابا، لأن للحاج أن ينزل فى دورهم فى ساحه الدار، حتى يقضوا مناسكهم.

و إن أول من جعل لدور مكة أبوابا معاويه (٤).

و عن جعفر بن عقبه، عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام): إن عليا (عليه السلام) لم يبيت بمكة بعد أن هاجر منها حتى قبضه الله عز و جل إليه.

قال: قلت: و لم ذلك؟

١- البحار ج ٩٦ ص ٨٠ و سفينه البحار ج ٨ ص ٩٢ و ٩٣ و عن علل الشرائع ص ٤٤٦.

٢- البحار ج ٩٦ ص ٨١ و سفينه البحار ج ٨ ص ٩٣ و عن علل الشرائع ص ٤٤٦.

٣- الآية ٢٥ من سوره الحج. و الحديث فى سفينه البحار ج ٨ ص ٩٣ عن قرب الإسناد و البحار ج ٩٦ ص ٨١ عن قرب الإسناد ص ٦٥.

٤- البحار ج ٩٦ ص ٨٢ عن علل الشرائع ص ٣٩٦ و سفينه البحار ج ٨ ص ٩٣.

قال: يكره أن يبيت بأرض هاجر منها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

و كان يصلى العصر و يخرج منها و يبيت بغيرها (١).

و لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن امتناع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المبيت بمكة لم يكن استجابته لحقن شخصى فرض عليه هذا القرار، بل هو - كما أشرنا إليه - قرار يرضاه الله و يريده، و هو من مظاهر طاعه الله سبحانه .. و قد كان (صلى الله عليه وآله) قد ذكر هذا القرار و هو فى المدينة قبل الفتح، و قد ذكره مره أخرى فى مكة ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إن التحدى الذى واجهه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم يكن لشخصه، إنما هو لنبوته و لرسوليته، و لذلك أخرج من مكة.

و حين فتح مكة، فإن أهلها انقادوا له لأنه قوى، لا - مجال لمقاومته، و لم تقبل قلوبهم نبوته و رسوليته، إلا على سبيل الإقرار اللسانى .. و لذلك احتاج إلى أن يتألفهم على هذا الدين، و يصبر على الكثير من الأذى و البلايا التى أوصلوها إليه بنحو أو بآخر. و كان كثير منهم يتخذ سبيل النفاق، فهو يظهر الإسلام، ثم يكيد له و لأهله الحقيقيين المخلصين.

أى أن محمدا (صلى الله عليه وآله) كرسول، لم يدخل مكة بعد .. بل ما جرى هو مجرد نسيم هب على مكة، لا بد من العمل على أن يتحول إلى ریح تقلل سحابا ثقالا بماء الحق و الصدق الذى ينعش الأرواح، و تحيا به النفوس ..

١- سفينه البحار ج ٨ ص ٩٣ عن علل الشرائع ص ٣٩٦ و عن عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٤ و البحار ج ٩٦ ص ٨٢ عنهما.

فدخول النبي (صلى الله عليه وآله) إلى منازل يستولى عليها أولئك الذين حاربوه لربما يستتبع الكثير من التخمينات و الحثيات التي تثير مخاوف أهل مكة و شكوكهم، و لكنه إذا لم يدخل منزلاً، و اكتفى بخيمه تنصب له، فإن ذلك سوف يطمئنهم إلى أن هذا النبي (صلى الله عليه وآله) لا يريد المقام في البلاد و لا يرغب في الهيمنة على العباد، و إنما يريد أن يفسح الطريق أمام الناس للتعرف على الإسلام، و أن يمنع أعداءه من التعرض له بفنون من المكر و الكيد ليمنعوه من الوصول إلى العقول و القلوب ..

إنه لا يريد أموالاً، و لا بلاداً، و لا داراً، و لا عقاراً، بل يريد لهم العيش الرغيد و السعيد في بلادهم و ديارهم، و بين أهلهم، فهو حتى في أخرج ساعه تواجههم، يقدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه لا-مطمع له بشىء من دنياهم، و أنه يتعامل معهم بالإنصاف، و بالرحمة، و بالإيثار، لا بمنطق المنتصر الحائق الذي يتعامل بالنقمة، و يريد أخذ الثار.

تكریم النبی صلی الله علیه و آله لأم هانی:

عن ابن عباس قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لأم هانى يوم الفتح: (هل عندك من طعام تأكله)؟

قالت: ليس عندي إلا كسر يابسه، و إنى لأستحي أن أقدمها إليك. الصحيح من سيره النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ١٣٩
تكریم النبی صلی الله علیه و آله لأم هانی: ص : ١٣٩

فقال: (هلمى بهن) فكسرهن في ماء.

و جاءت بملح فقال: (هل من آدم)؟.

فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شىء من خل.

فقال: (هلميه)، فصبّه على الطعام، و أكل منه، ثم حمد الله، ثم قال:

(نعم الأدم الخَلّ، يا أم هانئ لا يفقر بيت من أدم فيه خَلّ) (١).

و نقول:

ما أروع و أجمل هذا التكريم النبوي العفوى، و ما أجلّ هذه المبادرة للإعلان عن صافى الموده، و جميل الوفاء و الإخاء لامرأه فاضله و نبيله، يريد أن يعلن للناس كلهم، و للأجيال اللاحقه، بعظيم احترامه و تقديره لها و لفضلها و نبلها، فيخصها بشرف لم ينله أحد من رجالات مكه و عظمائها، فيدخل منزلها، و يصلى و يأكل عندها .. و يعاملها بعفويه ظاهره، و موده طافحه بالإجلال و التعظيم، و الموده و التكريم ..

و قد تجلت وحده الحال فى قوله (صلى الله عليه و آله) لها: هل عندك من طعام تأكله؟!

و لم يكن لديها إلا كسر يابسه من خبز، و إلا شىء من خَلّ، جعله (صلى الله عليه و آله) إداما .. ثم أثنى على هذا الإدام، و بيّن أن له قيمه كامنه فى عمق ذاته، فقال: (نعم الإدام الخَلّ).

ثم شفع ذلك ببشاره نبويه، من شأنها أن تدخل السرور و الرضا على قلب هذه المرأه الجليله، فقال: (يا أم هانئ، لا يفقر بيت من أدم فيه خَلّ).

على عليه السلام و أم هانئ:

و فى الروايات حديث عن إجاره أم هانئ لرجلين من المشركين، و قبول النبي (صلى الله عليه و آله) ذلك منها. و نحن نذكر أولاً هذه النصوص، ثم

١- مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ عن الطبرانى.

نشير إلى بعض ما يمكن أن يقال حولها، فنقول:

بلغ عليا (عليه السلام): أن أم هانئ بنت أبي طالب آوت ناسا من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، (و عند الواقدي عبد الله بن ربيعه)، فقصد (عليه السلام) نحو دارها مقنعا بالحديد، فنادى:
(أخرجوا من آويتم).

فجعلوا يذرقون كما تذرق الجباري، خوفا منه.

فخرجت إليه أم هانئ- وهي لا تعرفه- فقالت: يا عبد الله، أنا أم هانئ، بنت عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخت علي بن أبي طالب، إنصرف عن داري.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أخرجوهم).

فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، وقالت:

فديتك، حلفت لأشكونك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال لها: (إذهبي، فبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي).

قالت أم هانئ: فجئت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في قبه يغتسل، وفاطمه (عليها السلام) تستره، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلامي، قال: (مرحبا بك يا أم هانئ وأهلا).

قلت: بأبي أنت وأمي، أشكو إليك ما لقيت من علي (عليه السلام) اليوم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (قد أجرت من أجرت).

فقالت فاطمه (عليها السلام): (إنما جئت يا أم هانئ تشكين عليا

(عليه السلام) فى أنه أخاف أعداء الله و أعداء رسوله؟!)

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (قد شكر الله لعلى (عليه السلام) سعيه، و أجرت من أجارت أم هانئ، لمكانها من على بن أبى طالب) (١).

و عند الواقدي: أن النبى (صلى الله عليه و آله) لم يكن حين تكلمت أم هانئ مع فاطمه (عليها السلام) ..

ثم جاء رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأجار لأم هانئ من أجارت، ثم طلب من فاطمه (عليها السلام) أن تسكب له غسلا، فاغتسل، ثم صلى ثمان ركعات (٢).

و عن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة، دخلت أنا و عبد الله بن أبى ربيعه دار أم هانئ، ثم ذكر: أن النبى (صلى الله عليه و آله) أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا يومين، ثم خرجنا إلى منازلنا، فجلسنا بأفئتها لا يعرض لنا أحد، و كنا نخاف عمر بن الخطاب، فو الله إنى لجالس فى ملاءه مورسه (٣) على بابى ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدو من المسلمين، فسلم و مضى.

و جعلت أستحي أن يرانى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أذكر رؤيته

١- البحار ج ٢١ ص ١٣١ و ١٣٢ عن إعلام الورى و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٩ و ٨٣٠.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٠.

٣- مورسه: مصبوغه بلون أحمر.

إيأى فى كل موطن مع المشركين، ثم أذكر بره و رحمته و صلته، فألقاه و هو داخل المسجد، فلقينى بالبشر، فوقف حتى جئته فسلمت عليه، و شهدت بشهادة الحق، فقال: الحمد لله الذى هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام.

قال الحارث: فوالله ما رأيت مثل الإسلام جهل (١).

و عن أم هانئ- رضى الله عنها- قالت: لما كان عام يوم الفتح فرّ إلى رجلان من بنى مخزوم فأجرتهما، قالت: فدخل عليّ فقال: أقتلها.

قالت: فلما سمعته يقول ذلك أغلقت عليهما باب بيتى، ثم أتيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو بأعلى مكة، فلما رآنى رسول الله (صلى الله عليه و آله) رَحِب و قال: (ما جاء بك يا أم هانئ).

قالت: قلت: يا رسول الله، كنت أمنت رجلين من أحمائي، فأراد عليّ (عليه السلام) قتلها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (قد أجرنا من أجرت).

ثم قام رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى غسله، فسترته فاطمه (عليها السلام)، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثمان ركعات سبحه الضحى (٢).

-
- ١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٤٩ و ١٥٠ عن الواقدي و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣١ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٢.
 - ٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣١ و فى هامشه عن صحيح مسلم (صلاه المسافرين) (٨٢) و عن أبى داود (٢٧٦٣) و عن مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٥ و مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٣ و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

لكن فى الحلبيـه و غيرها: فوجدته يغتسل من جفنه فيها أثر العجين، و فاطمه ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟

إلى أن قال: و فى الروايه الأولى: فلما اغتسل أخذ ثوبه و توشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى.

ثم أقبل على، فقال: مرحبا يا أم هانى، ما جاء بك؟.

فأخبرته الحديث.

فقال: (أجرنا من أجرت الخ ..) (١).

و قيل: إن الرجلين هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أميه بن المغيره (٢).

و عنهما: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) اغتسل يوم فتح مكه فى بيتها، و صلى ثمان ركعات، قالت: لم أره صلى صلاه أخف منها، غير أنه يتم ركوعها و سجودها (٣).

و أطلقوا على صلاته هذه اسم (صلاه الفتح). و كان الأمراء يصلونها إذا فتحوا بلدا. و لا يفصل بينهما. و تصلى بغير إمام.

قال السهيلي: و لا يجهر فيها بالقراءه (٤).

و سموها أيضا صلاه الضحى، و صلاه الإشراق، و قد اختلفوا فى

١- السيره الحلبيـه ج ٣ ص ٩٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

٢- راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣١ و ٢٣٢ عن البخارى، و البيهقى، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ عن المواهب اللدنيه، و البخارى.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٩.

أمرها بين منكر و مثبت. فراجع (١).

و عن معاوية بن وهب، قال: لما كان يوم فتح مكة ضربت على رسول الله (صلى الله عليه و آله) خيمه سوداء من شعر بالأبطح، ثم أفاض عليه الماء من جفنه يرى فيها أثر العجين، ثم تحرى قبله ضحى، فركع ثمان ركعات، لم يركعهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل ذلك و لا بعد (٢).

و أما الحديث عن أنها (رحمها الله) قد ذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل و فاطمه (عليها السلام) تستره (٣). و يؤيده ما روى عنها: من أن أبا ذر ستره لما اغتسل (٤). فيحمل على أن ذلك قد تكرر منه. و يحتمل أن يكون نزل في بيتها بأعلى مكة، و كانت هي في بيت آخر في مكة، فجاءت إليه فوجدته يغتسل الخ .. (٥).

و نقول:

إننا نعلق على ما تقدم بما يلي:

الأمان .. و الجوار:

تقدم: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد اعلن بالأمان لأهل مكة، و عين مواضع يلجأ إليها المستأمنون، مثل: المسجد، و دار أبى سفيان، و رايه

١- راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٣ فإنه ذكر شطرا من اختلافاتهم فى هذا الأمر.

٢- البحار ج ٢١ ص ١٣٥ عن الكافى ج ١ ص ١٢٥ و ١٢٦.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٨ عن مسلم.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٨ عن ابن خزيمه

٥- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٨.

أبى رويحه، و إلقاء السلاح، و دخول الإنسان داره و إغلاق بابه، و ما إلى ذلك ..

و لكننا نقرأ هنا: أن عليا (عليه السلام) يلاحق هذين الرجلين إلى دار أخته أم هانى ليقتلها.

و نقرأ أيضا: أن أم هانى قد أجاتهما، و لكن عليا (عليه السلام) لم يقتنع منها بذلك، حتى قبل رسول الله (صلى الله عليه و آله) نفسه جوارها ..

فالإعلان السابق لا يشير إلى وجود حرب و قتال، بل هناك أمان و سلام.

و حادثه علي (عليه السلام) و أم هانى تدل على: أن حاله الحرب كانت قائمه، و أن الحاكم هو أعرافها و قوانينها .. فكيف نوفق بين هاتين الحالتين المتخالفتين؟!

و يمكن أن نجيب بما يلي:

أولا: لماذا لم يلجأ هذان الرجلان إلى أى من تلك المواضع التى حددها رسول الله (صلى الله عليه و آله) لطالبي الأمان؟!

ألا يدل ذلك: على أنهما كانا فى حاله قتاليه، احتاجا إلى الخروج منها إلى جوار أم هانى؟!

ثانيا: إننا نعرف مدى طاعه علي (عليه السلام) لأوامر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مدى دقته فى تنفيذها مما جرى فى خير، حيث قال له النبي (صلى الله عليه و آله): اذهب و لا تلتفت.

فسار (عليه السلام) قليلا ثم وقف و لم يلتفت، و سأل النبي (صلى الله

عليه وآله): علام أفاتلهم؟! الخ .. (١).

فملاحقته لهذين الرجلين يدل على: أنهما كانا محاربين، ويدل على ذلك أيضا ثناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام): (قد شكر الله سعيه، وأجرت من أجارت أم هاني لمكانها من علي) (٢).

و عند الحلبي: (قد آمننا من آمنت، وأجرنا من أجرت، فلا نقتلها) (٣).

ثم هو يقول: (فلا نقتلها). وهو تعبير يشير إلى أن التصميم على قتلها كان من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه.

من الذين آوتهم أم هاني!؟

ذكرت بعض الروايات: أن الرجلين اللذين آوتهما أم هاني هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية.

و بعضها ذكرت: الحارث و عبد الله بن ربيعة.

و ذكرت ثلثه: الحارث، و قيس بن السائب.

١- صحيح البخارى (ط محمد على صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و صحيح مسلم ج ٧ ص ٢١ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و الخصائص للنسائي ص ٦ و حليه الأولياء ج ١ ص ٦٢ و السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ و تذكره الخواص ص ٢٤ و أسد الغابه ج ٤ ص ٢٨ و مشكاه المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسى) ص ٧٤ و راجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٤ و ١٨٨.

٢- البحار ج ٢١ ص ١٣١ و ١٣٢ عن إعلام الورى.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٣.

و الظاهر: أنها (رحمها الله) آوت الجميع، و ربما كان معهم غيرهم أيضا و ذلك لروايه الطبرسى المتقدمه، التى تقول: (آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم الحارث الخ ..).

لقاء على عليه السلام بأُم هانى:

و اللافت هنا: أن عليا (عليه السلام) يأتى إلى دار أخته مقنعا بالحديد، و لا يعرّف أخته بنفسه فى بادئ الأمر، و لكنه لا يقتحم الدار، و لعله لأنه لا يريد أن يروع أخته، بل ينادى من خارج الدار: أخرجوا من آويتم!!

فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرّف هى بنفسها، بأنها بنت عم النبى (صلى الله عليه و آله)، و أخت على (عليه السلام)، ثم تأمره بالانصراف عن دارها ..

و لكن عليا (عليه السلام) لا يزال مصرا على موقفه، و يعيد النداء:

أخرجوهم.

فلم تضعف، و لم تتراجع، بل قالت له: و الله، لأشكونك إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و فى هذه اللحظة ينزع على (عليه السلام) المغفره عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.

فلاحظ: أن عليا (عليه السلام) قد أجرى الأمور على طبيعتها، و فى أيه حاله أخرى، و فى أى بيت أو شخص آخر، و هو (عليه السلام) رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعى مراعاها لها، أو انسياقا مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذى أطلقته.

و هي ترى أنها محقه في إعطائها الأمان لأولئك المشركين فلم يمنعها من ممارسه حقها في الدفاع عنهما، بل كان هو الذى دلها على مكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالتحديد، و طلب منها أن تذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و تشكوه عنده، ليأتى القرار بالعفو من مصدره الأساس، و هو رسول الله (صلى الله عليه و آله). و بذلك يسقط التكليف عن أمير المؤمنين بصوره تلقائيه ..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروايات المتقدمه: مدى خوف أولئك الظالمين من سيف عدل على (عليه السلام)، رغم أن عددهم كان وافرا، حتى جعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفا من رجل واحد، و لم يجرؤوا على الخروج إلى ساحه مواجهه؟
فماذا قوى على (عليه السلام) عليهم؟! أليس بإيمانه الراسخ بالله، و اعتزازه و ثقته بربه و دينه؟! و عزوفه عن زخارف هذه الدنيا؟! و طلبه لما عند الله الذى هو خير و أبقى!؟

لم تصرح أم هانى بما تطلب:

و فى روايه الطبرسى: أن أم هانى لم تصرح لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بما تشكوه من على (عليه السلام)، بل هى بمجرد أن ذكرت له: أنها لقيت من على (عليه السلام) أمرا شديدا عليها، قال لها رسول الله (صلى الله عليه و آله): (قد أجرت من أجرت).

ألا يشير إلى أنه (صلى الله عليه و آله) كان عارفا بتفاصيل ما يجرى، من

دون حاجة إلى إخبار أحد؟! كما أن فيه إشارة لأم هانئ بأن تثق بالغيب، و تيقن بأنه (صلى الله عليه و آله) يستمد معرفته من الوحي الإلهي، الذي يسدده و يرهه ..

موقف الزهراء عليها السلام من أم هانئ:

و لم تكن الزهراء (عليها السلام) بصدد تأنيب أم هانئ لشكواها عليا (عليه السلام)، و إنما أرادت أن تطمئن إلى سلامه أهداف أم هانئ من هذه الشكوى، و أنها لم تكن بصدد الدفاع عن أعداء الله، و لا لأنه أخاف أعداء الله، بل هي تسعى كما يسعى أخوها علي (عليه السلام) إلى دفع شر أولئك الأشرار بأقل قدر ممكن من الخسائر.

و إنما قلنا ذلك: لأننا نعلم أن أم هانئ المؤمنة بالله، و التي تلجأ إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لا يمكن أن تشتكي ناصر رسول الله و من يخيف أعداءه و أعداء الله.

و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد أوضح لها: أن عليا (عليه السلام) يسعى إلى رضا الله تعالى، فكان أن تصرفت بنحو لم يغضب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بل هي قد فعلت ما هو حقها، و المتوقع منها ..

أم هانئ لا تجير على رسول الله صلى الله عليه و آله:

و النقطة التي تحتاج إلى بيان هي: أن أم هانئ لم تجر أولئك المشركين لتحميهم من قرار رسول الله (صلى الله عليه و آله) و حكمه فيهم.

بل أجاتهم لتحميهم من سائر المقاتلين حتى يصلوا سالمين إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ثم يكون هو الذي يحكم فيهم بما يرضى الله سبحانه.

و الشاهد على ما نقول: شكواها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه.

و لكنّ أبا سفيان حين ذهب إلى المدينة يطلب تأكيد عهد الحديبيه بعد نقضه طلب من الزهراء (عليها السلام) أن تجير بين الناس، لأنه أراد ذلك منها ليحمى به أولئك القتله للنساء، و الصبيان، و الضعفاء من حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم.

فهو جوار ضد حكم و قرار رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الظالمين و الناكثين .. و ليس لحمايتهم من الناس إلى أن يصلوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ليكون هو الحاكم فيهم.

ما مثلك يجهل الإسلام:

و ذكروا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال للحارث بن هشام: (ما مثلك يجهل الإسلام).

و يبدو أنهم أرادوا بهذا الكلام التنويه برجاحه عقل الحارث، و سلامه تفكيره، و سداد رأيه، باعتبار ثناء حظى به على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بين الكثير من أقرانه.

غير أننا نرى: أن هذا الكلام لا- يقصد منه الثناء عليه بقدر ما يقصد به تفريره، و تأنيبه على اتباعه لأهوائه، و على ضعفه أمام شهواته و انقياده لميوله و رغباته، و ترك ما يحكم به عقله، و ما ترشده إليه فطرته، و تقوده إليه الدلائل الظاهره، و الحجج القاهره ..

خوف المشركين من عمر:

وقد تحدث الحارث بن هشام: بأنه بعد أن أجاز النبي (صلى الله عليه و آله) جوار أم هاني، خرج أولئك النفر إلى منازلهم، و جلسوا بأفئيتها، لا يعرض لهم أحد، لكنهم كانوا يخافون من عمر .. ثم مر بهم عمر في نفر من المسلمين، فسلم و مضى ..

و نقول:

إن هذا الثناء التبرعى على عمر قد يفهم هنا على أنه ذم له، من حيث دلالته على أن عمر يتطفل على الناس، و يبادر إلى أذيتهم، حتى مع علمه بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد أجاز جوار بعض الناس فيهم، فهو إذن إنسان متهور، لا يبالي بما يصدر عنه، و لا- يراعى أبسط قواعد التعامل الصحيح و الموزون حتى مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) .. أو أن ذلك كان على الأقل هو الانطباع الشائع فيهم عن عمر بن الخطاب.

رنه إبليس .. و حديث نائله و ..:

عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة رنَّ (١) إبليس رنه، فاجتمعت إليه ذريته، فقال: إياسوا أن تردوا أمه محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا، و لكن أفسوا فيها- يعنى مكة- النوح و الشعر (٢).

و قيل: إنه رن ثلاث رنات: رنه حين لعن، فتغيرت صورته عن صورته

١- رنّ: صوّت و صاح.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٢ عن أبى يعلى، و أبى نعيم.

الملائكة، و رنه حين رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يصلى قائما بمكة، و رنه حين افتتح (صلى الله عليه و آله) مكة، فاجتمعت ذريته فقال: إياسوا أن تردوا أمه محمد إلى الشرك الخ .. (١).

و عن مكحول: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما دخل مكة تلقته الجن يرمونه بالشر، فقال جبريل (عليه السلام): تعوذ يا محمد بهؤلاء الكلمات:

(أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر و لا- فاجر، من شر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها، و من شر ما بث في الأرض، و ما يخرج منها، و من شر الليل و النهار، و من شر كل طارق يطرق إلا بخير، يا رحمن) (٢).

و عن ابن أبرى قال: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة جاءت عجوز حبشية شمطاء، تخمش وجهها، و تدعو بالويل، فقال (صلى الله عليه و آله): (تلك نائله، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا) (٣).

و نقول:

ألف: أما بالنسبة للحديث عن رنه إبليس، فقد ورد في ذيله: أن إبليس قال لذريته: إياسوا من أن تردوا أمه محمد إلى الشرك، و لكن أفسحوا فيها- يعنى مكة- النوح و الشعر.

و نحن نشك في صحه ذلك، إذ ليس فى النوح و الشعر ما يصلح لأن

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٤١ و ٨٤٢.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٢ عن ابن أبى شيبه.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٢ عن البيهقي فى دلائل النبوه ج ٥ ص ٧٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٤١.

يكون بديلا- حسب منطق إبليس لعنه الله- عن الشرك بالله، مهما بالغنا في الحديث عما يوجهه الشر من الفساد و الإفساد،
فلذلك نقول:

إن الصحيح هو ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام): إن إبليس رن أربع رنات: يوم لعن، و يوم أهبط إلى الأرض، و يوم بعث
النبي (صلى الله عليه و آله)، و يوم الغدير (١).

و هذا الحديث هو الأولى بالصحة، و الأقرب إلى الاعتبار، فإن يوم الغدير قد جعل إبليس يئأس من طمس الحق، لأن ولايه أمير
المؤمنين (عليه السلام) هي سبب بقاء هذا الدين، و بها تمت النعمة على الخلق، حسبما نصت عليه الآيات الكريمة، فراجع كتابنا:
(الغدير .. و المعارضون) ففيه بعض ما يفيد في هذا الموضوع.

ب: بالنسبة لحديث رمى الجن للنبي (صلى الله عليه و آله) بالنار حين دخول مكة، فنزل جبرئيل و علّم النبي (صلى الله عليه و
آله) أن يتعوذ بكلمات الله التامات، نقول:

روى: أنه (صلى الله عليه و آله) كان يعوذ الحسنين، فيقول: أعيدكما بكلمات الله التامات، من كل شيطان و هامه، و من كل
عين لامة.

و كان إبراهيم يعوذ بها إسماعيل و إسحاق (عليهم السلام) (٢).

على أن هذه الرواية إنما رويت عن مكحول، الذي لم يكن في زمان

١- البحار ج ٣٧ ص ١٢١ عن قرب الإسناد ص ٧.

٢- البحار ج ٤٣ ص ٢٨٢ عن حليه الأولياء، و سنن ابن ماجه، و السمعاني في الفضائل.

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما ذا لم يروها صحابه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنفسهم؟

فلعلهم كانوا قد شاهدوا ذلك بأنفسهم، لكي يصفوا لنا الجن، وأشكالهم، وسماتهم!! ولنعرف إن كان الشرر قد أصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أم لم يصبه؟!

و بعد .. فيا ليتهم ذكروا لنا كيف انصرف الجن عنه (صلى الله عليه وآله)؟!

و هل تصدى أحد من المسلمين لهم حتى أجبرهم على الإنصراف؟! أم أن تلك العوذه التي جاء بها جبرئيل (عليه السلام) هي التي أوجبت انصرافهم؟!

ج: و أما حديث مجيء نائله في صورته عجوز شماء (عريانه)، فقد ذكروا نفس هذا الحديث بالنسبة للعزى أيضا.

و ذكروا: أن خالدا ضربها بسيفه فقطعها نصفين فماتت.

و يذكرون مثل ذلك أيضا: عن مناه، و أن سعيد بن زيد قتلها أيضا ..

و قد ناقشنا هذه القضية في قصة قتل العزى، و طرحنا العديد من الأسئلة التي لن تجد لها جوابا مقنعا و مقبولا ..

على أننا نستغرب: أن لا يكون حديث نائله قد تداولته الرواه، و نقله لنا العشرات ممن حضروا و شاهدوها، و هي عارية. و هو أمر لافت للأنظار، مثير للفضول .. و كان من المناسب أيضا أن يذكروا لنا بعض صفاتها، و تركيبها الجسدي، فإن للجن أحوالا تختلف عن أحوال الإنس لا محاله ..

ص: ١٥٨

الفصل الخامس: ما جرى لأبي قحافه

اشاره

إسلام أبي قحافة:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: لما كان عام الفتح، و نزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) بنذى طوى، قال أبو قحافة لابنه له - قال البلاذرى: اسمها أسماء، و قال محمد بن عمر تسمى: قريبه - كانت من أصغر ولده: يا بني، أشرفى بى على أبى قبيس - و قد كف بصره - فأشرفت به عليه.

فقال: أى بنيه!! ماذا ترين؟

قالت: أرى سوادا مجتمعا كثيرا، و أرى رجلا يشند بين ذلك السواد مقبلا و مدبرا.

فقال: ذلك الرجل الوازع (١)، ثم قال: ما ذا ترين؟

قالت: أرى السواد قد انتشر و تفرق.

فقال: و الله إذن انتشرت الخيل، فاسرعى بى إلى بيتى.

فخرجت سريعا حتى إذا هبطت به الأبطح لقيتها الخيل، و فى عنقها طوق لها من ورق، فاقتلعه إنسان من عنقها.

١- الوازع: الموكل بإصلاح الصفوف فى الحرب.

فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد، خرج أبو بكر بأبيه يقوده، و كان رأس أبي قحافه ثغامه (١)، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه)؟

فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه.

فأجلسه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمسح رسول الله (صلى الله عليه وآله) صدره، و قال: أسلم تسلم، فأسلم.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشدكم بالله و الإسلام طوق أختي، فو الله ما جاء به أحد. ثم قال الثالثة فما جاء به أحد.

فقال: يا أخيه، احتسبى طوقك، فو الله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل (٢).

و قال البلاذري: و رمى بعض المسلمين أبا قحافه فشججه، و أخذت قلاده أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر و هو يستدمى، فمسح الدم عن وجهه (٣).

و روى البيهقي بسند جيد قوى، عن ابن وهب قال: أخبرني ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافه،

١- الثغام: شجر أبيض الزهر واحده: ثغامه. يقال: صار الرأس ثاغما. أى أبيض.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ عن الواقدي، و أحمد و الطبراني، و البيهقي، و دلائل النبوه للبيهقي ج ٤ ص ٩٥ و الرياض النضرة ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨ و ٨٩ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٢٤ و ٨٢٥ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ و ٩٥ و تاريخ مدينه دمشق ج ٣٠ ص ٢٣ و مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤٩.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣.

فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما وقف به على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: غيروه، ولا تقربوه سوادا (١).

و روى مسلم عن جابر نحوه، لكنه لم يذكر من الذى جاء بأبى قحافه (٢).

قال ابن وهب: وأخبرنى عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هنا أبا بكر بإسلام أبيه (٣).

و عن أنس قال: كأنى أنظر إلى لحيه أبى قحافه كأنه ضرام عرفج (٤) من شدة حرته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
(لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناها) - تكرمه لأبى بكر - (٥).

و عن أنس أيضا قال: جاء أبو بكر بأبيه أبى قحافه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يديه، فقال لأبى بكر:

(لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناها) - تكرمه لأبى بكر -.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٤ ص ٩٦ و المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٢٤٤ و تلخيص المستدرک للذهبى (مطبوع معه) نفس الجزء و الصفحه. و مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤٩ و الرياض النضره ج ١ ص ٦٥ و ٦٦.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣ عن مسلم، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٤٤ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨.

٤- العرفج: شجر صغير سريع الإشتعال بالنار. و هو نبات الصيف.

٥- المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٢٤٥ و تلخيص المستدرک للذهبى بهامشه.

فأسلم و رأسه و لحيته كالثغامه، فقال: غيروهما.

قال قتاده: هو أول مخضوب فى الإسلام (١).

و الثغامه: نبت أبيض الثمر و الزهر، يشبه بياض الشيب.

و فى نص آخر: غيروا السواد، و لا تتشبهوا باليهود و النصارى.

و فى روايه: اليهود و النصارى لا يصبغون، فخالفوهم (٢).

و عند ذلك قال أبو بكر للنبي (صلى الله عليه و آله): و الذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب أقر لعينى من إسلامه، و ذلك أن إسلام أبى قحافه كان أقر لعينك (٣).

عن محمد بن عمر بن سالم، بن الجعابى، عن أبى شعيب عبد الله بن الحسن الحرانى، عن جده أحمد بن أبى شعيب، عن محمد بن سلمه، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس: أنه (صلى الله عليه و آله) قال لأبى بكر: لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه.

و روى الحاكم أيضا: عن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن أبى بكر: أنه

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٣ عن أحمد، و ابن حبان.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨ و فيه أحاديث أخرى عن الخضاب.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨ و راجع: الإصابه ج ٤ ص ١١٦ و ١١٧ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٩ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٤٤ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبرانى، و البزار، و مسند أحمد ج ١ ص ١٣١ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ و نصب الرايه ج ٦ ص ٢٨١ و ٢٨٢ و المصنف للصنعانى ج ٦ ص ٣٩ و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن أبى يعلى، و أبى بشر سفويه فى فوائده، و عمر بن شيبه.

(صلى الله عليه وآله) قال له: هلا تركت الشيخ حتى آتية.

فقلت: بل هو أحق أن يأتيك.

فقال: إنا لنحفظه لأيدى ابنه عندنا (١).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي:

الحديثان الأخيران:

إننا نبدأ بالحديثين الأخيرين، حيث نلاحظ ما يلي:

أولاً: قال الذهبي معقبا على روايه أبي بكر: (القاسم لم يدرك أباه، ولا أبوه أبا بكر) (٢).

و هذا صحيح، فإن محمدا ولد عام حجه الوداع سنة عشر من الهجره، و توفى أبوه فى جمادى الآخره سنة ثلاث عشره من الهجره.

كما أن محمد بن أبى بكر توفى سنة ٣٨ هـ، و توفى ولده القاسم سنة ١٠٨ هـ أو ١٠٩ هـ (٣) و هو ابن سبعين سنه، أو اثنتين و سبعين، فيكون قد ولد سنه وفاه أبيه، أو نحوها.

و قال ابن سعد: إن القاسم قد توفى سنة ١١٢ هـ و عمره سبعون سنه،

١- المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٢٤٤ و تلخيص المستدرک للذهبي بهامش نفس الجزء و الصفحه و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٠ عن البزار.

٢- تلخيص المستدرک ج ٣ ص ٢٤٤.

٣- صفه الصفوه ج ٢ ص ٩٠.

فيكون عمره حين وفاه والده حوالي أربع سنين (١).

ثانيا: إن الجعابي لا يمكن أن يروى عن أبي شعيب، لأن الجعابي ولد سنة ٢٨٥ هـ و توفي أبو شعيب سنة ٢٩٢ هـ.

و الغريب في الأمر هنا: سكوت الذهبي عن هذا الحديث، بل هو قد وافق الحاكم على تصحيحه، لكن الحاكم قال: إنه صحيح على شرط الشيخين.

أما الذهبي فصححه على شرط البخاري (٢).

ثالثا: بالنسبة لأبي بكر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقول:

قد تقدم بعض الحديث عن ذلك، حين الكلام حول هجره رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و عن شرائه الراحلين من أبي بكر بالثمن، فراجع فصل: هجره النبي (صلى الله عليه وآله).

رابعا: إن من المعيب جدا أن يزعم هؤلاء: أن آية: **وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (٣)** قد نزلت في أبي بكر (٤). ثم يقولون: إنه قد كانت لأبي بكر أياذ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستطع أن يجازيه عليها.

١- الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٧٤.

٢- راجع: المستدرک للحاكم و تلخيصه للذهبي ج ٣ ص ٢٤٤.

٣- الآية ١٩ من سورة الليل.

٤- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨-٣٦٠ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٩٩ و العثمانيه ص ٣٥ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٧٣.

أبو بكر يريد طوق أخته:

و أما ما ذكرته الروايه: من أن أبا بكر طلب من الناس أن يرجعوا لأخته طوقها .. و أنه ناشدهم الله ثلاثا، فلم يجبه أحد، ثم قال: إن الأمانه فى الناس اليوم قليل .. ففيه أكثر من مورد يحتاج إلى بحث.

فأولا: إن أموال المشركين ليست من قبيل الأمانات عند المسلمين، بحيث يجب عليهم ردّها لأصحابها، بل هى غنائم إن أخذت من محارب منهم. و إن أخذت من قبل أن يعلموا بمقتضى الأمان الذى أعطاهم النبى (صلى الله عليه و آله) إياه، أى قبل دخولهم فى البيوت و إغلاق الأبواب، و قيل: دخول المسجد، أو دار أبى سفيان، أو اللجوء إلى رايه أبى رويحه.

و أقصى ما يمكن أن يقال: هو أن أمرها فى كيفية تقسيمها، و فى إرجاعها إلى أصحابها، إن اقتضت المصلحه ذلك، أو تسويغها لآخذها ..

يرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لا يحق لأبى بكر و لا لغيره أن يطالب من أخذها بها ..

ثانيا: هل يمكن أن يرضى القائلون بعداله الصحابه باتهام أبى بكر لأحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالخيانة، أو بقله الأمانه؟!

ثالثا: من أين حصل أبو قحافه على الورق (أى الفضة)، ليصنع منه طوقا لابنته، و هو رجل فقير لا مال له؟! و من أين يكون له المال، و هو إنما كان صيادا ثم صار ينش الذباب عن مائه ابن جدعان بشبع بطنه، و ستر عورته (١).

١- تلخيص الشافى ج ٣ ص ٢٣٨، و دلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٠، و الإفصاح ص ١٣٥ و راجع الغدير ج ٨ ص ٥١.

و لم نسمع أن حاله قد تغير إلى الأفضل، و بماذا و كيف؟!

و حتى لو كان يملك أموالا، فهل يمكن أن يلبس ابنته الصغيره طوق فضه، ثم يتركها تتجول فى أزقه مكه، و لا يسلبها سالب من كل أولئك الناس المعدمين الذين كانت مكه تعج بهم؟! مع العلم بأنه لم يكن لأبى قحافه قبيله تمنعه، و لم يكن قادرا على ملاحقه المعتدى بسبب عماء.

رابعا: إنه لم يثبت وجود بنت صغيره لأبى قحافه فى فتح مكه، بل لا يعرف لأبى قحافه بنت إلا أم فروه، التى كانت تحت تميم الدارى، ثم أنكحها أبو بكر الأشعث بن قيس.

و قد زعم الحلبي الشافعى: أن أم فروه هى صاحبه الطوق المأخوذ فى فتح مكه (١)، ثم احتمل أن يكون المقصود: بنتا أخرى اسمها عريبه، زعموا أنها كانت لأبى قحافه (٢).

أربعة أسلمواهم و آباؤهم:

و قال بعضهم: لم يكن أحد من الصحابه، المهاجرين و الأنصار، أسلم هو و والده، و جميع أبنائه و بناته غير أبى بكر (٣).

و قال بعضهم: (لا يعرف فى الصحابه أربعة أسلموا، و صحبوا النبى (صلى الله عليه و آله)، و كل واحد أبو الذى بعده إلا فى بيت أبى بكر: أبو قحافه، و ابنه أبو بكر، و ابنه عبد الرحمن، و ابن عبد الرحمن محمد، و يكتنى

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٩.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٩.

بأبي عتيق (١).

و فى نص آخر: أربعه رأوا النبى (صلى الله عليه و آله)، كلهم ابن الذى قبله، و هم من الذكور الذين أسلموا (٢).

و نقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، فهناك: (حارثه أبو زيد، فإنه أسلم- كما ذكره الحافظ المنذرى- و رأى النبى (صلى الله عليه و آله)، و ابنه زيد، و ابنه أسامه، و جاء أسامه بولد فى حياته (صلى الله عليه و آله) (أى يحتاج إلى إثبات كونه (صلى الله عليه و آله) رأى ذلك المولود).

إلا أن يقال: كان من شأنهم إذا ولد لأحدهم مولود جاء به إلى النبى (صلى الله عليه و آله)، فيحنكه، و يسميه (٣).

و كذلك الحال بالنسبة لأياس بن عمرو، بن سلمه، بن لال.

و زعم الحلبي: أنه لا اتفاق على صحبه هؤلاء (٤). فراجع.

إسلام أبوى أبى بكر:

عن عائشه قالت: ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبى بكر (٥).

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٩.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق.

٥- تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ و تاريخ مدينه دمشق ج ٣٠ ص ٢٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٠٦.

و عن علي (عليه السلام): أنه قال في أبي بكر: أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من الصحابه المهاجرين أن أسلم أبواه غيره [\(١\)](#).

و نقول:

أولا: قال مسدد: لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر [\(٢\)](#).

ثانيا: ذكر التاريخ لنا عشرات من المهاجرين أسلم آباؤهم أيضا ..

و يكفى أن نذكر:

١- عمار بن ياسر، فإنه أسلم هو و أبوه ياسر، و أمه سميه ..

٢- عبد الله بن عمرو و أمه زينب بنت مظعون، أسلم هو و أبواه.

٣- علي (عليه السلام)، فإنه كان مسلما هو و أبوه أبو طالب، و أمه فاطمه بنت أسد.

٤- عبد الله بن الزبير، و أمه أسماء بنت أبي بكر ..

٥- سلمه بن أبي سلمه بن عبد الأسد، و أمه أم سلمه ..

إلى عشرات آخرين، ذكرهم العلامة الأميني في كتاب الغدير، فيمكن الرجوع إليه.

آيات في بر أبي بكر بأبويه:

روى عن علي (عليه السلام) و عن ابن عباس (رحمه الله) أن قوله تعالى:

١- الرياض النضرة ج ١ ص ٦٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ١٩٤ و عن الواحدى، و نور الأبصار.

٢- تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٧.

وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصِيلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١). قد نزل في أبي بكر.

فقد كان حملة و فصاله ثلاثين شهرا، حملته أمه تسعة أشهر، و أرضعته واحدا و عشرين شهرا، أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره، فأوصاه الله تعالى بهما، و لزم ذلك من بعده.

فلما نبئ رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو ابن أربعين سنة، صدق أبو بكر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة قال: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي) و استجاب الله له، فأسلم و والداه و أولاده كلهم (٢).

و نقول:

إن للعلامه الأمينى ملاحظات على هذا الحديث المزعوم نشير إليها و إلى غيرها فى ضمن النقاط التالية:

أولا: إن كون أم أبى بكر أرضعته واحدا و عشرين شهرا، و حملت به

١- الآية ١٥ من سوره الأحقاف.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ١٩٣ و ١٩٤ و الكشاف ج ٤ ص ٣٠٣ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٠ و الرياض النضرة ج ١ ص ٦٨ و تفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢ و تفسير النسفى (مطبوع بهامش الخازن) ج ٤ ص ١٣٢ و عن مرقاه الوصول ص ١٢١ و الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠ و ٤١ عن ابن عساكر، و عن ابن مردويه.

تسعه أشهر .. لا يختص بأبى بكر، فإن سائر الناس تحمل أمهاتهم بهم تسعه أشهر، و لعل كثيرات منهن يرضعن أبناءهن واحدا و عشرين شهرا، فلا خصوصيه تستحق التنويه بهذا الأمر، و لذلك نقول:

إن الأقرب فى معنى الآية هو: الإخبار عن أمر له آثار تشريعيه، و من حيث هو خصوصيته فى التكوين، و هو ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام): من أن ضم هذه الآية إلى قوله تعالى: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ (١).

أو قوله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ (٢).

ينتج: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر (٣).

ثانيا: إن أبى بكر أسلم فى سنه سبع من البعثة، أى بعد أن تجاوز سن الأربعين بعده سنوات، حسبما قدمناه فى تاريخ إسلامه .. و أما أبوه فلم

١- الآية ١٤ من سورة لقمان.

٢- الآية ٢٣٣ من سورة البقره.

٣- راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٥٧ و تيسير الوصول ج ٢ ص ٩ و ١١ و الموطأ ج ٢ ص ١٧٦ و عمدته القارى ج ٢١ ص ١٨ و البرهان ج ١٤ ص ١٧٤. و راجع: المصنف للصنعانى ج ٧ ص ٣٥٠ و ٣٥٢ و السنن الكبرى للبيهقى ج ٧ ص ٤٤٢ و تذكره الخواص ص ١٤٨ و الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ و ج ٦ ص ٤٠ و المناقب للخوارزمى ص ٩٤ و مختصر جامع بيان العلم ص ٢٦٥ و الرياض النضره ج ٣ ص ١٤٢ و كفايه الطالب ص ٢٢٦ و تفسير النيسابورى ج ٦ ص ١٢٠ و ذخائر العقبى ص ٨٢ و التفسير الكبير للرازى ج ٢٨ ص ١٥ و الأربعين للرازى ص ٤٦٦ و كنز العمال ج ٥ ص ٤٥٧ و ج ٦ ص ٢٠٥ و عن ابن أبى حاتم، و العقيلي، و ابن السمان، و عبد بن حميد، و جامع بيان العلم ص ٣١١.

يسلم إلا بعد سنه الفتح .. أى بعد أكثر من عشرين سنه من البعثه النبويه الشريفه. و حيث كان لأبى بكر - كما يقال - ست و خمسون سنه أو أكثر ..

و أما أمه فأسلمت بعد البعثه أيضا بسنوات، فما معنى قولهم: إنه حين بلغ أبو بكر أربعين سنه قال: (ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك الّتى أنعمت علىّ و على والديّ)؟! مع أنه قد أسلم هو و أبواه بعد هذا السن بسنوات عديده!!

و ما معنى قولهم: إن الله تعالى قد استجاب لأبى بكر، فأسلم والداه، و أولاده كلهم؟!!

ثالثا: قد تقدم عدم صحه ما صرحت به الروايه: من أنه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبى بكر ..

و نضيف إلى ما تقدم أيضا ما يلى:

١- ما معنى قولهم: (فأوصاه الله بهما، و لزم ذلك من بعده)؟! فهل لم تكن الوصيه بالوالدين موجوده قبل ذلك التاريخ؟! ..

٢- قالت عائشه ردا منها على مروان: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن غير أنه أنزل عذرى (١).

فإن قيل: هى تقصد: أنه لم ينزل الله فى ذمهم شيئا من القرآن ..

فالجواب: إن عذرها الذى استثنته يراد به آيات حديث الإفك، و إنما

١- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١ عن البخارى، و صحيح البخارى (ط ١٣٠٩ هـ) ج ٣ ص ١٢١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥٩ و فتح القدير ج ٤ ص ٢١ و راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٤٧.

يقصد بها: التبرئه و المدح و الثناء على من نزلت فيه لا الذم له ..

٣- هناك نصوص كثيرة تقول: إن هذه الآية قد نزلت في الإمام الحسين (عليه السلام)، و قد ولد لسته أشهر (١). فراجع.

أبو بكر يضرب أباه:

روى من طريق ابن جريج: أن أبا قحافة سب النبي (صلى الله عليه و آله)، فصكه أبو بكر ابنه صكه، فسقط منها على وجهه.

ثم أتى النبي (صلى الله عليه و آله)، فذكر له ذلك، فقال: أو فعلته؟! لا تعد له.

فقال: و الذى بعثك بالحق نبيا، لو كان السيف منى قريبا لقتلته، فنزل قوله تعالى:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢).

١- تفسير البرهان ج ٤ ص ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤.

٢- الآية ٢٢ من سوره المجادله، و راجع الحديث فى: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٦ عن المنذر، و الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص

٣٠٧ و تفسير آلوسى ج ٢٨ ص ٣٦ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٧ و مرقاه الوصول ص ١٢١.

أولاً: روى: أن هذه الآية نزلت في الجراح، الذي كان يتصدى لابنه أبي عبيده يوم بدر، فكان أبو عبيده يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيده فقتله (١).

ثانياً: قال سفيان عن هذه الآية: إنها نزلت في من يخالط السلطان (٢).

ثالثاً: إن قتل إنسان لا يتوقف على وجود سيف بالقرب منه، فيمكنه أن يقتله بغير السيف كالخنق، أو ضرب رأسه على صخره، أو بإلقائه من شاهق. كما أن بإمكانه استحضار السيف، لو كان قاصداً لذلك الفعل.

رابعاً: إن ما صدر من أبي بكر لا يتناسب مع ما ادّعاه: من أنه لو كان السيف قريباً منه لقتل أباه، فإن هذا الحرص على إلحاق الأذى لا يتناسب مع مجرد صكه أو جبت سقوط المصكوك على الأرض.

خامساً: يقول الله تبارك و تعالی: وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (٣). فما معنى أن يقدم أبو بكر على مخالفه هذه الأوامر الإلهية الصارمه؟!

سادساً: إن الآية المذكوره قد نزلت بعد بدر و أحد. و آيه: .. رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

١- الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٦ عن ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، و أبي نعيم في الحليه، و البيهقي في سننه، و ابن عساکر.

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٦ عن ابن مردويه.

٣- الآية ١٥ من سوره لقمان.

تَرْضَاهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١) قد نزلت في أوائل بعثه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، أى قبل أكثر من عشر سنوات (٢).

سابعاً: إن سورة المجادلة مدنيه، و لم يأت أبو قحافه إلى المدينه في كل تلك السنوات.

ثامناً: إن ما ذكر في هذه الروايه لا يتناسب مع ما زعموه: من بره بوالديه الذى بلغ إلى حد أن الله تعالى أنزل فيه آيات الشاء، و هى آيات سورة الأحقاف: وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ...

أسلم تسلم:

و نكاد نلمس قدرا كبيرا من عدم الإنسجام بين ما زعمته الروايات:

من أن النبي (صلى الله عليه و آله) أظهر استعداداه للذهاب إلى منزل أبي قحافه، الذى كان لا يزال على شركه، تكرمه لابنه، و لأيدى ابنه عنده، و بين قوله لأبى قحافه: (أسلم تسلم)، المتضمن للتهديد بالعقوبه على ما كان يقتطفه من جرائم إذا استمر على شركه ..

أى أن هذه الكلمه تعنى: أن الأمان الذى أعلنه النبي (صلى الله عليه و آله) لأهل مكه لا يشمل أبأ قحافه لو أصر على ما هو عليه ..

و قد يفهم من هذا: أن أبأ قحافه كان له دور سيئ في مناهضه هذا الدين، و فى الكيد للإسلام و المسلمين.

١- الآية ١٥ من سورة الأحقاف.

٢- التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٦ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٠.

مفارقات لا علاج لها:

و يلاحظ هنا: وجود العديد من المفارقات فى إسلام أبى قحافه.

فروايه تزعم: أن عمر بن الخطاب هو الذى جاء بأبى قحافه إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و أخرى تقول: إن أبابكر هو الذى جاء بأبيه.

و فى حين نجد روايه تقول: إن أبابكر لم يعلم بإسلام أبيه حتى بشره به رسول الله (صلى الله عليه و آله) (١).

هناك روايات أخرى تتحدث: عن أن أبابكر هو الذى جاء بإبيه، و أسلم أبوه بحضوره.

و روايه تقول: إنه جاء بأبيه يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و أخرى تقول: أخذ بيد أبيه فأتى به.

الأمانه اليوم قليل:

ثم إن قول أبى بكر: (.. فوالله إن الإمانه فى الناس اليوم لقليل) لا يخلو عن مجازفه .. خصوصا مع إضافه كلمه (اليوم) التى قد تفهم على أن الأمانه كانت موجوده لدى المشركين، و أهل الجاهليه، و قد تناقصت و قلت بمجىء الإسلام ..

على أن من الواضح: أن خيانه رجل للأمانه لا يعنى أن الباقين لا أمانه لهم ..

بل ربما كانت الأمانة قليلة، ثم تنامت و زادت أضعافا كثيرة عما كانت عليه فى الجاهلية، و إن لم تبلغ حد الإستقطاب التام.

فما معنى: أن يحكم أبو بكر، بل هو يقسم للناس: بأن الأمانة قد قُلت فيهم، بمجرد أن سأل طوق أخته لم يبادر إلى الإقرار به؟!!

يضاف إلى ذلك كله: أنه إذا كان فى الذين نفروا مع الرسول (صلى الله عليه و آله) إلى مكة المسلم و غير المسلم، و من هو حديث عهد بالإسلام، فلا- يمكن أن نتوقع منهم الالتزام التام بحدود الشريعة، و بالأحكام العقلية و الأخلاقية، و ما تقضى به الفطره.

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه:

و تعود نفس الترتيمه السابقه لتردد من جديد و تؤكد إصرار هؤلاء الناس على نسبه الشرك إلى أبى طالب رضوان الله عليه.

و قد ذكرنا فى الفصول المتقدمه فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب فصولا أثبتنا فيها إيمان أبى طالب بما لا مجال للريب فيه إلا لمكابر جاحد و شائئ ..

أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام:

و قد ذكرت بعض الروايات عن قتاده: أن أبا قحافه أول مخضوب فى الإسلام (١).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٢٣ عن أحمد، و ابن حبان.

و نقول:

١- إن قتاده لم يكن فى زمن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لنكتفى بقوله فى تحديد الشخص الذى كان أول مخضوب فى الإسلام. على اعتبار أنه إنما يتحدث عما عاينه و شاهده.

٢- إننا نكاد نطمئن إلى أن الخضاب قد كان قبل فتح مكة بزمان .. فإنه كان فى زمان قله المسلمين، و ضعفهم، فأريد من خلال أمر المسلمين به الإيحاء بالقوه للأعداء، و بعث الرهبة فى قلوبهم. و كان المسلمون فى فتح مكة أكثر من عشرة الآف مقاتل، فإن كان ثمه خضاب فهو فى عمره القضاء أو قبلها ..

و يؤيد ذلك: الروايات التالية:

١- ما ورد: من أن الخضاب تفرح به الملائكة، و يستبشر به المؤمن، و يغىظ به الكافر (١).

٢- عن أبى عبد الله (عليه السلام): أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال عن الخضاب بالسواد: نور و إسلام، و إيمان، و محبه إلى نساءكم، و رهبة فى قلوب عدوكم (٢).

٣- عن أبى عبد الله (عليه السلام): الخضاب بالسواد مهابه للعدو، و أنس للنساء (٣).

١- البحار ج ٧٣ ص ٩٧ و ٩٩ عن ثواب الأعمال ص ٢١ و الخصال ج ٢ ص ٩٠ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ٧٩.

٢- البحار ج ٧٣ ص ١٠٠ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ٧٩.

٣- البحار ج ٧٣ ص ١٠٠ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ٨٠.

٤- عن الإمام السجاد (عليه السلام): أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه في غزوه غزاهما أن يخضبوا بالسواد، ليقووا به على المشركين (١).

٥- عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: في الخضاب ثلاث خصال:

مهيبه في الحرب، و محبه إلى النساء، و يزيد في الباه (٢).

٦- سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن قول النبي (صلى الله عليه وآله): (غيروا الشيب و لا تتشبهوا باليهود)، فقال:

إنما قال (صلى الله عليه وآله) ذلك، و الدين قلّ. و أما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار (٣).

و واضح: أن الدين كان قبل فتح مكة، أى في عمره القضاء و الحديدية و قبلهما، أضعف و أقل منه في فتح مكة، فالأمر بالخضاب في عمره القضاء أولى.

١- البحار ج ٧٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ٨٠.

٢- البحار ج ٧٣ ص ١٠٢ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص ٨١.

٣- نهج البلاغه (بتحقيق عبده) ج ٤ ص ٥ و الوسائل (ط أهل البيت) ج ٢ ص ٨٧ و البحار ج ٧٣ ص ١٠٤ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٨ ص ١٢٢ و مكارم الأخلاق.

الفصل السادس: طواف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ

إشاره

طواف النبي صلى الله عليه وآله بالبيت:

قالوا: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة بغير إحرام، و عليه السلاح، و مكث في منزله ساعه من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدريت إلى باب قبته، و عاد لبس السلاح و المغفر على رأسه، و قد حف الناس به، فركب راحلته و الخيل تمعج (١) بين الخندمه إلى الحجون.

فلما انتهى (صلى الله عليه وآله) إلى الكعبة، فرآها و معه المسلمون، تقدّم على راحلته، و استلم الركن بمحجنه (٢)، و كبر، فكبر المسلمون بتكبيره، فرجعوا التكبير، حتى ارتجت مكة تكبيراً، حتى جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشير إليهم أن اسكتوا، و المشركون فوق الجبال ينظرون.

و طاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالبيت، آخذا بزمام الناقه محمد بن مسلمه، فأقبل على الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت (٣).

١- معجت الخيل: كانت سريعه السير سهله.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٣ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٤٤ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨.

٣- المحجن: العصا المنعطفه الرأس كالصولجان.

تخطيم الأصنام في المسجد الحرام:

عن ابن عمر، و سعيد بن جبير، و ابن عباس: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) دخل مكة يوم فتح مكة، و حول الكعبة ثلاثمائة و ستون صنما مرصعه بالرصاص (١). (و فى الحلبييه و غيرها: لكل حى من أحياء العرب صنم. قد شد إبليس (أو الشياطين) أقدامها بالرصاص (و النحاس) (٢).

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله) كفا من حصى فرماها فى عام الفتح، و قال: جاء الحقُّ و زهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً (٣) فما بقى صنم إلا خر لوجهه، فأمر بها، فأخرجت من المسجد، فطرحت فكسرت (٤).

و كان هبل أعظمها، و هو و جاه الكعبة، و إساف و نايله حيث ينحرون و يذبحون الذبائح، و فى يد رسول الله (صلى الله عليه و آله) قوس (عود) (مخصره) و قد أخذ بسية القوس (٥)، فجعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) كلما مر بصنم منها يشير إليه، و يطعن فى عينه (أو فى بطنه) و يقول: جاء الحقُّ و زهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٤ و البحار ج ٢١ ص ١١٧ عن إرشاد المفيد ص ٦٣ و عن الخرائج و الجرائح.

٢- السيره الحلبييه ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ عن أبى نعيم.

٣- الآيه ٨١ من سوره الإسراء.

٤- البحار ج ٢١ ص ١١٧ عن إرشاد المفيد ص ٦٣ و عن الخرائج و الجرائح.

٥- سية القوس: ما عطف من طرفيها.

فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. و في لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه (١).

و قال الكلبي: فجعل ينكب لوجهه إذا قال ذلك، و أهل مكة يقولون:

ما رأينا رجلا أسحر من محمد (٢).

و في ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي:

ففى الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا قال أئمة المغازى: فطاف رسول الله (صلى الله عليه و آله) سبعا على راحلته، يستلم الركن الأسود بمحجنه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته (٣).

و عند ابن أبي شيبه عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مناخا فى المسجد حتى أنزل على أيدي الرجال، ثم خرج بها.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٤ عن أبى نعيم، و البيهقى، و ابن إسحاق، و ابن منده، و الواقدى، و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٤ ص ٧١ و عن البخارى فى المظالم، باب هل تكسر الدنان التى فيها الخمر، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ و البحار ج ٢١ ص ٩٢ و ١٠٦ و ١١٦ عن مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٥ و عن أمالى ابن الشيخ ص ٢١٤.

٢- البحار ج ٢١ ص ٩٢ و ١١٠ عن مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٥ و عن سعد السعود ص ٢٢٠.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٥ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ و البحار ج ٩٦ ص ٢١٠.

قالوا: و جاء معمر بن عبد الله بن نضله، فأخرج الراحله فأناخها بالوادي.

ثم انتهى رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى المقام، و هو لاصق بالكعبه، و الدرع عليه، و المغفر، و عمامته بين كتفيه، فصلى ركعتين.

ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها، و قال: (لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقائتهم) لنزعت منها دلوا).

فنزح له العباس بن عبد المطلب- و يقال الحرث بن عبد المطلب- دلوا، فشرب منه، و توضأ (١)، و المسلمون يتدرون وضوء رسول الله (صلى الله عليه و آله) يصبونه على وجوههم، و المشركون ينظرون إليهم، و يتعجبون، و يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به (٢).

زاد في الحلبه قوله: (لا تسقط قطره إلا و فى يد إنسان، إن كان قدر ما يشربها شربها، و إلا مسح بها جلده، و المشركون يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به) (٣).

و أمر بهبل فكسر و هو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبى سفيان بن حرب: يا أبا سفيان، قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد فى غرور، حين تزعم أنه أنعم.

فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٢.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و ٨٨ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٨.

محمد غيره لكان غير ما كان (١).

ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فجلس ناحيه من المسجد و الناس حوله (٢).

و عن أبي هريره قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الفتح قاعدا، و أبو بكر قائم على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسيف (٣).

إحالات على ما سبق:

أشاره

ثم إن النصوص المتقدمه قد تضمنت أموراً كنا قد تحدثنا عنها فيما سبق، فلا حاجة إلى إعاده البحث فيها، و التحليل لمضامينها، و هي التاليه:

ألف: المسلمون يتدرون وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله:

تحدثنا مرات و مرات عن تبرك المسلمين برسول الله (صلى الله عليه وآله)، و بفضل وضوئه، و تأثير ذلك على عتاه المشركين، فراجع غزوه الحديبيه، و راجع أيضا ما جرى لأبى سفيان حين جاء إلى المدينه بعد نقضهم عهد الحديبيه يطلب تجديد العهد، و الزياده فى المده، و مواضع كثيره أخرى.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ عن روضه الأجاب.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٢.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٥ عن البزار و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٦ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا:

و أما قول المشركين، و هم يرون تبرك الصحابه بفضل وضوء نبيهم:

(ما رأينا و لا سمعنا ملكا قط بلغ هذا)، فقد تحدثنا حين ذكرنا مقاله أبى سفيان حين قدم المدينه، و قد رأى مثل ذلك، و ثم حين رأى ما يشبهه فى مّر الظهران، فلا بأس بالرجوع إلى تلك الموارد و سواها.

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه و آله:

ثم إننا قد تحدثنا فى بعض فصول هذا الكتاب، و بالتحديد فى غزوه الحديبيه: عن أن النبى (صلى الله عليه و آله) لم يكن يرضى بأن يقوم الناس على رأسه بالسيف، و ذكرنا بعض الشواهد على ذلك فلا بأس بالرجوع إلى ذلك المورد للاطلاع على ما ذكرناه.

د: المشركون فوق الجبال ينظرون:

و أخيرا نقول:

قد سبق فى عمره القضاء الإشاره إلى أن المشركين كانوا ينظرون من أعالي الجبال إلى المسلمين حين دخلوا مكه، فأمرهم (صلى الله عليه و آله) أن يظهروا لهم بعض القوه.

و قد تكرر نفس هذا المشهد فى فتح مكه حيث كان المشركون يراقبون من أعالي الجبال المحيطه بالكعبه حركه النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمين فيها ..

و قد أظهر المسلمون التكبير حتى ارتجت مكه من ذلك، و هذا التكبير

يرعب أهل الشرك، و يمثل طعنه لهم فى أكثر المواضع حساسيه و ألما لهم، لأنه يستهدف أساس الشرك، و حبه قلبه.

ثم شاهدوا طوافه (صلى الله عليه و آله) على راحلته، و استلامه الركن بالمحجن حسبما تقدم ..

و الأشد عليهم، و الأكثر ألما، و الأعظم أثرا: أنهم قد شاهدوا تحطيم أصنامهم على يد على (عليه السلام) الذى رأوه يصعد على كتفى النبى (صلى الله عليه و آله)، و من ثم على ظهر الكعبه ..

و هم يعرفون عليا (عليه السلام) حق المعرفه، فى مكه قبل الهجره، و فى شعب أبى طالب، و سواه، و حين الهجره فى مبيته على الفراش ليله الغار، و بعد الهجره فى ساحات الجهاد، فى بدر و أحد و الخندق، و ذات السلاسل، يضاف إلى ذلك جهاده لحلفائهم من اليهود فى خيبر و بنى النضير و قريظه و سواها، و هو يقتل شجعانهم، و فراعنتهم، و يبىير كيدهم، و يبطل أحدوئتهم ..

تأسى عمر برسول الله صلى الله عليه و آله:

قد تقدم: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد استلم الحجر الأسود، و لم يزل المسلمون يستلمونه تأسيا برسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى يومنا هذا.

و لكن عمر بن الخطاب، و إن كان قد استلم الحجر أيضا، و لكنه قد اطلق فى هذا المورد كلاما خطيرا، لم تزل آثاره ظاهره إلى يومنا هذا ..

فقد ذكروا: أنه حج فى أمرته، فلما افتتح الطواف و استلم الحجر

الأسود و قبله، قال: قبلتك و إني لأعلم أنك حجر، لا تضر و لا تنفع، و لكن كان رسول الله بك حفياً، و لو لا أني رأيتَه (صلى الله عليه و آله) يقبلك ما قبلتك!! (أو ما يقرب من هذه الكلمات).

و كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) حاضراً، فقال له: بلى و الله، إنه ليضر و ينفع.

قال: و بم قلت ذلك يا أبا الحسن!؟

قال: بكتاب الله تعالى.

قال: أشهد أنك ل ذو علم بكتاب الله، فأين ذلك من الكتاب؟

قال: قول الله عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا .. (١).

ثم ذكر كيف أخذ الله تعالى على العباد ميثاقهم بالعبودية، و ألقمها الحجر الأسود .. إلى أن تقول الرواية:

فقال عمر: لا عشت في أمه لست فيها يا با الحسن (٢).

و لكن اعتراض أمير المؤمنين (عليه السلام)، و اعترف عمر، لم ينه القضية، بل بقى العمريون يصرحون: بأنه حجر لا يضر و لا ينفع، و ينهون الناس عن استلامه (٣).

و الأحاديث حول أن الله تعالى أودع الحجر موثيق الخلائق، و أنه

١- الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

٢- راجع: البحار ج ٩٦ ص ٢١٦ و ٢١٧ و راجع ص ٢٢١ و ٢٢٧ و ٢٢٨ عن علل الشرايع ص ٤٩ و راجع ص ٤٢٦ و تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٨.

٣- راجع: البحار ج ٩٦ ص ٢١٧ و ٢١٨ عن علل الشرايع ص ٤٢٥.

يشهد لمن وافاه بالموافاه كثيره (١).

و هذا الموقف من عمر قد أعطى الانطباع لدى الكثيرين من أتباعه و محبيه بأن قيمه الحقيقيه للبناء، و الحجر و الشجر، و كل ما هو جسم ماديه و ليست معنويه، فلا قداسه لها فى نفسها، و لا تكتسب قداسه من إضافاتها إلى ما هو مقدس، كما أنها لا تزيدها تلك الإضافات قداسه، و لا تعطيهها قيمه معنويه زائدا على ما لها من قيمه ما ديه.

و خلاصه الأمر: إن كلمه عمر الآنفه الذكر قد أفرغت تقبيله للحجر من أى مضمون معنوى، و رفد روحى، و توهج مشاعرى، و جعلته عملا خاويا، و جافا، لا يتضمن سوى المحاكاه الفارغه لفعل صدر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و رغم أن إجابته على (عليه السلام) قد تضمنت العوده إلى أغوار المضمون الروحى، و أوغلت فى مداه العقائدى، و معناه الإيمانى، حين شرحت كيف أن الله سبحانه قد أودع الحجر الأسود موثيق الخلائق منذ عالم النذر، فإن ذلك لم يمنع محبى الخليفه الثانى من الإصرار على المنحى الذى نجاه عمر بن الخطاب .. و سعوا إلى التنظير له بعد تعميمه و توسعته، حتى اعتبروا التبرك بالأماكن المقدسه، أو بأى شىء يرتبط برسول الله (صلى الله عليه و آله و بآثاره، من الشرك، الذى يستحق فاعله العقوبه بأقصى مدى .. فما ظنك بالتبرك بآثار الأوصياء و الأولياء و الصالحين!!

و قد ضربوا بعرض الحائط مئات النصوص التى تحدثت عن توجيه

النبي (صلى الله عليه و آله) نفسه للناس من الصحابه و التابعين إلى التبرك بآثار الأنبياء و المرسلين، و جميع عباد الله الصالحين، و مفردات ما جرى من ذلك عبر الأجيال ..

و قد جمع العلامة الأحمدي طائفه من هذه النصوص فى كتابه (التبرك) و جمع غيره أيضا الكثير منها فراجع.

استلام الركن بالمحجن:

و قد ذكرت الروايات المتقدمه: أنه (صلى الله عليه و آله) استلم الحجر، ثم طاف بالبيت.

و تقدم أيضا: أنه كان يستلم الركن بمحجنه.

فهل المراد بالركن هنا: الركن اليماني؟ أم ركن الحجر الأسود!؟

لقد صرحت الروايه المتقدمه: بأن المراد به الركن الأسود.

و لكن قد يقال: لعل الركن الذى استلمه (صلى الله عليه و آله) بالمحجن هو اليماني، الذى يستحب استلامه .. فإذا أطلق الكلام فى استحباب استلام الركن، فاليماني هو المتبادر إلى الذهن.

و فى البحار و غيره أطلق القول: بأنه (صلى الله عليه و آله) قد استلم الركن بالمحجن .. الأمر الذى يرجح احتمال إرادته اليماني ..

و لكن الرواه أضافوا كلمه: (الأسود) إلى الروايه التى ذكرت آنفا اجتهادا منهم، أو لحاجه فى أنفسهم.

و لكن هذا يبقى مجرد احتمال.

استلم الحجر ثم ركب راحلته:

كما أن ظاهر عبارته الروايه التي تقدمت: أنه (صلى الله عليه وآله) قد استلم الحجر قبل الطواف .. ثم طاف و هو راكب، و صار يستلم الركن بمحجنه ..

فإذا صح هذا، فيرد السؤال عن سر عودته إلى الركوب، و ترجيحه الطواف كذلك على الطواف ماشيا!

و قد يقال في الجواب: إن المراد هو التشريع العملي للطواف في حال الركوب، فإن الناس قد يصعب عليهم قبول بعض مفردات التشريع، و يرون أنها مظنه النقص، بل هي عندهم مظنه الخطر .. فإذا رأوا النبي (صلى الله عليه وآله) يمارسها بنفسه، فإن تأسيهم به يهون الأمر عليهم.

و ذلك نظير قصر الصلاه، و إبطار المريض، و الإفطار في السفر، فإنك تجد تحرجا من الناس في الإقدام على ذلك، و يصعب عليهم فعله، و لأجل ذلك جاء التعبير بنفى (الجناح) في قوله تعالى: **وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ .. (١)**.

و لعل جميع الآيات التي عبرت ب (لا جناح)، و ارده في موارد توهم الحرمة فيها، أو التحرج من مباشره الفعل الوارد بعدها **(٢)**.

و يمكن أن يضاف إلى ذلك أيضا: أن ثمة تعمدا من رسول الله (صلى

١- الآية ١٠١ من سورة النساء.

٢- راجع الآيات: ١٥٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٤٠ و ٢٨٢ من سورة البقره، و ٢٣ و ٢٤ و ١٠٢ من سورة النساء.

اللّٰه عليه وآله) أن يراه مشركو مكه، الذين كانوا ينظرون إلى ما يجرى حتى من على الجبال المحيطة، و الحشود المجتمعه، و هو فى حاله متميزه، يمارس أمرا لعلهم لم يعهدوه من ذى قبل، و هو الطواف على الراحله .. و هو أمر شرعه اللّٰه بالوحى الذى لا يزالون يجحدونه و ينكرونه، رغم ما يرونه من آيات باهره و معجزات ظاهره، و دلالات للعقل قاهره.

محاولة اغتيال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله:

قال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم: أن فضاله بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وآله)، و هو يطوف بالبيت عام الفتح؛ فلما دنا منه قال رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وآله): (أفضاله)؟

قال: نعم.

قال: (ماذا كنت تحدث به نفسك)؟

قال: لا- شىء، كنت أذكر اللّٰه، فضحك رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وآله) ثم قال: (إستغفر اللّٰه). ثم وضع يده على صدره فسكن.

و كان فضاله يقول: و اللّٰه ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق شىء أحب إلى منه.

و رجع فضاله إلى أهله، قال: فمررت بامرأه كنت أتحدث إليها.

فقلت: هلم إلى الحديث.

فقال: لا. و انبعث فضاله يقول:

قلت هلم إلى الحديث فقلت لا يا أبى على اللّٰه و الإسلام

إذ ما رأيت محمدا و قبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا والشرك يغشى وجهه الإظلام (١) و نقول:

ليس غريبا أن نرى بين الفينه و الفينه من يتأمر على حياه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، أو من يحدث نفسه بقتله صلوات الله و سلامه عليه و على آله الطاهرين ..

و قد ظهرت هذه المحاولات فى المشركين، و فى اليهود، و المنافقين، و فى جميع تلك المحاولات كانت تظهر لهم الرعايه الإلهيه له (صلى الله عليه و آله).

و قد كان الشيطان ينسيهم ذلك، و يزين لهم تكرار المحاوله، قال تعالى:

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢).

و قال: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ (٣).

و قد يترك الشيطان أولئك الناس إلى غيرهم، ليزين هذا الأمر لفريق أو لشقى جديد، فتواجهه أو تواجههم الخيه، و يقيم الله عليه أو عليهم الحججه.

تبقى الإشاره هنا: إلى هؤلاء الذين تنتهى بهم شقوتهم و عنادهم للحق

-
- ١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٦، و قال: ذكره أبو عمر فى الدرر، و لم يذكر فى الإستيعاب، و هو على شرطه، و ذكره القاضى فى الشفاء بنحوه. و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧.
 - ٢- الآيه ٨ من سوره فاطر.
 - ٣- الآيه ٢٤ من سوره النمل، و الآيه ٣٨ من سوره العنكبوت.

و أهله إلى حد التفكير باغتيال سيد الرسل، مع ما يروونه من آيات باهره، و معجزات قاهره، فإنك تراهم يدعون لأنفسهم أحوالا رائعه و مميزه، و درجات عاليه من الإيمان و الإخلاص كما هو الحال بالنسبه لدعاوى فضاله الآنفه الذكر، و لكن النفس لا تسكن إلى صحه دعاواهم تلك، فلا بد أن يبقى الريب بهم، و الحذر منهم. فإن هذا هو القرار الحازم، حتى لو كان لا بد من السكوت عن الجهر باتهامهم.

فهذا هو الخيار الحكيم، و الرأي الصحيح و السليم، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم.

أين كان مقام إبراهيم عليه السلام!؟

و قد ادعت الروايات المتقدمه: أنه (صلى الله عليه و آله) بعد أن طاف صار إلى خلف مقام إبراهيم، و كان لاصقا بالكعبه، فصلى ركعتين. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ١٩٤ أين كان مقام إبراهيم عليه السلام!؟: ص : ١٩٤

و نقول:

إن دعوى لصوق المقام بالكعبه لا تصح، فإن المقام كان حينئذ بعيدا عن الكعبه، و النبى (صلى الله عليه و آله) هو الذى أرجعه إلى موضعه الملاصق للكعبه.

و المقام هو حجر فيه آثار قدمى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، حيث إن الله تعالى أمره أن يؤذّن فى الناس بالحج، فأخذ (عليه السلام) ذلك الحجر فوضعه بحذاء البيت، لاصقا به، بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم.

ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله عز و جل به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر، ففرقت رجلا إبراهيم فيه، فقلع (عليه السلام)

رجليه من الحجر قلعا.

فلما كثر الناس، و صاروا إلى الشر و البلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الذى هو فيه اليوم، ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث الله عز و جل محمدا (صلى الله عليه و آله) رده إلى الموضع الذى وضعه فيه إبراهيم (عليه السلام)، فما زال فيه حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فى زمن أبى بكر، و أول ولايه عمر.

ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأىكم يعرف موضعه فى الجاهليه؟

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر.

قال: و القدر عندك؟

قال: نعم.

قال: فأت به.

فجاء به، فأمر بالمقام فحمل ورد إلى الموضع الذى هو فيه الساعه (١).

لقد كدت تركز إليهم:

و عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٢).

قال: لما كان يوم الفتح أخرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) أصناما

١- البحار ج ٩٦ ص ٢٣٢ عن علل الشرايع ص ٤٢٣.

٢- الآية ٧٤ من سورة الإسراء.

من المسجد، و كان منها صنم على المروه، و طلبت إليه قریش أن يتركه، و كان استحيا، فهمم بتركه، ثم أمر بكسره، فنزلت هذه الآية (١).

و نقول:

أولاً: إن ما ذكرته الروايه من مناسبة نزول الآية تعارضه روايات أخرى حول هذا الموضوع، و لعل من بينها ما هو أصح و أولى بالقبول.

١- فمنها ما روى فى مصادر شيعه أهل البيت (عليهم السلام) ما يدل على أن هذه الآية قد نزلت بإياك أعنى و اسمعى يا جاره، فلاحظ ما يلى:

ألف: روى عن الإمام الرضا (عليه السلام): إن هذه الآية مما نزل بإياك أعنى، و اسمعى يا جاره، خاطب الله تعالى بذلك نبيه (صلى الله عليه و آله)، و أراد أمته (٢).

ب: و عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَزُكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً عَنِ بَدَلِكَ غَيْرِهِ (٣).

٢- و منها ما دل على أنها نزلت فى من أراد أن يصرف النبى (صلى الله عليه و آله) عن التنويه بشأن على (عليه السلام).

و نشير هنا: إلى أن هذه الروايات لا تتنافى مع سابقاتها و ذلك ظاهر، و من هذه الروايات:

١- نور الثقلين ج ٣ ص ١٩٨ و البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٤ و البحار ج ٢١ ص ١٢٤ و تفسير العياشى ج ٢ ص ٣٠٦ و مجمع البيان المجلد الثالث ج ٦ ص ٤٣١.

٢- نور الثقلين ج ٣ ص ١٩٧ و ١٩٨ و البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٤.

٣- نور الثقلين ج ٣ ص ١٩٨.

ألف: عن عبد الله بن عثمان البجلي، عن رجل: أن النبي (صلى الله عليه وآله) اجتمعا (١) عنده وابتئهما، فتكلموا في علي (عليه السلام). وكان (٢) من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يلين في بعض القول، فأنزل الله: .. لَقَدْ كِدَّتْ تَزُكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٣) ثم لا تجد لك مثل علي وليا (٤).

ب: عن أبي جعفر (عليه السلام): وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ (٥) في علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٦).

ج: و عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما: أن القوم أرادوا النبي (صلى الله عليه وآله) ليربط رايه (٧) في علي (و ليمسك عنه بعض الإمساك، حتى إن بعض نسائه ألححن عليه في ذلك، فكاد يركن إليهم بعض الركون، فأنزل الله عز وجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْشُرَكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَزُكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا.

١- أى اجتمع عنده أبو بكر و عمر و ابتئهما. و الواو في قوله: و ابتئهما للمعيه.

٢- كذا في المصدر.

٣- الآيتان ٧٤ و ٧٥ من سورة الإسراء.

٤- نور الثقلين ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٤.

٥- الآية ٧٣ من سورة الإسراء.

٦- البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٤.

٧- لم أفهم معنى هذه العبارة و لعلها محرفه أو مصحفه. لكن العبارة التي بعدها توضح المراد.

قال محمد بن العباس: (المخاطب بذلك ظ) رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولكن في التخويف لأمته، لثلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين (١).

٣- أما روايات أهل السنه فهى مختلفه فى ما بينها، ولكنها هى الأخرى متفقه على خلاف ما ورد فى تلك الروايه التى نتحدث عنها أيضا.

و مع غض النظر عن ذلك كله نقول:

ألف: روى: أن هذه الآية نزلت قبل الهجره، حين جاء أميه بن خلف، و أبو جهل إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، و طلبوا منه أن يستلم آلهتهم، لكى يدخلوا معه فى دينه. و كان يشتد عليه فراق قومه فرق لهم. فنزلت الآية (٢).

ب: عن سعيد بن جبير: كان النبى (صلى الله عليه وآله) يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا.

فقال (صلى الله عليه وآله): و ما علىّ لو فعلت، و الله يعلم منى خلافه، فنزلت (٣).

ج: عن ابن شهاب: أن المشركين كانوا يقولون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا طاف: استلم آلهتنا كى لا تضرك، فكاد يفعل، فنزلت (٤).

١- البرهان ج ٢ ص ٤٣٤.

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ عن ابن إسحاق، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه.

٣- راجع: مجمع البيان المجلد الثالث ج ٦ ص ٤٣١ و الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

٤- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ عن ابن أبى حاتم.

د: عن جبير بن نفير: أن قريشا طلبوا منه (صلى الله عليه وآله) أن يطرد الذين اتبعوه من سقاط الناس و مواليهم، ليكونوا هم اصحابه، فركن إليهم، فنزلت (١).

ه: عن ابن عباس: أن ثقيفا قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

أجلنا سنه، حتى نهدي لألهتنا، فإذا قبضنا الذى يهدى لآلهه أحرزناه، ثم أسلمنا، و كسرنا الآلهه، فهم أن يؤجلهم، فنزلت (٢).

ثانيا: إن الآيات تقول: إنه (صلى الله عليه وآله) لم يركن، بل هو لم يقترب من الركون إليهم، لأن تثبيت الله له كان حاصلًا فعلا و من أول الأمر .. و ذلك بقريته كلمه (لولا) الداله على نفى الحصول.

فكل الروايات المفيدة لركونه (صلى الله عليه وآله)، أو مقاربتة للركون لا تصح، لأنها تنافى ظاهر الآية الكريمة.

ثالثا: إن الحديث فى الآية إنما هو عن أمر أنزل و أوحى إليه من الله تعالى، و هم يريدون منه (صلى الله عليه وآله) أن يفترى على الله غيره ..

و هذا لا ينطبق على مورد الروايه السابقه، لأن النبى (صلى الله عليه وآله) لم يقل لهم: إن الله أوحى إليه أن أترك الصنم على المروه، بل هو - حسب ما تقوله الروايه - قد هم بتركه، لأنه استحيا منهم.

رابعا: إن هذه السوره مكيه، و قد ذكرنا فى ثنايا هذا الكتاب: أن السور

١- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ عن ابن أبى حاتم، و مجمع البيان المجلد الثالث ج ٦ ص ٤٣١.

٢- الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ عن ابن جرير، و ابن مردويه، و مجمع البيان المجلد الثالث ج ٦ ص ٤٣١.

كانت تنزل دفعه واحده، ثم تبدأ تطبيقاتها بالحصول تدريجاً إلى أن تنزل (بسم الله الرحمن الرحيم) مره أخرى، فيعرف الناس: أن السوره السابقه قد انتهت، و أن سوره جديده قد بدأت (١).

١- راجع: الدر المنثور ج ١ ص ٧ و ج ٣ ص ٢٠٨ عن أبي داود، و البزار، و الدار قطنى فى الافراد، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى فى المعرفه و فى شعب الإيمان، و فى السنن الكبرى، و عن أبى عبيد، و الواحدى، و فتح البارى ج ٩ ص ٣٩ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٦ و نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٨ و مستدرک الحاكم ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ و صححه على شرط الشيخين، و تلخيص المستدرک للذهبى، بهامشه، و أسباب النزول للواحدى ص ٩ و ١٠ و السنن الكبرى ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣ و محاضرات الأدباء المجلد الثانى، الجزء ٤ ص ٤٣٣ و الإتقان ج ١ ص ٧٨ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ٥٦ و ٥٧ و راجع ص ٥٥ عن بعض من تقدم، و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٥ و عمدته للقارئ ج ٥ ص ٢٩٢ و نصب الرايه ج ١ ص ٣٢٧ و المستصفى ج ١ ص ١٠٣ و فواتح الرحموت بهامشه ج ٢ ص ١٤ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٤ و التفسير الكبير ج ١ ص ٢٠٨ و غرائب القرآن، بهامش الطبرى ج ١ ص ٧٧ و المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٩٢ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٠ و ج ٢ ص ١٠٩ عن أبى داود و البزار و كنز العمال ج ٢ ص ٣٦٨ عن الدار قطنى فى الافراد و التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٢١٢ عن الحاكم و يعقوبى، و سنن أبى داود ج ١ ص ٢٠٩ و المنتقى ج ١ ص ٣٨٠ و تبين الحقائق ج ١ ص ١١٣ و كشف الأستار ج ٣ ص ٤٠ و مشكل الآثار ج ٢ ص ١٥٣ و تفسير العياشى ج ١ ص ١٩ و عنه فى التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٢١٢ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ٥٦ و مصباح الفقيه [كتاب الصلاه] ص ٢٧٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٥.

و حتى لو قلنا بما يقوله أولئك الناس: من أنه (صلى الله عليه وآله) كان يقول: ضعوا هذه الآية في مكان كذا من سورة كذا (١)، فإننا لا نرى مبررا

١- الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٢٧٢ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٣ و الإتيان ج ١ ص ٦٢ و البرهان للزركشى ج ١ ص ٢٤١ عن الترمذى، و الحاكم. و التمهيد ج ١ ص ٢١٣ و تاريخ القرآن للصغير ص ٨١ عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص ٣٤. لكن فى غرائب القرآن للنيسابورى، بهامش جامع البيان للطبرى ج ١ ص ٢٤ و مناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٠ هكذا: (ضعوا هذه السوره فى الموضع الذى يذكر فيه كذا). و مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣٠ و ٢٢١ و تلخيصه للذهبي بهامشه و غريب الحديث ج ٤ ص ١٠٤، و البرهان للزركشى ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و راجع ص ٦١ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ١ ص ٢٤ و فتح البارى ج ٩ ص ١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٣٨، و كنز العمال ج ٢ ص ٣٦٧ عن أبى عبيد فى فضائله، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و أبى داود، و الترمذى، و ابن المنذر، و ابن أبى داود، و ابن الأنبارى معا فى المصاحف، و النحاس فى ناسخه، و ابن حبان، و أبى نعيم فى المعرفه، و الحاكم و سعيد بن منصور، و النسائى، و البيهقى، و فواتح الرحموت بهامش المستصفى ج ٢ ص ١٢ عن بعض من ذكر، و الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ عن بعض من ذكر، و عن أبى الشيخ، و ابن مردويه و مشكل الآثار ج ٢ ص ١٥٢ و البيان ص ٢٦٨ عن بعض من تقدم، و عن الضياء فى المختاره، و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٨ و راجع: بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ١٠٣ و مناهل العرفان ج ١ ص ٣٤٧ و مباحث فى علوم القرآن ص ١٤٢ عن بعض من تقدم، و تاريخ القرآن للصغير ص ٩٢ عن أبى شامه فى المرشد الوجيز .. و جواهر الأخبار و الآثار بهامش البحر الزخار ج ٢ ص ٢٤٥ عن أبى داود و الترمذى و سنن أبى داود ج ١ ص ٢٠٩ و السنن الكبرى للبيهقى ج ٢ ص ٤٢ و أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٠ و مسند أحمد ج ١ ص ٥٧ و ٦٩.

لبقاء هذه الآيات معلقه في الهواء، في حين أن عشرات السور تنزل عليه، ثم بعد عشرين سنه تنزل آيه أو أكثر، فيقول: ضعوها في السوره الفلانيه في الموضع الفلاني.

خامسا: ما هي خصوصيه الصنم الذي كان على المروه حتى تطلب قريش من النبي (صلى الله عليه و آله) أن يتركه؟! و لماذا لم تطلب منه أن يترك لها هبلا أو غيره مما هو بنظرها أهم و أعظم من سائر الأصنام؟!

صنم لكل قبيله، و حى، و بيت!!:

و قد صرحت الروايات: بأن ثلاث مائه و ستين صنما كانت موجوده في المسجد الحرام، و بأنه كان لكل قبيله و لكل حى صنم، بل كان في كل بيت صنم أيضا.

و قد نعى الله تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) على المشركين هذا الأمر بالذات، فقال: .. أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١).

و للعلامه الطباطبائي رحمه الله إشارات لطيفه في معنى هذه الآيه، لا بأس بمراجعتها (٢).

و نكتفى هنا بالقول: بأن هناك أمورا ثلاثه وقع فيها أولئك الناس، لا يقبلها عقل، و لا ترضاها فطره، و هي:

١- عباده غير الله من مخلوقات الله تعالى العاقله، ممن لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا، مثل البشر، و الملائكه و الجن ..

١- الآيه ٣٩ من سوره يوسف.

٢- الميزان (تفسير) ج ١١ ص ١٧٥-١٧٨.

٢- عباده الأبحار، و الأشجار، و سواها مما لا يعقل، و لا يبصر و لا يسمع، و لا يضر، و لا ينفع.

٣- التعدد و التفرق فى الأرباب. فإن تفرق الأرباب يعنى:

أولاً: إما اعتقادهم لجامعيه كل واحد منها لصفات الألوهيه غير المحدوده و المطلقه فى كل شىء .. فىصبح تعددها عبثاً مع نشوء أسئله كثيره عن حالها لو تعارضت إراداتها فيما بينها فى جميع أنحاء التصرفات، و أسئله عن وحده إدراكها للمصالح أو المفسد، و عن شمول قدرتها على التصرف بكل شىء ء، حتى فى موارد تعلق إرادات الأرباب الأخرى أيضاً، بل هناك أسئله عن حالها، لو تعلقت إرادتها بإلغاء سائر الأرباب.

ثانياً: و إما اعتقاد إطلاق القدره و سائر صفات الألوهيه فى رب واحد، أو أرباب بعينها، و عدم صلاحيه ما عداه أو ما عداها، بسبب ما تعانيه- بنظره- من نقص و عجز، و جهل، و فقر، و ما إلى ذلك ..

و هذا يعنى: أن يكون لكل واحد رب يخصه، ثم هو ينكر ما عداه؛ فهو لا يعترف بأرباب سائر القبائل، و لا بالأرباب التى يعبدها سائر الناس فى بيوتهم، و أحيائهم، و بلادهم. و بذلك تصبح نفس تلك الأرباب سبباً للضعف، و التفرق، و التلاشى، و التمزق للوحده الإجماعيه، و ماده للخلاف، و التناحر، و التباين، و التدابر فيما بين الناس.

كف حصى يرمى به الرسول صلى الله عليه و آله:

و عن أخذ النبى (صلى الله عليه و آله) كفا من حصى، ثم رميه له باتجاه الأصنام، و قراءته الآيه الشريفه نقول:

إن هذا الفعل يختزن التعبير عن رفض الباطل عملاً، فضلاً عن القول، وقد كان رمى الجمرات فى منى يعطى معنى رفض الباطل عملاً، فضلاً عن القول بالإضافة إلى دلالات أخرى لا مجال لشرحها الآن، غير أن الناس استمروا على تداول هذه الطريقة للتعبير عن هذا المعنى فى مواقفهم الراضة لأقوال أو أفعال بعينها ..

غير أن ما يميز هذه الواقعة هو:

أولاً: أنها قد صدرت من نبي كريم، شأنه هدايه البشر إلى ما يرضى الله تبارك و تعالى.

ثانياً: إن رمى هذه الحصيات قد رافقه ظهور المعجزه، و هو أن تلك الأصنام قد خرت لوجهها.

ثالثاً: إنه رمى يتجاوز مجرد إعلان الرفض و الإدانه إلى كونه إظهاراً و تجسيدا لانتصار الحق، و زهوق الباطل، بصوره حقيقيه، و واقعيه، و عمليه.

رابعاً: إن هذه الواقعة قد بينت مدى معاناه هذا النبي الكريم و العظيم (صلى الله عليه و آله) مع قومه، الذين لم تنفع جميع تلك الآيات و المعجزات فى ردعهم عن جحودهم، و عن تعمد الإفتراء و التجنى، و الإتهام له بالسحر، و الكهان، و الشعر، و بغير ذلك مما هم على يقين من زيفه و بطلانه ..

كما أن كل ما عاينوه من الطاف و تأييدات إلهيه لهذا النبي الكريم (صلى الله عليه و آله)، و انتصارات له تصل إلى حد الإعجاز لم يستطع أن يردعهم عن غيهم، و عن تعمد الباطل فى حقه.

فهم حتى حين يرون بأعينهم كيف تتبخر آخر آمالهم، و تتلاشى حتى أضغاث أحلامهم، و يرون الكرامه تلو الكرامه، و المعجزه إثر

المعجزه، و يسقط من يدهم آخر حجر، و ينمحي عن صفحه الواقع العملى للشرك آخر أثر .. ما فتثوا يقولون: ما رأينا أسحر من محمد!!

فهل ترى قوما أسوأ رأيا و محضرا منهم؟! و هل هناك أصبر من رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!؟

على عليه السلام يكسر أصنام الكعبه:

قال الصالحى الشامى: عن على (عليه السلام) قال: انطلق رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى أتى بى الكعبه، فقال: (اجلس)، فجلست بجنب الكعبه، فصعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) على منكبى، فقال:

(انهض)، فنهضت، فلما رأى ضعفى تحته قال: (اجلس)، فجلست.

ثم قال: (يا على، اصعد على منكبى)، ففعلت، فلما نهض بى خيل إلى لو شئت نلت أفق السماء.

فصعدت فوق الكعبه، و تنحى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال:

(ألق صنمهم الأكبر)، (و فى نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعه) و كان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (عالجه)، و يقول لى: (إيه إيه) جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

زاد فى سائر المصادر قوله:

حتى إذا استمكنت منه، قال لى رسول الله (صلى الله عليه و آله): اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير. ثم نزلت، فانطلقت أنا و رسول

اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشيه أن يرانا أحد من الناس، أو من قريش (١).

قال الحاكم: فما صعدت حتى الساعة (٢).

وقيل: إن هذا الصنم كان من قوارير صفر، وقيل: من نحاس (٣).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّٰه عليه و آله) قال لعلى (عليه السلام): ارم به، فحمله رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه و آله) حتى صعده فرمى به فكسره،

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ عن ابن أبى شيبه، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ٤٢٩ و التبصره لابن الجوزى ص ٤٤٢ و مناقب الأخيار ص ٣ و مسند أحمد ج ١ ص ٨٤ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥ و ج ٢ ص ٣٦٧ و تلخيص المستدرك بهامشه، و المصنف لابن أبى شيبه ج ١٤ ص ٤٨٨ و نظم درر السمطين ص ١٢٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦ عن خصائص العشره للزمخشري و بدايع الأمثال ص ١٤٨ و ينابيع الموده ص ١٣٩ و ٤٢٠ و راجع: و تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٠٢ و المناقب للخوارزمي ص ٧٣ و خصائص الإمام على (عليه السلام) للنسائي (ط التقدم بمصر) ص ٣١ و صفه الصفوه ج ١ ص ١١٩ و تذكره الخواص ص ٣١ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤ و مفتاح النجا ص ٢٧ و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدس) ص ٨٥ و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٥٤ و فرائد السمطين، و تفريح الأحباب ص ٣١٦ و بذل القوه للسندى الحنفى ص ٢٢٤ و كنز العمال (ط حيدرآباد) ج ٥ ص ١٥١ و غاليه المواعظ ج ٢ ص ٨٨.

٢- مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٦٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ عن الطبرانى، و أحمد، و الترمذى، و الصالحانى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦.

فجعل أهل مكة يتعجبون، و يقولون: ما رأينا أسحر من محمد (١).

ثم إن عليا (عليه السلام) أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدبا و شفقه على النبي (صلى الله عليه و آله).

و لما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبي (صلى الله عليه و آله) عن تبسمه.

فقال لأنى ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع، و ما أصابنى ألم.

قال: كيف يصيبك ألم و قد رفعك محمد، و أنزلك جبريل؟! (٢).

و فى نص آخر: أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان بمنزل خديجه، فدعا عليا (عليه السلام) فى إحدى الليالى، فذهبا إلى الكعبه

فكسرا الأصنام، فلما أصبح أهل مكة قالوا: من فعل هذا بالهتنا؟ الخ .. (٣).

و فى نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) قال: يا على، اصعد على منكبى، و اهدم الصنم.

فقال: يا رسول الله، بل اصعد أنت، فإنى أكرمك أن أعلوك.

فقال (صلى الله عليه و آله): إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوه، فاصعد أنت ..

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال على (عليه السلام): فلما نهض بى، فصعدت فوق ظهر الكعبه

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ عن الزرندي، و الصالحانى، و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ٢٠٢.

٣- إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٨٩.

الخ .. (١).

و جاء فى نص آخر قوله (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام): لو أن ربيعه و مضر جهدوا أن يحملوا منى بضعه و أنا حى ما قدروا، و لكن قف يا على، فضرب بيده إلى ساقيه، فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال: ما ترى يا على؟

قال: أرى أن الله قد شرفنى بك، حتى لو أردت أن أمس السماء لمستها الخ .. (٢).

و فى نص آخر: قال على (عليه السلام): أرانى كأن الحجب قد ارتفعت، و يخيل إلى أنى لو شئت لنتل أفق السماء.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): طوبى لك تعمل للحق، و طوبى لى أحمل للحق (٣).

على عليه السلام بكسر الأضنام:

و قال بعض الشعراء، و قد نسب القندوزى الحنفى هذا الشعر إلى الإمام الشافعى، و نسبه عطاء الله بن فضل الله الحسينى الهروى فى الأربعين إلى حسان بن ثابت:

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

٢- المناقب لابن المغازلى ص ٢٠٢ و المناقب المرتضويه ص ١٨٨ و البحار ج ٣٨ ص ٨٦ و كشف اليقين ص ٤٤٧ و الطوائف ص ٨٠ و العمده لابن البطريق ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

٣- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٦٢.

قيل لى قل فى علىّ مدحا ذكره يخمد نارا مؤصده

قلت لا أقدم فى مدح امرئ ضل ذو اللب إلى أن عبده

و النبى المصطفى قال لناليله المعراج لما صعده

وضع الله بظهرى يده فأحسّ القلب أن قد برده

و على واضع أقدامه فى محل وضع الله يده (١)

و فى حديث يزيد بن قعنب عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد على (عليه السلام) فى جوف الكعبه، و ارادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمه سميه عليا، فهو على ..

إلى أن قال عن على (عليه السلام): و هو الذى يكسر الأصنام، و هو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى الخ .. (٢)

و فى بعض المصادر: أنه (عليه السلام) جمع الحطب، و أوقد نارا، ثم وضع قدمه على عضد النبى (صلى الله عليه و آله)، و صار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبه، و يلقيها فى النار (٣).

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و ينابيع الموده (ط إسلامبول) ص ١٣٩ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٨٣ و ج ١٨ ص ١٦٣.

٢- إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٧ عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.

٣- أنيس المجلس للسيوطى (ط سنه ١٢٩١ هـ) ص ١٤٨ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٦٧.

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، و محاكمات هي التاليه:

تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح:

و رد في الروايه الأولى المتقدمه عن علي (عليه السلام): أنه بعد أن ذكر تكسير الأصنام، قال:

و نزلت من فوق الكعبه، و انطلقت أنا و النبي (صلى الله عليه و آله) نسعى حتى توارينا بالبيوت، و خشينا أن يرانا أحد من قريش، أو من الناس (١).

قال الحلبي الشافعي: (و هذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكه، فليتأمل) (٢).

و نقول:

و هي ملاحظه صحيحه، فإن هذه الروايه تتحدث عن تحطيم الأصنام قبل الهجره إلى المدينه، و أنه (صلى الله عليه و آله) انطلق إليها من منزل خديجه، كما في بعض الروايات، و هذا معناه:

أن النبي (صلى الله عليه و آله) و عليا (عليه السلام) قد حطما الأصنام مرتين:

الأولى: في مكه، و بصوره سريه، كما فعل إبراهيم الخليل (عليه السلام) بأصنام قومه الذين قالوا: من فعل هذا بالهتنا .. و كذلك قال المكيون، فاستحق علي (عليه السلام) بذلك أن يقول في حقه النبي (صلى الله عليه و آله)

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

و آله): إنه أول من حطم الأصنام بعد إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و الثانية: فى فتح مكة، أمام أعين مشركى مكة أنفسهم.

و لعل الرواه قد خلطوا بين الواقعتين .. و الأمر فى ذلك سهل.

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!!

و یرد سؤال: لماذا يتعرض النبى (صلى الله عليه و آله) للأصنام سرا قبل الهجره؟ مع علمه بأن ذلك لا یرغم أهل مكة على تغيير موقفهم، بل قد يزيدهم ذلك إصرارا على غيهم، و على مناصره أصنامهم، و التشدد فى المحافظه عليها.

و يمكن أن یرجاب: بأن المقصود: هو تقديم العبره لهم بصورة عمليه، و إقامة الحجج عليهم بها، ليحيا من حياى عن بينه، و يهلك من هلك عن بينه .. و لعله يكون من بينهم من يستفيق من سكرته، و يثوب إلى رشده، فيدرك عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن نفسها، فكيف تتمكن من الدفع عن غيرها؟!!

فما يدعى لها من قدرات و آثار، ما هى إلا مزاعم ليس فقط لا تستند إلى برهان، بل لقد أثبت البرهان بوارها و بطلانها.

و هذا البرهان و الحجج ليس مجرد معادله ذهنيه، و افتراضات تجريديه، بل هو عمل جوارحى، و فعل مباشر يستهدف الأصنام نفسها .. و لا يستهدف غيرها، ليقال لعلها لم تنتصر له، لأنها كانت غاضبه عليه، فتركته نهبا للبلاء، و حجت رعايتها له، و لطفها به.

و هذا هو نفس الدرس الذى أراد إبراهيم (عليه السلام) أن يلقيه

لقومه حين حطم أصنامهم.

و قد جاءت كلمه قوم إبراهيم (عليه السلام): (من فعل هذا بالهتنا)؟

متوافقه مع قول أهل مكه .. وهى كلمه مهمه، لأنها تتضمن اعترافا بوجود من هو أقوى من هذه الآلهه، و إقرارا بعجزها عن منعه من إلحاق الأذى بها، و حاجتها إلى غيرها ليحميها منه.

و بما أن عمل هذا القوى قد كان بصوره سريه، فذلك يعنى: أنه يتجنب الاصطدام بالناس العاديين، و هذا يدل على: أن قدراته ليست ذاتيه و لا مطلقه، فهو إذن ليس من جنس الآلهه، لكى يلتمس لها بعض العذر فى عجزها عن مواجهته و رده.

على عليه السلام ينوء بثقل النبوه:

تقدم: أن النبى (صلى الله عليه و آله) هو الذى طلب من على (عليه السلام) أن يجلس، ليصعد (صلى الله عليه و آله) على ظهره .. و إذ به (عليه السلام) ينوء بثقل النبوه ..

و هنا سؤالان:

أولهما: ألم يكن النبى (صلى الله عليه و آله) يعلم بأن للنبوه ثقلا- ينوء به على (عليه السلام)؟! فإن كان يعلم بذلك، فما هى الحكمة فى أن يطلب منه على (عليه السلام) أن يجلس أولا، ليصعد هو على ظهره؟!!

ثانيهما: هل للنبوه ثقل؟! و ما هو نوعه، و حقيقته؟! و هل هو ثقل مادي كسائر الأثقال؟!!

و نقول فى الجواب على السؤال الأول:

إننا ننزه رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن أن ينسب إليه عدم المعرفة بأن للنبوه ثقلا ينوء به على (عليه السلام) .. و لذلك نرجح الروايات الأخرى التى صرحت: بأن عليا (عليه السلام) آثر أن يصعد النبى (صلى الله عليه و آله) على ظهره، لأنه يجلس النبى و يكرمه عن أن يصعد هو على ظهره، فأخبره (صلى الله عليه و آله) بأن ثقل النبوه يمنع من ذلك.

غير أن ذلك لا يمنعنا من أن نقول أيضا:

إن عليا (عليه السلام) كان يعلم بأن للنبوه ثقلا ينوء به مثله. و لعله أراد من النبى (صلى الله عليه و آله) أن يصرح بذلك، ليعلم الناس: أن صعوده على ظهر النبى (صلى الله عليه و آله)، لا يتنافى مع إجلاله و تعظيمه له ..

أو لعله نظر إلى قانون البداء، الذى ربما يكون له تأثيره فى مثل هذا المورد، فى صورته حدوث أمر يقتضى إظهار معنى فى على (عليه السلام)، أو فى النبى (صلى الله عليه و آله)، أو فى سياق آخر، فبنشأ عنه تمكين على (عليه السلام) من القيام بثقل النبوه، أو يقضى بتخفيف ذلك الثقل، بحيث يتمكن على (عليه السلام) من النهوض به.

و أما بالنسبة للسؤال الثانى، فنقول:

إنه ليس بإمكاننا تحديد ماهية هذا الثقل، غير أننا نقول:

لا ريب فى أن النبى (صلى الله عليه و آله) يركب الراحله، و البغله، و الفرس، و غيرها، و لكنه يعلن: أنه لو اجتمعت ربيعه و مضر على أن يحملوا بضعه منه و هو حى لما قدروا على ذلك.

و هذا معناه: أن للنبوه فى مضمونها المعنوى خصوصيه تحتم التدخل

الإلهي في قدره البشر، لتعجزهم عن حمل النبي (صلى الله عليه وآله)، لأن ذلك قد يثير خطرات تسيء إلى معنى النبوه، و نحن و إن ننزه عليا (عليه السلام) عن مثل هذه الخطرات، لأنه نفس النبي (صلى الله عليه وآله) في طهره و صفائه .. و لكننا لا نستطيع أن ننزه عنها غير علي (عليه السلام) ممن رأوا ذلك و سمعوه.

هل خيّل إلى علي عليه السلام!؟

إن التخييل لعلي (عليه السلام) هو إراءته عين الواقع، فلا تخييل للإمام المعصوم خارج دائره إراءه الحقائق، فالتعبير بكلمه (خيّل إلى) إن كان يراد به الرفق ببعض ضعفاء النفوس، الذين قد لا يتمكنون من فهم الأمور بصوره معقوله و مقبوله، فهو مقبول .. و إن كان الأمر على خلاف ذلك، فلا بد من الإعراض عن هذه الروايه و الأخذ بالروايات التي استبعدت كلمه (خيّل إلى)، و ذكرت أنه لو أراد أن ينال السماء لنالها، و قد تقدمت.

و مما يشير إلى أن القضيّه حقيقيه، و ليست مجرد تخييل قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (رفعك محمد، و أنزلك جبريل)، فإن من يكون هذا حاله، لو أراد أن ينال السماء لنالها، من دون شك و لا شبهه.

تعمل للحق، و أحمل للحق:

و حين قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): طوبى لك تعمل للحق، و طوبى لي أحمل للحق .. فإنه يكون قد أوضح لكل قريب و بعيد: أن مباشره تحطيم الأصنام لم يكن عملا أمّلته روح التشفى

و الإنتقام، أو دعتة إليه الرغبه فى جمع كل ثمرات الإنتصار، و الحرص على الإمساك بجميع خيوط المجد و الفخار ..
و إنما أملاه عليه واجب الدين و الحق، و الإخلاص لله تعالى.

لماذا لم يباشر النبي صلى الله عليه و آله تحطيم الأصنام!؟:

ثم إن ما يدعو إلى التأمل هنا: أن النبي (صلى الله عليه و آله) تولى بنفسه مع أخيه على (عليه السلام) هذا العمل مع أنه كان من الممكن أن يوكل هذا الأمر إلى بعض من كان معه من المسلمين .. فلما ذا كان ذلك؟ و ما الحكمه فيه!؟.

و نقول:

لعل نفس مبادره نبى الله (صلى الله عليه و آله) و وصيه (عليه السلام) إلى تحطيم مظاهر الشرك فى بيت الله تعالى، يقطع الطريق على أى تأويل أو اتهام لأحد فى أن يكون هو الذى بادر إلى تحطيم الأصنام، أو أنه بالغ و تجاوز الحد فى إجراء التوجيهات التى صدرت له من قبله (صلى الله عليه و آله) بشأنها ..

و قد يدعى: أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يتخذ موقفا حادا منها، و إنما كان كل همه هو التسلط على مكه، و قهر قريش، و كسر عنفوانها. و لعله كان لا يمانع فى أن يعتقد الناس بأنها تقرب إلى الله زلفى.

أو لا يمانع فى اقتنائها للذكرى، أو لأى سبب آخر.

فجاءت مبادرته لتحطيمها بنفسه، لتدل على أن وجودها كله مبغوض لله تبارك و تعالى، و لا يجوز الاحتفاظ بها تحت أى عنوان من العناوين.

لو نزع دلوا من زمزم:

و أما ما ينسب إلى النبي (صلى الله عليه و آله) من أنه قال: لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقائهم) لنزعت منها دلوا .. فهو غير ظاهر المعنى.

فأولاً: إن مجرد أن ينزع النبي (صلى الله عليه و آله) دلوا من ماء لا- يوجب نزع السقايه من بنى عبد المطلب، و لا- أن تصبح الأمور على درجه الفلتان و التسيب، بحيث يغلبون على سقائهم.

و يجاب عن ذلك: بما قاله بعض الإخوه من أنه يحتمل أن يتخذ المسلمون من عمل النبي (صلى الله عليه و آله) سنه، فينتزع من يشاء منهم دلوا منها، أو دلاء، فتذهب السقايه من أربابها.

ثانياً: قد يقال: لو أوجب نزع الدلو من زمزم ذلك لكان أخذ المفتاح من بنى شيبه- سواء أخذ بالقوه، أو بالحسنى- يوجب نزع حجاب البيت منهم ..

فإن كان (صلى الله عليه و آله) قد عالج ذلك بإعلانه أن الحجاب لبنى شيبه، و أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ المفتاح منهم .. فإنه يمكنه أن يعالج أمر زمزم بنفس الطريقه، فينزع دلوا من زمزم، ثم يعلن عدم جواز مزاحمه بنى عبد المطلب فى أمر السقايه ..

إلا أن يقال: إن ثمه فرقا بين الأمرين، فإن أخذه (صلى الله عليه و آله) لمفتاح الكعبه معناه: إرجاع أمر ولايه الكعبه إلى صاحبها الحقيقى، و الاعتراف بولايته على الكعبه معناه: الاعتراف بولايته على كل ما عداها.

لأنها تمثل محوريه لا مجال لإنكارها فى هذا الأمر. فاقتضت المصلحه أن

يتعامل مع بنى شبيهه بهذه الطريقه.

و ليس الأمر فى السقايه من زمزم بهذه المثابه ..

و لأجل ذلك لم يكن من المصلحه أن يكتفى بالطلب إلى حامل المفتاح أن يفتحه له .. بل كانت المصلحه فى أخذ المفتاح منه، ثم يكون هو الذى يعطيه إياه بنحو تكون شرعيه حجابته للكعبه مستنده إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) دون سواه.

على أن فرقا آخر بين الحجابيه و السقايه، و هو: أنه لا- يمكن التعدى على موضوع الحجابيه، و لا مجال لغلبه الناس عليها، لأنها مرهونه بمفتاح الكعبه، الذى يكون لدى شخص بعينه، أما السقايه، فيمكن لكل أحد أن يستقى من بئر زمزم، فيمكن الغلبه على الماء.

النداء بتكسير الأصنام فى البيوت:

قالوا: و لم يكن رجل من قريش فى مكه إلا و فى بيته صنم، إذا دخل مسحه، و إذا خرج مسحه تبركا به (١).

و قالوا: و نادى منادى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بمكه: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدعن فى بيته صنما إلا كسره أو حرقه (٢).

قال: فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام.

و كان عكرمه بن أبى جهل لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٧٠ و ٨٧١.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٨ و السيره الحلييه ج ٣ ص ١٠٣ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٧٠ و ٨٧١.

مشى إليه حتى يكسره. و كان أبو تجراه يعملها فى الجاهليه و يبيعها (١).

عكرمه يكسر الأصنام:

و نقول:

إن ما زعموه من أن عكرمه كان يكسر الأصنام فى بيوت مكه يثير لدى الباحث أكثر من سؤال حول ما إذا كان هذا الرجل، الذى يزعمون أنه قاتل المسلمين يوم الفتح، و فر من المعركه، مخلصا فى فعله هذا أو أنه يتزلف للمسلمين به، و يخطط للوصول إلى منافع و الحصول على امتيازات يطمح إليها .. و هذا هو الأقرب إلى الاعتبار، إذ كيف انقلب هذا المقاتل للدين و لأهله بين لحظه و أخرى إلى ولى حميم، و متحمس صارم و حازم إلى هذا الحد؟!

١- راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٧٠ و ٨٧١.

الفصل السابع: النبي صلى الله عليه وآله في داخل الكعبة

أشاره

مفتاح الكعبه مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

عن أبي هريره، وعلقمه بن أبي وقاص الليثي، و محمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض، قال عبد الله: كان عثمان بن طلحه قد قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينه مسلما مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص قبل الفتح (١).

فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من طوافه أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحه يأتيه بمفتاح الكعبه، فجاء بلال إلى عثمان، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمرك أن تأتي بالمفتاح (٢).

فقال: نعم، هو عند أمي سلافه.

فرجع بلال إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره أنه قال: نعم، و أن المفتاح عند أمه.

فبعث إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسولا فجاء، فقالت: لا،

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٣٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ عن الواقدي و ابن أبي شيبه.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ عن الواقدي، و ابن أبي شيبه، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦.

و اللات و العزى، لا أدفعه إليك أبدا.

فقال عثمان: يا رسول الله، أرسلنى أخلصه لك منها، فأرسله، فقال:

يا أمه ادفعى إلى المفتاح، فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد أرسل إلى، و أمرنى أن آتية به.

فقال أمه: لا. و اللات و العزى، لا أدفعه إليك أبدا.

فقال: لا- لايت و لا- عزى، إنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، و إنك إن لم تفعلى قتلت أنا و أخى، فأنت قتلتنا. فو الله لتدفعنه، أو

ليأتين غيرى فيأخذه منك، فأدخلته فى حجزتها (١)، و قالت: أى رجل يدخل يده ههنا؟ (٢).

و قالت له: أنشدك الله أن يكون ذهاب مأثره قومك على يديك (٣).

قال الزهرى: فأبطأ عثمان و رسول الله (صلى الله عليه و آله) قائم ينتظره، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق، و يقول: (ما

يحبسه فيسعى إليه رجل) انتهى.

فبينما هما على ذلك و هو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر و عمر فى الدار، و عمر رافع صوته حين أبطأ عثمان: يا عثمان اخرج.

فقال أمه: يا بنى خذ المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم و عدى.

فأخذه عثمان، فخرج يمشى به حتى إذا كان قريبا من وجه رسول الله

١- الحجزه: موضع شد الإزار من الوسط.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ عن الواقدى و ابن أبى شيبه، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و المغازى

لواقدى ج ٣ ص ٨٣٣.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨.

(صلى الله عليه وآله) عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المفتاح فحنى عليه بثوبه (١).

و عند الواقدي: أن عثمان جاء بالمفتاح إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فناوله إياه (٢).

و عن ابن عمر: أن بنى أبي طلحة كانوا يقولون: لا- (يستطيع أن يفتح الكعبه إلا- هم، فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) المفتاح، ففتح الكعبه بيده (٣).

مفتاح الكعبه أخذ قهرا:

و روى بسند جيد عن أبي السفر، قال: لما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة دعا شيبه بن عثمان بالمفتاح- مفتاح الكعبه- فتلكأ، فقال لعمر: (قم فاذهب معه، فإن جاء به و إلا فاجلد رأسه).

فجاء به فأجاله فى حجره (٤).

و قال أبان: و حدثنى بشير النبال، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال:

لما كان فتح مكة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (عند من المفتاح)؟

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٧ عن عبد الرزاق و الطبرانى، و فى هامشه عن: أبى داود (٢٠٢٧)، و عن المطالب العالىه (٤٣٦٤). و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و ٩٩ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٣.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٣.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٧ عن الفاكهى، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٨.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٧ عن ابن أبى شيبه.

قالوا: عند أم شيبه.

فدعا شيبه، فقال: (اذهب إلى أمك، فقل لها: ترسل بالمفتاح).

فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا و تريد أن تأخذ منا مكرمتنا؟

فقال: لترسلن به أو لأقتلنك، فوضعتة في يد الغلام، فأخذه. و دعا عمر، فقال له: (هذا تأويل رؤياى من قبل).

ثم قام (صلى الله عليه و آله) ففتحه و ستره، فمن يومئذ يستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح، و قال: رده إلى أمك (١).

و فى نص آخر: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعث عليا (عليه السلام) إلى عثمان بن طلحه، فأبى أن يدفع المفتاح إليه، و قال: لو علمت أنه رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه علي (عليه السلام) و لوى يده، و أخذ المفتاح منه قهرا، و فتح الباب (٢).

فلما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (٣). أمره (صلى الله عليه و آله) أن يدفع المفتاح إليه، متلطفًا به، (و يعتذر إليه. و قال له: قل له: خذوها يا بنى طلحه بأمنه الله، فاعملوا فيها بالمعروف، خالده تالده الخ ..) (٤).

فجاء علي (عليه السلام) بالمفتاح متلطفًا، فقال له: أكرهت و آذيت، ثم جئت ترفق؟!

١- البحار ج ٢١ ص ١٣٢ عن إعلام الورى.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨.

٣- الآيه ٥٨ من سوره النساء.

٤- راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٨.

فقال (عليه السلام): لأن الله أمرنا بردها عليك.

فأسلم، فأقره النبي (صلى الله عليه وآله) في يده (١).

و في نص آخر: أنه بعد أن أخذ على (عليه السلام) المفتاح قهراً، و دخل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الكعبة، فصلى ركعتين ثم خرج. سأله العباس أن يعطيه المفتاح، فنزلت الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (٢).

و ستأتى روايات أخرى حول نزول هذه الآية في بنى شيبه، و ذلك حين الحديث عن إعطائهم حجاب البيت و مفتاح الكعبة، و ذلك بعد خطبه النبي (صلى الله عليه وآله) على باب الكعبة، فانتظر ..

إزالة الصور و التماثيل من داخل الكعبة:

روى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) دخل البيت في فتح مكة، و لم يدخله في حج و لا عمره. و دخل وقت الظهر (٣).

و في حديث صفيه بنت شيبه: وجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في

١- راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و البحار ج ٢١ ص ١١٦ و ١١٧ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٤ و ٤٠٥.

٢- البحار ج ٢١ ص ١١٦ و ١١٧ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٤ و ٤٠٥.

٣- راجع: البحار ج ٢١ ص ١٣٦ و ١٣٢ و ١٣٣ و في هوامشه عن تهذيب الأحكام للطوسى ج ١ ص ٢٤٥ و عن المناقب لابن شهر آشوب، و إعلام الورى، و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

البيت حمامه من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها (١).

و فى حديث جابر: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما دخل البيت رأى فيه تمثال إبراهيم، و إسماعيل، و إسحاق. و قد جعلوا فى يد إبراهيم الأزام يستقسم بها، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (قاتلهم الله، لقد علموا ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام).

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) بزعران فلطخه بتلك التماثيل (٢).

و رووا: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمر عمر بن الخطاب- و هو بالبطحاء- أن يأتى الكعبه فيمحو كل صوره فيها، فلم يدخلها حتى محيت الصور، و كان عمر قد ترك صوره إبراهيم.

فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) رأى صوره إبراهيم (و عند الديار بكرى: رأى فيها صور الملائكه، و غيرهم، فرأى إبراهيم مصورا فى يده الأزام يستقسم بها)، فقال: (يا عمر، ألم أمرك ألا تدع فيها صوره؟

قاتلهم الله، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام).

زاد الحلبي و غيره قوله: ما كان إبراهيم يهودياً و لا نصيرانياً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين (٣)، ثم أمر بتلك الصور

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٩ عن ابن إسحاق، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٩ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤.

٣- الآيه ٦٧ من سوره آل عمران.

فطمست (١).

ثم رأى صورته مريم، فقال: (امسحوا ما فيها من الصور، قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون) (٢).

و حسب نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) رأى الصور و هى صور الملائكة، و صور إبراهيم و إسماعيل فى أيديهما الأزام يستقسمان بها، أى و إسحاق، و بقيه الأنبياء، و صورته مريم، فقال: (قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون، قاتلهم الله، لقد علموا أنهم لم يستقسما بالأزام قط) (٣).

و عن ابن عباس - رضى الله عنهما - و عن عكرمة: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة، يعنى الأصنام، فأمر بها فأخرجت: صورته إبراهيم، و إسماعيل فى أيديهما الأزام، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (قاتلهم الله لقد علموا أنهم لم يستقسما بها قط).

زاد ابن أبى شيبه: ثم أمر بثوب فبلّ و محابه صورهما (٤).

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٧ و ٢٣٨ عن أبى داود، و ابن سعد، و الواقدى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧ و راجع: قرب الإسناد ص ٦١ و البحار ج ٢١ ص ١١١.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٨ عن البخارى و ابن أبى شيبه و فى هامشه عن: البخارى (٣٣٥٢) و مسند أحمد ج ١ ص ٣٦٥ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ١٤ ص ٤٨٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٥ ص ٧٣ و البحار ج ٢١ ص ١٠٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٦.

و عن أسامه بن زيد: أنه (صلى الله عليه و آله) دعا بدلو من ماء فضرب به الصور (١).

و فى نص آخر: أن الذى جاء بذنوب (٢) الماء هو الفضل بن العباس، و أنه جاء به من زمزم، فطمس به الصور (٣).

و عن ابن عمر: أن المسلمين تجردوا فى الأزر و أخذوا الدلاء، و انجروا على زمزم يغسلون الكعبه ظهرها و بطنها، فلم يدعوا أثرا من المشركين إلا محوه و غسلوه (٤).

و عن الواقدي قوله: أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان أن يقدموا البيت، و قال لعمر: لا تدع صورته حتى تمحوها إلا صورته إبراهيم.

فلما دخل (صلى الله عليه و آله) و رآها قال: يا عمر، ألم أمرك ألا تدع فيها صورته إلا محوتها.

فقال عمر: كانت صورته إبراهيم.

قال: فامحها (٥).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٧٠ عن مسند الطيالسى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٤.

٢- الذنوب: الدلو الكبير.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٧٢ عن الأزرقى.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٧٢ عن ابن أبى شيبه.

٥- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧٣٤ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ عن سبط بن الجوزى.

صلاه النبي صلى الله عليه وآله داخل الكعبه و خارجها:

و رووا: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة، على ناقته القصواء، و هو مردف أسامه، و معه بلال، و عثمان بن طلحه، حتى أناخ فى المسجد عند البيت، و قال لعثمان: اتنى بالمفتاح.

فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه إياه.

فقال: لتعطيني أو لأخرجن هذا السيف من صلى. فلما رأته ذلك أعطته إياه، فجاء به، ففتح عثمان له الباب، قالوا:

١- فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أسامه، و بلال، و عثمان بن طلحه.

و زاد بعضهم: الفضل بن عباس، و لم يدخلها أحد معهم، فاعلقوا عليهم الباب (١).

٢- و لما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكعبه كبر فى زواياها، و أرجائها، و حمد الله تعالى، و قد اختلفوا فى أمر صلاته فى الكعبه.

١- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ عن مصادر كثيره ذكرت الحديث يزيد بعضهم، أو ينقص و هم: البخارى، و مسلم، و مالك، و موسى بن عقبه، و النسائى، و أبى عوانه، و ابن ماجه، و أحمد، و الطبرانى، و ابن أبى شيبه، و الطحاوى، و ابن قانع، و الأزرقي، و أبى داود، و البزار، و الحاكم، و البهقى .. و فى هامشه عن البخارى فى المغازى ج ٧ ص ٦١١. و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٤ و ٨٣٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨.

و فى روايه: أنه (صلى الله عليه و آله) كبر فى نواحي البيت، و لم يصل (١).

٣- و فى روايه أخرى: أنه صلى ركعتين (٢).

٤- عن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكه انطلقت فوافقت رسول الله (صلى الله عليه و آله) خرج من الكعبه، و أصحابه قد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، و قد وضعوا

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٩ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ و ٨٩ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ عن الترمذى.
 ٢- راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ذكر تفاصيل و اختلافات الرواه فى العديد من المصادر، و هى التى تقدمت فى الهامش السابق. و قد ذكر الصالحى الشامى: أن صلاه النبى (صلى الله عليه و آله) ركعتين داخل الكعبه قد ورد فى روايه يحيى بن سعيد عند الشيخين. و فى روايه أبى نعيم الفضل بن دكين عند البخارى و النسائى، و روايه أبى عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمه، و روايه عمر بن على عند الإسماعيلى، و روايه عبد الله بن نمير عند الإمام أحمد، كلهم عن سيف بن أبى سليمان عن مجاهد عن ابن عمر: و تابع سيفاً عن مجاهد خصيف عند الإمام أحمد، و تابع مجاهداً عن ابن عمر بن أبى مليكه عند الإمام أحمد و النسائى، و عمرو بن دينار عند الإمام أحمد، و فى حديث جابر: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) البيت يوم الفتح، فصلى فيه ركعتين، و رواه الإمام أحمد برجال الصحيح، و الطبرانى عن عثمان بن طلحه. و رواه الإمام أحمد، و الأزرقى عن عبد الله بن الزبير. و رواه الطبرانى بسند جيد، و ابن قانع و أبو جعفر الطحاوى من طريقين عن عثمان.

خودهم على البيت و رسول الله (صلى الله عليه و آله) وسطهم، فسألت من كان معه، فقلت: كيف صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله) حين دخل الكعبة؟

قال: صلى ركعتين (١).

٥- روى: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبة، و قال: هذه القبلة (٢).

و عن السائب يزيد قال: حضرت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح صلى فى قبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، ثم استفتح بسوره المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى و عيسى أخذته سعله فركع (٣).

النبى صلى الله عليه و آله لم يدخل الكعبة إلا يوم الفتح:

إن أول سؤال يواجهنا فى النصوص المتقدمه هو: ما السبب فى أنه

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤١ عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و عن البزار، قال الصالحى الشامى و رواه أبو دادو، و الطحاوى عن عمر بن الخطاب. و البزار عن أبي هريره، و أنس بن مالك، و رواه الطبرانى.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤١ و ٢٧١ و فى هامشه عن: البخارى ج ١ ص ٦٨٨ (٥٠٤ و ٥٠٥) و مسلم ج ٢ ص ٩٦٦ (٣٨٨ و ٣٨٩ / ١٣٢٩) (١٣٢٩ / ٣٩٠) و مالك ج ١ ص ٣٩٨ (١٩٣) و عن مسند أحمد و مجمع الزوائد، و الطبرانى فى الكبير، و

السيره الحليه ج ٣ ص ٨٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٥.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ عن ابن أبى شيبه فى المصنف.

(صلى الله عليه وآله) لم يدخل الكعبة إلا في يوم الفتح!؟

و يمكن أن يقال في الجواب: إن الدخول إلى الكعبة يوم الفتح من شأنه أن يؤكد لقريش أن أمر الحرم لم يعد إليها، بل هو قد عاد إلى أهله رغما عن المعتدين والغاصبين. و على الناس كلهم أن يلتزموا بما يرسمه لهم من لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١) ..

فأولى الناس ببيت الله، هو نبيه المبعوث لتعليم الأمة و هدايتها، و هو لم يجعل الدخول و الخروج من البيت شغله الشاغل، بل إنه لم يدخل إليه إلا حين استعادته من أيدي الأرجاس، ليزيل عنه و منه رجسهم، و مظاهر شركهم، و ليعيده إلى ما كان عليه من الطهر، و النزاهة، و الخلوص ..

فإن على الناس كلهم أن لا يتخذوا الدخول إليه و الخروج منه سنة، أو عادة و طريقه .. و أن لا يجعلوا ذلك من موارد التنافس و التفاخر و التباهى، إذ المطلوب الأهم هو أن تحفظ قداسه البيت، و يصابن عزه، و تتأكد مكانته في النفوس، و عظمتة في القلوب. و اعتياد الدخول و الخروج إليه ربما يكون مضرا بهذا الهدف.

إزالة الصور من داخل الكعبة:

إن ملاحظه الروايات المتقدمه التي تتحدث عن إزالة الصور من داخل الكعبة تثير علامات استفهام كبيره حول حقيقه ما فعله عمر بن الخطاب في أمر الصور في داخل الكعبة، حين أمره النبي (صلى الله عليه وآله)

و آله) بمحوها.

فهل محاها حقا، أم أن الذي محاها هو أسامه، أم الفضل بن العباس!؟

و لو قبلنا: أن عمر قد امثل أمر النبي (صلى الله عليه و آله) و محا الصور، فلما ذا ترك صوره إبراهيم (عليه السلام) و هو يستقسم بالأزلام!؟

و قد حاول الحلبي أن يرفع التنافي بين الروايات، فقال: إن عمر محا الصور كلها باستثناء صورته إبراهيم، و إسماعيل، و مريم و الملائكة (١).

و أغرب من ذلك: أن نجد الزهري ينسب إبقاء صورته إبراهيم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) نفسه، فيقول: (لما دخل النبي (صلى الله عليه و آله) فرأى فيها صور الملائكة و غيرها، و رأى صورته إبراهيم (عليه السلام)، قال: قاتلهم الله، جعلوه شيئا يستقسم بالأزلام.

ثم رأى صورته مريم، فوضع يده عليها، ثم قال: امسحوا ما فيها من الصور إلا صورته إبراهيم (٢).

و السؤال هنا هو: إذا كان وجود الصور جائزا فما الحاجه إلى محوها؟

و إن كان حراما، فلما ذا ترك صورته إبراهيم (عليه السلام)؟!

و إن كان لا مانع من بقاء الصور لكنه لاحظ عنوانا ثانويا، و هو أنه يخشى من أن تدخل في اعتقادات الناس، و ينتهي الأمر بهم إلى نوع من الشرك في العباده، فذلك المحذور موجود من خلال إبقائه صورته إبراهيم (عليه السلام) أيضا.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٤.

و سؤال آخر، و هو: كيف أبقي صورته إبراهيم (عليه السلام) و هو يستقسم بالأزلام؟ مع أن ذلك أمر مكذوب على إبراهيم (عليه السلام)؟! و إذا كان قد أزال من الصورة الأشكال التي تشير إلى الإستقسام، فلما ذا لم يذكر لنا ذلك في التاريخ و الروايه؟!

و ثمة سؤال آخر أيضا، و هو: لماذا لم تبق صورته إبراهيم (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟ و من الذي أزالها من الكعبة؟! و لماذا لم يعترض المسلمون و علماء الأمة على من أبطل و أزال أمرا أبقاه رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!

و أما الجمع بين الروايات الذي قرره الحلبي، فهو لا ينفع شيئا، بعد أن كان أصل إبقاء الصور ممنوعا ..

على أن إزالته صور الأشخاص، و الملائكة، و غيرهم من ذوى الأرواح أولى من إزالته غيرها، لأن الناس يفتنون بصور الناس و الملائكة أكثر من فتنهم بصور الأشجار، و الأبنية، و الأواني و نحوها.

على أن مفتاح الكعبة قد كان مع بنى شيبه، و النبي (صلى الله عليه و آله) هو الذي أخذه، ففتحها و دخل، فما معنى قولهم: إنه أرسل عمر بن الخطاب ليمحو الصور من داخل الكعبة؟! فهل كان مع عمر مفتاح خاص به؟! أم أن بنى شيبه هم الذين فتحوا باب الكعبة؟!

إلا أن يقال: إن المراد: أن عمر قد دخل معه (صلى الله عليه و آله) إلى الكعبة فوكله بمحو تلك الصور، فمحاها و ترك صورته إبراهيم (عليه السلام).

و لكننا نقول:

إن هذا كلام غير صحيح، فقد ذكروا: أن النبي (صلى الله عليه و آله) و المسلمین قد اشتغلوا بمحو الصور بواسطة الماء الذى كانوا يأتون به من زمزم ..

يضاف إلى ذلك: أنهم ذكروا أسماء الذين دخلوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) إلى الكعبة، و ليس فيهم عمر بن الخطاب .. فما معنى حشر اسمه فى هذا المورد؟! إلا أن يكون الهدف هو ذر الرماد فى العيون، و نسبه فضيله إليه ليس له فيها نصيب.

التكبير فى زوايا الكعبة:

و التكبير فى زوايا الكعبة هو المناسب لموقعه الكعبة، و شأنها، و مقامها، و هو المنسجم مع الوظيفة التى تؤديها، و الدلالات التى تتكفل بها، فهى رمز التوحيد، و مثال حى لتعظيم الله تبارك و تعالى، و هى أهم موقع لتزيهه عن الأنداد و الشركاء، فكيف إذا كانت قد تعرضت للإهانة و للتدنيس بوضع الأصنام فيها، و رسم صور الأنبياء على جدرانها، و هم يستقسمون بالأزلام؟! افتراء من أولئك الكفرة على أقدس الناس فى أقدس مكان، و أفضل بقعه على وجه الأرض.

صلاة النبي صلى الله عليه و آله فى داخل الكعبة:

إن الروايات المتقدمة: متناقضة فيما بينها، فقد دلت طائفة منها على أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد صلى فى داخل الكعبة ركعتين، و فى بعضها:

أنه (صلى الله عليه و آله) لم يصل فيها.

كما أن هناك اختلافات في نفس دخول النبي (صلى الله عليه وآله) إليها، فقد زعموا: أنه (صلى الله عليه وآله) دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات: يوم الفتح، يوم ثاني الفتح، وفي حجه الوداع، وفي عمره القضاء.

و في كل هذه الدخولات خلاف، إلا الدخول الذي كان يوم فتح مكة (١).

وقالوا: إن سبب الاختلاف في صلاته داخل الكعبة هو: تعدد دخوله إليها، حيث صلى في بعضها، و لم يصل في بعضها الآخر (٢).

و نقول:

لكن ظاهر النصوص هو: أنها تتحدث عن الدخول الأول إلى الكعبة الشريفه، و هو الذي كان محط أنظار الرواه، و نقله الأخبار.

و حول الصلاه في داخل الكعبة نقول:

إنهم يقولون: أن المراد بالصلاه هو الدعاء (٣).

و الجواب: أن التعبير: بأنه صلى ركعتين، في الروايه التي تقول عن بلال: (ذهب عنى أن أسأله كم صلى) تكذب هذا الإحتمال (٤).

ثم إننا نقول:

إن هذه الإختلافات، خصوصا إذا كانت في أمور التشريع، تحتاج إلى حسم الأمور فيها بصوره تقطع العذر، و تزيل الشبهه. و لا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى أئمه الهدى و مصابيح الدجى، فقد روى الشيخ (رحمه الله) عن

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٨٧.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق.

الطاطرى، عن محمد بن أبى حمزه، عن معاويه بن عمار، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال:

(سمعتة يقول: لا تصلّ المكتوبه فى جوف الكعبه، فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يدخلها فى حج و لا عمره، و لكن دخلها فى فتح مكه، فصلّى فيها ركعتين بين العمودين، و معه أسامه) (١).

سؤال .. و جوابه:

قد يقال: إذا كان (صلى الله عليه و آله) قد دخل الكعبه يوم عمره القضاء، فماذا كان موقفه من الأصنام التى كانت بداخلها؟! هل أزالها؟! أم تركها؟! و هل يجوز له ترك الأصنام فى الكعبه؟!

و يمكن أن يجاب: بأن المفروض: هو أن لا- يتعرض لها فى عمره القضاء، كما لم يتعرض للأصنام التى كانت فى المسجد، و على الكعبه، لأن أى تعرض لها لابد من أن يعتبره المشركون نقضا للعهد. و سيعطى المبرر لقريش للتشنيع عليه، و إسقاط مصداقيته بين الناس. فلا بد من أن تترك الأمور إلى الوقت المناسب، و حيث لا يبقى لقريش أى ذريعه.

أبو بكر و عمر لم يدخلوا الكعبه:

و قد صرحت الروايات بأسماء الذين دخلوا الكعبه، و أسماء الذين

١- البحار ج ٢١ ص ١٣٦ و ١٣٢ و ١٣٣ عن تهذيب الأحكام للطوسى ج ١ ص ٢٤٥ و عن إعلام الورى، و عن المناقب لابن شهر آشوب. و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٣.

حطموا الأصنام على ظهر الكعبة، و فى المسجد الحرام، و لم نجد لأبى بكر و لا لعمر ذكرا، لا مع هؤلاء، و لا مع أولئك. فأين كان هذان الرجلان فى هذه اللحظات الحساسه؟!

و ما الذى منعهما من المشاركة فى هذا الأمر الجليل؟! هل كانا لا يرغبان فى خدش مشاعر قومهما فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم أنهما كانا يؤديان واجبا آخر؟!

إننا لو سألنا عن على بن أبى طالب لقليل لنا: إنه كان يلاحق المشركين الذين أهدر النبى (صلى الله عليه و آله) دمهم، لينفذ فيهم حكم الله تعالى، و قد تمكن من قتل بعضهم ممتثلا بذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) .. و هو لم يرع فيهم أخته أم هانى ..

أو يقال لنا: إنه حامل رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قائد جيوشه، فالمفروض أن يكون منشغلا بتسيير أمر ذلك الجيش العرمم.

أو يقال لنا: إنه كان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قد أصدده (صلى الله عليه و آله) على كتفيه إلى ظهر الكعبة ليحطم الأصنام عليها، و قد فعل ذلك ..

و لكن لو سألنا عن أبى بكر و عمر أين هما؟ فما هو الجواب الذى يمكن أن نتوقعه منهما، و عنهما؟!

و لماذا غابا عن الأنظار فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم تراهما قد ذهبا لتفقد الأهل و العشيره، و المنازل و الرباع؟!

أو أنهما يتجاذبان أطراف الحديث مع الخلان و الإخوان؟!

لا ندرى!!

فإن التاريخ لم يفصح لنا عن شيء في هذا المجال .. إما خيانه منه!! أو عجزا، و فشلا!! و كلاهما غير مرضي له، و لا مقبول منه.

لا نريد الحديث عن التناقضات:

و قد أشرنا في مناسبات عديدة: إلى أن التناقض فيما بين الروايات يدل على أن واحده منها هي الصحيحه في مورد الإختلاف، و يحكم على سائرهما بالخطأ أو الكذب في نفس ذلك المورد.

مع احتمال: أن يكون الجميع مكذوبا، أو مخطئا، و الصحيح شيء آخر.

و لكن الحكم على مورد الإختلاف بالخطأ، أو الكذب، كلا أو بعضا لا يعنى أن سائر الفقرات كذلك، لجواز أن تكون صحيحه أيضا.

أى أن سقوط فقره من الروايه عن الحجيه، لا يعنى سقوط سائر فقراتها عنها ..

و لأجل وضوح هذا الأمر، و تكرر ذكرنا له في الموارد المختلفه، آثرنا أن نعتمد من الآن فصاعدا على وعى القارئ لهذه الحقيقه، و نكل إليه أمر رصد تلك التناقضات و الإختلافات، ثم التعامل معها بصوره صحيحه و واقعيه.

هذا تأويل رؤياي:

تحدثنا في جزء سابق: عن أن النبي (صلى الله عليه و آله)- كما ورد في القرآن الكريم- كان في عام الحديبيه قد أخبر أصحابه بأنه رأى رؤيا مفادها: أن المسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين .. ثم سار بهم نحو مكه، فصددهم المشركون في ذلك العام، و كان عهد الحديبيه، فثارت

ثأثره كثر من أصحابه (صلى الله عليه وآله)، و كان أشدهم عمر بن الخطاب.

ثم كانت عمره القضاء التى دخل المسلمون فيها إلى المسجد الحرام محلقين، قال تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤْسَيْكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (١)

و لعل المسلمين قد اعتبروا ما جرى فى عمره القضاء هو تأويل تلك الرؤيا (٢).

و لكن الروايه المتقدمه عن الإمام الصادق (عليه السلام) تقول: إن النبي (صلى الله عليه وآله) حين تسلّم مفتاح الكعبه فى فتح مكه، دعا عمر بن الخطاب، و قال له: (هذا تأويل رؤياى).

فاللأفت هنا:

أولاً:

دعوته (صلى الله عليه وآله) خصوص عمر بن الخطاب، دون كل من عداه، لىسمعه هذا القول .. مما يعنى: أن عمر بن الخطاب كان لا يزال يشكك فى صدق رؤيا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع أن رؤياه (صلى الله عليه وآله) من الوحي.

ثانياً: إن الأمن الحقيقى فى مكه قد حصل يوم الفتح، و بلغ ذروته حين

١- الآيه ٢٧ من سوره الفتح.

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٨٠ و ٨١ عن ابن مردويه، و ابن جرير، و عن ابن أبى شيبه.

تسلم (صلى الله عليه وآله) مفتاح الكعبة، الذى يشير إلى انتهاء كل شىء واستسلام عتاه المشركين، وقريش بالذات. ثم جاءت حجة الوداع فدخل المسلمون إلى مكة آمنين أمنا حقيقيا، لا شبهه فيه، وكانوا محلقيين رؤوسهم ومقصرين.

عثمان بن طلحه فى فتح مكة:

تقدم أنهم زعموا: أن عثمان بن طلحه أسلم بالمدينة مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وبقى فيها إلى أن جاء مع النبى (صلى الله عليه وآله) إلى مكة يوم الفتح (١).

ولكن الروايات المتقدمة قد تناقضت فى بيانها لموقف عثمان بن طلحه، حتى لقد نسب إليه بعضها: أنه رفض تسليم المفتاح، و قال: لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه.

فإن كان حقا قد أسلم قبل ذلك، فهذا ارتداد صريح كما قاله ابن ظفر فى ينبوع الحياه (٢).

على أن بعض الروايات المتقدمة قد صرحت: بأنه إنما أسلم حين أرجع على (عليه السلام) المفتاح إليه برفق.

ولعل ملاحظه الروايات المتقدمة و سواها تعطى: أن ثمة خلطا بين عثمان بن طلحه، وبين شبيهه بن طلحه، فلعل المفتاح كان عند شبيهه أولا، فرفض إعطائه للنبى (صلى الله عليه وآله)، ثم أودعه عند أمه سلافه، ثم

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٨ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و ١٠٠.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧.

أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) عثمان بن طلحة فأخذه منها، بعد أن جرى معها له ما جرى.

و سيأتي قولهم: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أعطى المفتاح إلى عثمان ..

و يصرح البعض: بأن عثمان دفعه إلى أخيه شبيهه، فهي في ولده إلى اليوم (١).

آيه: أداء الأمانات إلى أهلها:

و قد زعمت بعض الروايات المتقدمة: أنه لما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (٢) أرسل (صلى الله عليه وآله) المفتاح إليهم مع علي (عليه السلام)، و أمره أن يدفعه إلى عثمان بن طلحة متلطفًا، فأخذه منه، و أسلم ..

و سيأتي بعد إيراد خطبه النبي (صلى الله عليه وآله) الشهيرة على باب الكعبة، بيان بعض ما فيها من إشارات و دلالات ترتبط بجعل حجاب البيت و إعطاء المفتاح لبني شبيهه، و سنتحدث إن شاء الله عن شأن نزول هذه الآية أيضا هناك، فانتظر.

لمن هذا التهديد!؟:

إن قوله في روايه بشر النبال عن الإمام الصادق (عليه السلام): لترسلن

١- شرح بهجه المحافل للأشعر اليمنى ج ١ ص ٤٠٩ عن ابن كثير.

٢- الآية ٥٨ من سوره النساء.

به (يعنى المفتاح) أو لأقتلنك، إن كان من كلام النبى (صلى الله عليه و آله) يهدد به شبيهه، فلا بد من الإجابة على سؤال:

ما معنى هذا التهديد من النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) لعثمان بالقتل فى حين أن أمه هى التى امتنعت عن تسليم مفتاح الكعبة إليه، و قد قال الله تعالى: **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى؟**.

و قد يجاب عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون المفتاح بيد شبيهه، ثم أودعه عند أمه، فى محاوله منه للضغط الهادف إلى الإحتفاظ بهذه المكرمه، فيصح تهديده، باعتبار أنه هو المسؤول عن أمر المفتاح.

و لكن هذا الجواب إنما يصح لو أن شبيهه الذى كان لا يزال على شركه هو صاحب المفتاح، أما إن كان صاحبه و المسؤول عنه هو أخوه عثمان الذى كان قد أسلم قبل ذلك التاريخ، فلا يصح تهديده بالقتل إلا إذا كان امتناعه عن تسليم المفتاح قد بلغ حد التمرد على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الإرتداد عن الدين.

و إن كانت عبارته التهديد المتقدمه قد صدرت عن شبيهه أو عثمان نفسه، فى مواجهه أمه سلافه .. فلا يرد إلا إشكال من ناحيه عصيان أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بل يصبح الإشكال أخلاقيا، كما هو ظاهر.

غير أننا نرجح: أن الروايه: تتحدث عن تهديد صادر من رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى ولدها .. كما هو ظاهر سياق الكلام.

و يؤيده: أن روايه أخرى - تقدمت أيضا - قد ذكرت: أن عثمان بن طلحه قد قال لأمه: (إن لم تفعلنى قتلت أنا و أخى؛ فأنت قتلتنا).

كما أننا نرجح: أن يكون على (عليه السلام) هو الذى أخذ المفتاح من

عثمان بن طلحه بالقوه و القهر، و أن حديث إسلام عثمان هذا قبل ذلك في المدينة، مع عمرو بن العاص، و خالد بن الوليد، موهون في أكثر من جهه و سبب حسبما أوضحناه في موضعه، و لتكن هذه الروايات الداله على تمرده على رسول الله (صلى الله عليه و آله) من دلائل و هن هذه المزاعم ..

ص: ٢٤٦

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه

اشاره

خطبه الرسول صلى الله عليه وآله في مكة:

لقد خطب النبي (صلى الله عليه وآله) خطبه هامه بمجرد خروجه من الكعبه أعزها الله تعالى، فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

(فتح باب الكعبه، فأمر بصور في الكعبه فطمست، ثم أخذ بعضادتي الباب، فقال: الخ ..) (١).

و زعموا: أن خالد بن الوليد في هذه الحال كان على باب الكعبه يذب عنه (صلى الله عليه وآله) الناس (٢).

و قالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما خرج من البيت استكف له الناس، و أشرف على الناس حول الكعبه و هم جلوس، فقام على بابه فقال:

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده).

و في نص آخر أنه قال: (الحمد لله الذي صدق وعده). ثم اتفقوا (و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ذا تقولون؟ ماذا

١- البحار ج ٢١ ص ١٣٥ عن الكافي ج ١ ص ٢٢٧.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩ عن تاريخ مكة للأزرقى.

تظنون (أنى فاعل بكم؟

فقال سهيل بن عمرو:؟(١).

قالوا: نقول خيرا، و نظن خيرا. نبى كريم، و أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (فإنى أقول كما قال أخى يوسف: لا- تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٢)).

إذهبوا فأنتم الطلقاء).

فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا فى الإسلام.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (ألا إن كل ربا فى الجاهليه أو دم أو مآثره أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين، و أول دم أضعه دم ربيعه بن الحارث، إلا سدانه البيت، و سقايه الحاج (فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

ألا و فى قتيل العصا و السوط و الخطأ شبه العمد الديه مغلظه، مائه ناقه، منها أربعون فى بطونها أولادها.

ألا و إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوه الجاهليه، و تكبرها بأبائها، كلكم لآدم و آدم من تراب) (٣).

ثم تلا هذه الآيه: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

١- هذه الفقرة فى: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و البحار ج ٢١ ص ١٣٢ عن إعلام الورى.

٢- الآيه ٩٢ من سوره يوسف.

٣- راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٩ ص ١١٨.

(يا أيها الناس!! الناس رجلان، فبر تقى كريم، و كافر شقى هين على الله.

ألا- إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، و وضع هذين الأخشين، فهي حرام بحرام الله، لم تحل لأحد كان قبلي، و لن تحل لأحد كائن بعدى، لم تحل لى إلا ساعه من نهار- يقصرها (صلى الله عليه و آله) بيده هكذا- و لا ينفر صيدها، و لا يعضد عضاهاها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد، و لا يختلى خلاها).

فقال العباس، و كان شيخا مجربا: إلا الإذخر يا رسول الله، فإنه لا بد لنا منه للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول الله (صلى الله عليه و آله) ساعه ثم قال: (إلا الإذخر فإنه حلال.

و لا وصيه لوارث، و إن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و لا يحل لامرأه أن تعطى من مال زوجها إلا بإذن زوجها، و المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوه، و المسلمون يد واحده على من سواهم، تتكافأ دماءهم، و هم يردّ عليهم أقصاهم، و يعقل عليهم أذناهم، و مشدّهم على مضعفهم، و مثيرهم على قاعدتهم، و لا يقتل مسلم بكافر، و لا ذو عهد فى عهده، و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، و لا جلب و لا جنب.

و لا تؤخذ صدقات المسلمين إلا فى بيوتهم و بأفئتهم، و لا تنكح المرأه

على عمتها ولا على خالتها. و البينه على من ادعى، و اليمين على من أنكر، و لا تسافر امرأه مسيره ثلاث إلا مع ذى محرم، و لا صلاه بعد العصر، و بعد الصبح، و أنها كم عن صيام يومين: يوم الأضحى، و يوم الفطر، و عن لبستين ألا يحتبى أحدكم فى ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء، و ألا يشتمل الصماء).

فقام رجل فقال: يا رسول الله، إني قد عاهرت فى الجاهليه.

فقال: (من عاهر بامرأه لا يملكها، أو أمه قوم آخرين لا يملكها، ثم ادعى ولده بعد ذلك فإنه لا يجوز له، و لا يرث و لا يورث، و لا إخالكم إلا قد عرفتموها.

يا معشر المسلمين كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه).

فخبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

ثم قال لهم: (كفوا السلاح).

فقام أبو شاه، فقال: اكتب لى يا رسول الله.

فقال: (اكتبوا لأبى شاه).

أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم (١). ك.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٢ و ٢٤٣، و قال: أخرجه البخارى (٢٤٣٤)، و مسلم فى الحج (٤٤٧، ٤٤٨)، و أبو داود (٢٠١٧) (٣٦٤٩، ٤٥٠٥) و الترمذى (٢٦٦٧) و أحمد ٢/ ٢٣٨ و البيهقى ٨/ ٥٢ و الدار قطنى ٣/ ٩٧. و ذكر الصالحى الشامى: أن رواه الخطبه المشار إليها هم: الإمام أحمد، و أبو داود، و النسائى، و ابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، و البخارى فى صحيحه عن مجاهد. و ابن أبى شيبه .. و ابن إسحاق عن صفيه بنت شيبه، و البيهقى عن عبد الله بن عمر، و ابن أبى شيبه عن عبد الله بن عبيده. و واضح: أن نصوص الخطبه تتفاوت، من حيث الإختصار و التطويل، و التقديم، و التأخير، و اختلافات أخرى. و كيف كان فهى موجوده فى المصادر التاليه: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٨ و البحار ج ٢١ ص ١٣٢ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٠٥ و ١٠٦ و الكافى ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٣٢٨ و عن صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٨٨ و ٩٨٩ و عن صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩ و ج ٣ ص ١٦٥ و ج ٤ ص ١٢٧ و ج ٥ ص ١٩٤ و ج ٩ ص ٦ و ١٧ و مجمع البيان ج ١ ص ٢٠٦ و ج ١٠ ص ٥٥٧ عن إعلام الورى، و سنن أبى داود ج ٢ ص ٢١٢ و ج ٣ ص ٣١٩ و ج ٤ ص ١٧٢ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٣٩ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٥٩ و ج ٢ ص ٢٣٨ و مقدمه ابن الصلاح ص ١٧٠ و معالم السنن ج ٤ ص ١٨٤ و جامع بيان العلم ج ٢ ص ٨٤ و تدريب الراوى ج ٢ ص ٦٦ و السنه قبل التدوين ص ٣٠٥ عن فتح البارى ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٤ و ٢١٧ و ج ٥ ص ٦٣ و ج ١٢ ص ١٨١-١٨٣ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٢٤٩ و معادن الجواهر ج ١ ص ١٠ و المحدث الفاصل ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و إرشاد السارى ج ١ ص ١٦٨

و عمده القارى ج ١ ص ٥٦٧ و ج ٢ ص ١٦٣ و ج ١٢ ص ٢٧٥ و ج ٢٤ ص ٤٢ و أسد الغابه ج ٢ ص ٣٨٤ و ج ٥ ص ٢٢٤ و تيسير الوصول ج ٣ ص ١٧٦ و صحائف الصحابه ص ٣١ و الفقيه و المتفقه ج ١ ص ٩١ و سنن الدار قطنى ج ٣ ص ٩٧ و تدوين السنه ص ٨٨ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ١٤ ص ٤٩٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ و ٨٥ و ٩٠ و تهذيب الآثار ج ١ ص ٢٥٥ و رسالات نبويه ص ٥٣ و الدر المنثور ج ١ ص ١٢٢ و فتوح البلدان للبلاذرى ص ٥٧ و معجم البلدان ج ٥ ص ١٨٣ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠٣٨ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٩ و السنن الكبرى لليهقى ج ٨ ص ٥٢ و الإصابه ج ٢ ص ١٣٥ و ج ٤ ص ١٠ و الكفايه للخطيب ص ٥٣ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠ و أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٠٦ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٧ ص ٢٨١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١٦٦ و ١٨٥ و ٢٠٣ و الإستيعاب ج ٤ ص ١٠٦ و التاج الجامع للأصول ج ٢ ص ١٧٢ و الفتح الربانى ج ٢٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣٠٤ و مدينه البلاغه ج ١ ص ٧٢ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و جامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ١٠٢ و الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١١٨ و شرح المواهب اللدنيه للزرقانى ج ٢ ص ٣٢٧ و غير ذلك.

و فى نص آخر أنه قال: إن الله تبارك و تعالى حبس عن مكة الفيل، و سلط عليها رسوله و المؤمنين، و إنها لا تحل لأحد كان قبلى، و إنما أحلت لى ساعه من نهار، و إنها لا تحل لأحد بعدى .. فقام أبو شاه رجل من اليمن الخ .. (١).

نص آخر للخطبه:

و ذكر الشيخ الطبرسى (رحمه الله) نصا آخر للخطبه، و هو التالى: لما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة دخل صناديد قريش الكعبه، و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم، فأتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و وقف قائما على باب الكعبه، فقال:

(لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده،

ألا إن كل مال و مأثره و دم يدعى تحت قدمى هاتين، إلا سدانه الكعبه،

و سقايه الحاج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما.

ألا- إن مكة محرمه بتحريم الله، لم تحل لأحد كان قبلي، و لم تحل لى إلا ساعه من نهار. و هى محرمه إلى أن تقوم الساعه، لا يختلى خلاها، و لا يقطع شجرها، و لا ينفر صيدها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد).

ثم قال: (ألا- لبئس جيران النبى كنتم، لقد كذبتكم، و طردتم، و أخرجتم، و آذيتكم، ثم ما رضيتم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلونى!! الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ٢٥٣ نص آخر للخطبه: ص : ٢٥٢

اذهبوا فأنتم الطلقاء).

فيخرج القوم، فكأنما أنشروا من القبور، و دخلوا فى الإسلام، و قد كان الله سبحانه أمكنه من رقابهم عنوه، و كانوا له فيئا، فلذلك سَمى أهل مكة الطلقاء (١).

عن ابن رثاب، عن أبى عبيده قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة قام على الصفا، فقال:

(يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، و إني شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمدا منا، فوالله ما أوليائى منكم و لا من غيركم إلا المتقون، فلا أعرفكم تأتونى يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم، و يأتى الناس يحملون الآخره، ألا و إني قد أعذرت فيما بينى و بينكم، و فيما بين الله عز و جل و بينكم، و إن لى عملى و لكم عملكم) (٢).

١- البحار ج ٢١ ص ١٠٥ و ١٠٦ و ١٣٢ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ عن إعلام الورى.

٢- البحار ج ٢١ ص ١١١ عن كتاب صفات الشيعة للصدوق ص ٤.

وقفات مع الخطبه الشريفه:

إن هذه الخطبه الشريفه تحتاج إلى دراسه متأنيه لاستكناه معانيها، و الوقوف على مراميها، و لعل بيان ذلك يفرض إفراد كتاب مستقل، و يستغرق وقتا طويلا، و يحتاج إلى جهد مضمّن، يبذله أناس أكفاء، و متمرسون أفذاذ ..

فماذا عسانا نقدم فى هذه النظره العابره و المحدوده، و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .. فتلك هى بعض اللمحات المختاره من هذا الروض الفواح بالأطياب .. و الزاخر بالمعاني العذاب، كأنها الشهد المذاب ..

و سنذكر هذه اللمحات اليسيره فى فقرات تبين وجهتها عناوين نختارها لها، و هى التاليه:

عتقهم دليل فتح مكه عنوه:

علق الديار بكرى على قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأهل مكه:

إذهبوا، فأنتم الطلقاء، فقال:

(فأعتقهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قد كان الله أمكنه من رقابهم عنوه، فلذلك تسمى أهل مكه (الطلاقاء) أى الذين أطلقوا، فلم يسترقوا، و لم يؤسروا، و الطليق هو الأسير إذا أطلق) (١).

و كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر فى فصل سابق، و قلنا: إن هذه الكلمه من أدله فتح مكه عنوه، لا صلحا .. فلا بأس بمراجعته ما ذكرناه هناك ..

الطلاق .. والخلافه:

إنه لا ريب في أن الإمامه شأن إلهي وقرار رباني، لا خيار لأحد فيه، وهي تثبت بالنص القاطع للعذر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن السياسه الإلهيه قد قضت بوضع معايير، و حدود، و ضوابط، و قيود، من شأنها أن تسقط أى تعلل، و ترد أية شبهه، حتى حينما يحاصر الطامعون و الحاقدون النص بحرابهم، و سيوفهم، أو يثيرون حوله الشبهات و الأقاويل، و ينسجون حوله الترهات و الأباطيل.

و قد صرحت النصوص بكثير من الأمور التي حددها للناس أمين الله على وحيه، و عزائم أمره، و من هذه الأمور:

أن الطلقاء لا يحق لهم الاضطلاع بأمر الإمامه ..

و يبدو أن هذا الأمر كان متسالما عليه لدى السلف، فقد روى عن عمر بن الخطاب: أنه اعترف بذلك، و أنه قال:

هذا الأمر في أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم في أهل أحد، ثم في كذا و كذا، و ليس لطلق و لا لولد طليق، و لا لمسلمه الفتح شىء (١).

و قال أيضا: (إن هذا الأمر لا يصلح للطلاق، و لا لأبناء الطلقاء) (٢).

و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب له إلى معاويه: (و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافه، و لا تعقد معهم الإمامه، و لا يدخلون

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٤٢ و أسد الغابه ج ٤ ص ٣٨٧ و فتح البارى ج ١٣ ص ٢٠٧.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٣٠٥.

في الشورى) (١).

و كتب ابن عباس لمعاوية: (ما أنت و ذكر الخلافه؟! و إنما أنت طليق و ابن طليق. و الخلافه للمهاجرين الأولين، و ليس الطلقاء منها في شيء).

و في نص آخر: ما أنت و الخلافه، و أنت طليق الإسلام الخ .. (٢).

و قال ابن عباس لأبي موسى: (اعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام) (٣).

و كتب المسور بن مخرمه إلى معاوية أيضا: (و ما أنت و الخلافه يا معاوية، و أنت طليق، و أبوك من الأحزاب) (٤).

و هذا المعنى بالذات روى عن سعه بن عريض في كلام له مع معاوية (٥).

و نفس هذا المضمون قاله صعصعه بن صوحان لمعاوية (٦).

و جاء في كلام لعبد الرحمن بن غنم الأشعري الصحابي، يعاتب فيه أبا هريره، و أبا الدرداء قوله: (و أي مدخل لمعاوية في الشورى، و هو من

١- الإمامه و السياسه ج ١ ص ٨٥ و (في طبعه) ٧١ و (في أخرى) ٨١ و العقد الفريد ج ٤ ص ١٣٦ و نهج البلاغه ج ٢ ص ٥ و

شرح نهج البلاغه للمعتزلي ج ٣ ص ٧٦ و ج ١٤ ص ٣٦.

٢- راجع: الإمامه و السياسه ج ١ ص ١٠٠ و (في طبعه أخرى) ٨٥ و (في طبعه ثالثه) ٩٧ و شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٦٦.

٣- شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٤٦.

٤- الإمامه و السياسه ج ١ ص ٩٨ و (في طبعه أخرى) ٧٥ و (في طبعه ثالثه) ٨٥.

٥- الغدير ج ١٠ ص ٣١.

٦- مروج الذهب ج ٣ ص ٥٢.

الطلاق الذين لا تجوز لهم الخلافه)؟! (١).

تعظيم بيت الله:

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الكعبه و مكة حرما آمنا. و لكن هل حصل ذلك بدعاء إبراهيم حينما قال: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا؟! (٢).

و في آيه أخرى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (٣).

مع ملاحظه: أن الآيه الثانيه تشير إلى أن هذا الدعاء قد كان بعد صيروره مكة بلدا، و أما الآيه الأولى، فليس فيها دلالة على ذلك، بل هي تتلاءم مع ما قبل صيروره مكة بلدا، و مع ما بعد صيرورتها بلدا.

و لكن ثمه ما يدل: على أن إبراهيم قد دعا بذلك مرتين، و في زمانين مختلفين، كما ربما يظهر من كلام العلامة الطباطبائي و غيره (٤).

إذ ليس ثمه ما يحتم أن يكون إبراهيم يطلب من الله تشريع الأمن لمكة، و أن يجعلها حرما، ثم يلتزم الناس بأوامره سبحانه، لتنشأ عن ذلك حاله الأمن لها .. إذ لعله كان يطلب حصول الأمن الخارجى لذلك البلد و المنع من تعرضها للنكبات على أيدي الجبارين، و أن يوجد حرمة و هيبة لها في نفوس الناس تردعهم عن التعرض لها بسوء، إذ لو كان (عليه السلام) يطلب أمرا تشريعا لكان ذلك البلد قبل إبراهيم كسائر البلاد، مع أن ثمه ما يدل على أنها

١- الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٢ و أسد الغابه ج ٣ ص ٣١٨.

٢- الآيه ١٢٦ من سوره البقره.

٣- الآيه ٣٥ من سوره إبراهيم.

٤- تفسير الميزان ج ١٢ ص ٦٨ و ٦٩ و التفسير الكبير للرازي ج ٤ ص ٥٥.

كانت حراما أيضا قبل ذلك، فقد ورد في خطبه الرسول (صلى الله عليه و آله) المتقدمه فى فتح مكه: أن الله قد (حرّم مكة يوم خلق السماوات و الأرض، فهى حرام إلى أن تقوم الساعه، لم تحل لأحد قبلى، و لا تحل لأحد بعدى) (١). فراجع.

و يؤيد ذلك، بل يدل عليه: أن إبراهيم (عليه السلام) قد وصف البيت ب (المحرم) بمجرد إسكانه لذريته فى تلك البقعه، فقال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .. (٢).

و من الواضح: أن إبراهيم على نبينا و آله و عليه الصلاه و السلام لم يؤسس البيت، بل رفع قواعده، و قد تقدم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب:

أن البيت قد وضع من لدن آدم (عليه السلام) و هو البيت العتيق، و هو أول بيت وضع للناس، كما دلت عليه الآيات الكريمة.

كلكم لآدم، و آدم من تراب:

و قد ظهر من خلال تلك الخطبه: أن النبى (صلى الله عليه و آله) يعالج أدواء كان يراها رأى العين فى الناس، و يعرف ما لها من آثار سلبية على حياتهم، و على علاقاتهم، و طريقه تعاملهم مع بعضهم، و على روحياتهم ..

و من ذلك ظاهره الطبقيه و التمييز على أسس قبائليه، و عرقيه، و غير ذلك ..

فذكّرهم بأصلهم الأصيل، الذى يعطى الدليل الصريح و الصحيح على عدم وجود تمييز بين الناس فالأصل هو آدم، و أصل آدم هو التراب.

١- راجع نص خطبه النبى (صلى الله عليه و آله) فى مكة فى المصادر المختلفه المتقدمه.

٢- الآية ٣٧ من سوره إبراهيم.

فإن حصل تمييز من أى نوع، فلا بد أن يكون بأمور عارضه اختارها الإنسان و صنعها، و أما القبائل و الشعوب، فلم يكن لأحد فى صيرورتها كذلك أى اختيار، بل هى فعل إلهى، فما معنى: أن يدعى الناس لأنفسهم امتيازات استنادا إلى أمر لم يختاروه، و لا بذلوا أى جهد فى سبيل الحصول عليه؟!

و لذلك يلاحظ: أنه بعد أن قال (صلى الله عليه و آله): كلكم لآدم و آدم من تراب ثنى بذكر الآية الكريمة، التى تقول: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١). فقد صرح بأن الإختلاف فى الشعوب و القبائل هو من صنع الله تعالى، موضحا: أنه سبحانه إنما جعل فيهم هذه الخصوصيات من أجل أن يستفيد بعضهم من بعض، و يكتسبوا من هذا التنوع معرفه إلى معارفهم .. و يكون ذلك سببا فى إنشاء العلاقات، و إقرار الروابط المفيدة، و الرشيدة .. و لم يجعل ذلك سببا للتفاخر و التعالى، و الانفصال و التباعد.

ثم يبين أن التفاضل إنما هو بتقوى الله تبارك و تعالى حين قال سبحانه:

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

السلاح فى مكة فى عام الفيل و يوم الفتح:

و قد ورد فى كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما يلى: (إن الله تعالى حبس الفيل، و سلط عليهم (أو عليها)، رسوله و المؤمنين ..) (٢).

١- الآية ١٣ من سوره الحجرات.

٢- راجع: المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٤٩٧ و صحيح ابن حبان ج ٩ ص ٢٨ و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص ٢٣٢.

و قد تقدمت في غزوه الحديبيه بعض الإشارات إلى بعض ما تضمنته قصه حبس الفيل من دلالات و عبر فراجع ما ذكرناه هناك، حين التعرض لقوله (صلى الله عليه و آله) عن ناقته: (حبسها حابس الفيل).

غير أننا نشير هنا: إلى أن ما ورد في هذه الخطبه، حول نفس هذا الأمر، قد أريد به لفت النظر إلى أمر مهم، و هو:

أن دخوله (صلى الله عليه و آله) مكة بالسلاح، و بدون إحرام، و على هيئه القتال، ليس على حد دخول أبرهه الذى جاء للعدوان على بيت الله، و هتك حرمة الحرم، إذ ليس كل دخول لمكة بالسلاح هتك لحرمتها، أو مناف لما يدعوهم الله إليه من تعظيمها، إذ لو كان كذلك لتدخل الله تبارك و تعالى لمنعه (صلى الله عليه و آله) من ذلك، كما تدخل لمنع أبرهه و جيشه منه، حيث حبس الفيل عن مكة، ليكون آيه للمعتدين، و عبره للمعتبرين، فلما اصرروا على هتك حرمتها، و لم يعودوا إلى الله، و لم يتوبوا إليه، أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجاره من سجيل فجعلهم كعصف ماكول.

و ذلك يدل و شواهد كثيره أخرى على: أن دخول النبي (صلى الله عليه و آله) و المسلمين كان دخول تعظيم للحرم و دفاع عن مكة و الكعبه. و ليس دخول إهانته أو استهانته ..

و حمل السلاح إنما هو من أجل رفع الحيف عن مكة و عن البيت، و إبعاد مظاهر الشرك، الذى هو أعظم مظاهر الإهانته، و تطهيرها من الظلم و العدوان، و إخراجها من أيدي العتاه و المستكبرين.

و الخلاصه: أن تسليط المسلمين على مكة، إنما هو لإعزازها، و إعزاز الكعبه، و لإحقاق الحق، و إبطال الباطل، و اقتلاع الشرك و الوثنيه، و إعلاء

كلمه الله تعالى، و نشر التوحيد، و توجيه الناس إلى عباده الله.

أما أهداف أصحاب الفيل، فهي أهداف شريره و باطله، و هي إطفاء نور الله، و ترسيخ قواعد الباطل و الشرك و الوثنيه.

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!:

قال العلامة الأحمدي (رحمه الله تعالى) حول قوله (صلى الله عليه و آله) في خطبته لا ينفر صيدها، و لا يختلى شوكها، ما يلي:

(هذه الجمل بيان لأخفى ما يحرم من مكه و أدنى ما هو حرام، لأنها حرم، فيحرم شوكها و لقطتها، و يحرم نفر الحيوان البرى الذى يصاد فى غيرها؛ ليعلم من ذلك حرمه الباقي.

فإنه إذا حرم الشوك الذى لا نفع فيه إلا الإحراق حرم ما سواه بالأولويه.

و إذا حرم نفر الحيوان البرى يعلم منه حرمه جرحه، و قتله، و أخذه و ..

و قتل الإنسان، و إخافته، و إزعاجه.

و إذا حرم لقطتها، حرم أموال الناس بأى نحو أخذت إلا برضا صاحبها، و إذا كانت أموال الناس حراما فى غير هذه البلده، كانت حرمتها فيها أشد و أكد (١). و هذا كلام سديد رحم الله قائله، و حشره مع محمد و آله الطاهرين.

الإعلان الأول: التوحيد:

إن أول إعلان أطلقه (صلى الله عليه وآله) في خطبته الأولى في مكة هو التوحيد، ورفض الشرك لله تعالى فقال (صلى الله عليه وآله): (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

والتوحيد هو غاية الغايات، وأساس الكمالات، و منشأ السعادات، شرط أن يكون حقيقياً، و تاماً، و راسخاً، و شاملاً لكل مناحي الحياة، في الفكر، و في القول، و في العمل، فلا يوحد الله بالقول، ثم تكون شهوته و نفسه، أو ولده، أو زوجته، أو زعيمه، أو أى شىء آخر هو الذى يتحكم بقراراته، و يهيمن على مواقفه، و على حركته فى الحياة ..

و لا يكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١)**.

لك بها دار فى الجنة:

و يقولون: إنه حين فرغ (صلى الله عليه وآله) من خطبته قام أبو أحمد، عبد الله بن جحش على جمل له على باب المسجد، و هو يصيح: أنشد بالله يا بنى عبد مناف حلفى، و أنشد بالله يا بنى عبد مناف دارى.

فدعا النبى (صلى الله عليه وآله) عثمان بن عفان فأسر إليه بشىء، فذهب عثمان إلى أبى أحمد فسارّه، فنزل أبو أحمد عن بعيره، و جلس مع القوم.

فما يسمع أبو أحمد ذاكرها حتى لقي الله تعالى.

و كان أبو أحمد قد حالف بني حرب بن أميه. و كان أبو سفيان قد باع دار أبي أحمد بأربع مائه دينار، فثارت ثأثره أبي أحمد، و قال أبياتا يلوم فيها أبا سفيان.

فقال له النبي (صلى الله عليه و آله): لك بها دار فى الجنة (١).

و نقول:

أولاً: إن عبد الله بن جحش قد استشهد فى غزوه أحد (٢)، أى قبل فتح مكه بحوالى خمس سنوات.

و أما القول: بأن أبا أحمد هو عبيد الله بن جحش - كما ربما يظهر من الكلمات (٣) - فلا يصح أيضاً؛ لأن من المجمع عليه: أن عبيد الله بن جحش كان ممن هاجر إلى الحبشه، و تنصر، و مات هناك، و هو زوج أم حبيبه، التى زوجها النجاشى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لا نجد خلافا فى ذلك (٤).

و الظاهر: أن الصحيح هو: أن اسم أبى أحمد (عبد) بن جحش، بغير

١- راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٤٠ و ٨٤١.

٢- طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٦٤ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٣١ و الإصابه ج ٢ ص ٢٨٧ و صفه الصفوه ج ١ ص ٣٨٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٠٠.

٣- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٠٠.

٤- راجع: أسد الغابه ج ٣ ص ١٣١ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج ٢ ص ٢٧٢-٢٧٤ و الإصابه ج ٤ ص ٤ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٦٢ و التنبيه و الإشراف ص ٢٢٣.

إضافه، و قالوا: كان ضريرا، و كانت عنده الفارعه بنت أبى سفيان (١).

ثانيا: ما أبعد ما بين موقف هذا الرجل، حيث وعده النبى (صلى الله عليه و آله) بدار فى الجنه فى مقابل داره، فنزل عن بعيره، و جلس مع القوم، فما سمع ذاكرها حتى لقي الله تعالى .. و بين موقف سمره بن جندب الذى كانت له نخله فى دار شخص آخر، فصار يدخل إليها من دون إذن، و رفض الإنصياع لطلب صاحب الدار بالإستئذان، و رفض طلب النبى (صلى الله عليه و آله) منه أن يستأذن، ثم رفض أن يبيعها لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بعذق فى الجنه، فلم يزل يزيده حتى بلغ عشره أذواق.

فقال: لا أريد.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إنك رجل مضار، و لا ضرر و لا ضرار على مؤمن.

ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالنخله فقلعت، ثم رمى بها إليه، و قال له: اذهب فاغرسها حيث شئت (٢).

١- راجع: الإصابه ج ٤ ص ٣ و ٤ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٤ ص ١٢ و ١٣ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٦٢.

٢- الكافى ج ٥ ص ٢٩٤ و راجع ص ٢٩٢ و راجع أيضا: من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٣٣ و ١٠٣ و تهذيب الأحكام ج ٧ ص ١٤٧ و الوسائل ج ١٧ ص ٣٤٠ و ٣٤١ و البحار ج ١٠٠ ص ١٢٧ و الفائق ج ٢ ص ٤٤٢ و مصابيح السنه للبعوى ج ٢ ص ١٤ و النظم الإسلاميه ص ٣٢١ عن أبى داود، و عن عون المعبود ج ٢ ص ٣٥٢.

صدق وعده، و نصر عبده:

١- وقد بين (صلى الله عليه و آله): أن هذا الفتح العظيم قد كان وعدا من الله، وقد أنجز تبارك و تعالى وعده، و هذا يمثل دلاله أخرى لعباد الأصنام الذين ما زالوا يحاربونه حتى تلك اللحظة، و يجهدون للاحتفاظ بشركهم و بأصنامهم، على أن عليهم أن يتخلوا عن حاله الصلف و العناد، فهم أحقر و أعجز من أن يتمكنوا من تحدى إرادته الله تبارك و تعالى ..

و ها هم يرون بأم أعينهم كيف أن الله أنجز وعده لنبيه الكريم (صلى الله عليه و آله)، رغم كل ما كادوه به.

٢- ثم إنه تعالى لم ينسب النصر إلى نفسه، و لا تبجح- و العياذ بالله- بتديره الذكى، و خطته المحكمه، و لا فاخر بجيشه الكبير، بل نسبه إلى الله دون سواه، بل هو لم يفسح المجال لاحتمال أن يكون لغير الله أدنى تأثير فى هذا النصر حين صرح: بأن الله وحده قد هزم الأحزاب المختلفه التى كانت تتألب عليه، و تجمع الجموع من كل قبيله و حى، و من مختلف البلاد التى تجد فيها من يعينها، و يشاركها فى عدوانها على الحق و أهله ..

٣- و قد احتفظ (صلى الله عليه و آله) لنفسه بسمه العبوديه التى يأنف الناس من إطلاقها على أنفسهم إلا- بضرور من التأويلات، و فنون من الإيحاءات، و لو بمثل دعوى التواضع، و هضم النفس.

و الحرب مع المشركين هى فى واقعها حرب مع حاله الإستكبار عن الإنصياع لهذه الحقيقه، و الإباء عن الإعتراف بها. فإنهم لا يريدون أن يكونوا عبيدا لله، بل يريدون أن يكونوا عبيدا لشهواتهم، و لأهوائهم، و لعناتهم، و ساداتهم، و كبرائهم، الذين يتخذونهم أربابا من دون الله تعالى.

ولكن الرسول العظيم، و النبي الكريم (صلى الله عليه و آله) كان يرى أن أعظم و سام، و أسمى مقام هو و سام و مقام العبوديه لله سبحانه، و كلما تحقق الإنسان في هذه العبوديه، و أوغل فيها كلما سما في مدارج الكمال، و حصل على مقام القرب و الزلفى من الله، و يكون مع الله، و يكون الله تعالى معه، يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و يريد ما يريد .. فإن لله عبادا إذا أرادوا أراد (١).

و في الحديث القدسى: عبدى أتعنى تكن مثلى، تقول للشىء: كن، فيكون (٢).

نعم .. إنه (صلى الله عليه و آله) لم يعط لنفسه ألقابا، و لا- منحها أوصافا، بل هو لم يشر إليها بأية كلمه تدل على أن لها أى درجه من الإستقلال، و الإنفصال، و لو بمقدار كلمه (أنا)، بل حين تحدث عن نفسه قد وصفها بما دل على سلب أية خصوصيه من هذا القبيل، ألا و هو وصف العبوديه له تعالى ..

إلا الإذخر:

و ذكروا: أن العباس هو الذى استثنى الإذخر، من بين الأمور التى حرم على الناس العدوان عليها .. قالوا: (فقال العباس، و كان شيخا مجربا:

-
- ١- أضواء على السنه المحمديه لأبى ريه ص ١٢٥ و نظرات فى التصوف و الكرامات لمحمد جواد مغنيه ٨٩.
 - ٢- مستند الشيعة ج ١ ص ٦ و الإمام على للهمدانى ص ٣٦٢ و الفوائد الرجاليه لبحر العلوم ج ١ ص ٢٩ و راجع: الفوائد العليه ج ٢ ص ٣٩٤ و الجواهر السنيه ٣٦١ و البحار ج ١٠٢ ص ١٦٥ و شجره طوبى ج ١ ص ٣٣ و مشارق أنوار اليقين ص ١٠.

إلا الإذخر يا رسول الله، فإنه لا بد لنا منه، للقيين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول الله (صلى الله عليه و آله) ساعه، ثم قال: إلا الإذخر، فإنه حلال).

و نقول:

إن هذا الموقف يحتاج إلى تبصر و تأمل، و لكننا نكتفى هنا بالإلماح إلى بعض ما يظهر لنا فيه.

فأولاً: هل كان النبي الأَـعظم (صلى الله عليه و آله)، الذي لم يزل يخبر الناس بالمغيبات، لا يعرف أن الإذخر مما يحتاج إليه للقيين، و لأسقف البيوت؟! و عرف ذلك العباس دونه؟!!

ثانياً: هل عرف ذلك العباس و لم يعرفه سائر شيوخ قريش، و سواها من ساكنى مكه، من بنى بكر و خزاعه، و .. و ..؟!!

ثالثاً: هل كان النبي الأَـكرم (صلى الله عليه و آله) يحلل و يحرم من عند نفسه؟! أم كان يتكلم بوحى من الله تعالى؟!!

فإن كان ما يأتى به هو الوحي الإلهى، فما معنى تدخل العباس فيه؟

فهل لم يكن الله- و العياذ بالله- يعرف قيمه الإذخر، و أهميته لأهل مكه، حتى نطق العباس؟ أم انه كان يعرف ذلك، لكنه كان يريد تصعيب الأمور عمدا على أهل مكه؟! ثم تراجع استجابته لطلب العباس؟!!

و إن كان ما يأتى به إنما يأتى به من عند نفسه، فلما ذا يقول القرآن عنه:

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ؟! (١).

و كيف نستطيع أن نفرق بين ما يكون من عند نفسه، و ما يكون من عند ربه، فتدخل في الأول، و نسكت في الثاني؟!

و إذا كان يتكلم من عند نفسه، فهل هو يخطئ فيه، و يسهو و .. و ..

الخ ..؟! أم أنه معصوم فيه؟!

فإن كان يخطئ فيه، فلا شىء يدعو إلى الوثوق بما يأتى به. و هل يمكن تجزئته العصمه؟ و إن كان معصوما فيه، فلما ذا يتدخل العباس أو غيره فى شأن لا يمكن أن يقع فيه خطأ و لا سهو، و لا تقصير؟! ..

رابعاً: لماذا سكت النبى (صلى الله عليه و آله) هذا الوقت الطويل و لم ينطق بالحكم مباشرة ألا يدل سكوتة هذا على أنه قد تبرم و تضايق من تدخل العباس فى أمر إلهى، و وحى ربانى، و حكم شرعى، لا يحق لأحد التدخل فيه؟!

أم أنه سكت ليتأمل فى صحه كلام العباس، و خطئه، فلما ظهر له وجه الصواب فيه أقره؟!

ألا يعدّ هذا النوع من الإحتمالات إهانه لمقام النبوه الأقدس، و إساءه لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، ما بعدها إساءه؟!

خامساً: هل جاء قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الإذخر:

(فإنه حلال) حكاية لحكم الله الواقعى، أم جاء مجاراه للعباس، و إرضاء لخاطره الشريف، و إنفاذا لأمره، الذى جاء بطريقه تضمنت إساءه لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و خروجاً عن حدود الآداب.

سادساً: إذا كان الناس يحتاجون الإذخر، و هو الحشيش الأخضر لظهور البيوت، فإنهم يحتاجون الأشجار لأمره أخرى، مثل صنع الأبواب، و عمل

الكراسى، و المناضد، و سائر الحاجات .. فلما ذا منع من قطع الشجر أيضا، مع أن الحاجه إلى قطعه أشد من الحاجه إلى الحشيش الأخضر؟

كما أنهم يحتاجون إلى العظام- هو الشجر الذى له شوكة- لأجل الوقود و إنضاج الأطمعه، و التدفئه، و نحو ذلك، فلما ذا لم يرخص لهم به أيضا.

و اقتصرت الرخصه على الإذخر!؟

إن الحقيقه هى: أن هؤلاء الناس يريدون أن يمنحوا العباس شرفا، فمنحوه ما يوجب نقصا و تقززا و قرفا. و أرادوا أن يسموه بسمات الأخيار و الأبرار، فوصموه بما يهين و يشين من وسمات الأشقياء و الأشرار ..

اجتهاد الرسول صلى الله عليه و آله:

و قد زعم بعض الناس: أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان متعبدا بالاجتهاد فيما لا نص فيه .. و قد استدلوا على ذلك بأدله واهيه .. و من ذلك فى فتح مكه حسبما ذكره الأمدى:

١- روى عنه: أنه (صلى الله عليه و آله) قال فى مكه: لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها.

فقال العباس: إلا الإذخر.

فقال (عليه السلام): إلا الإذخر.

قال: (و معلوم أن الوحي لم ينزل عليه فى تلك الحاله، فكان الإستثناء بالاجتهاد) (١).

١- الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ١٤٤ و ١٤٥ ..

و قال فى موضع آخر: (معلوم أن ذلك لم يكن إلا- من تلقاء نفسه، لعلمنا: بأن الوحي لم ينزل عليه فى تلك الحالة، و لو لا أن الحكم مفوض إليه لما ساغ ذلك) (١).

و لكن الأمدى نفسه قد ذكر: أن بعضهم أجاب عن ذلك بقوله: (إن الإذخر ليس من الخلا، فلا يكون داخلا فيما حرم. و على هذا، فإباحته تكون بناء على استصحاب الحال. و الإستثناء من العباس و النبى (عليه السلام) كان تأكيدا. و بتقدير أن يكون مستثنى حقيقه مما حرم بطريق التأسيس، لكن من المحتمل أن يكون ذلك بوحي سابق، و هو الأولى، لقوله تعالى فى حق رسول الله: **وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٢)**. أما أن يكون ذلك من تلقاء نفسه من غير دليل فلا) (٣).

و نقول:

ألف: إن من الواضح: أن العباس قد قطع على النبى (صلى الله عليه و آله) كلامه، و لم يمهله ليستثنى الإذخر و لا غيره .. و لعل سكوت النبى (صلى الله عليه و آله) لفته قصيره فى تلك اللحظه كان لإظهار انزعاجه من هذه المداخله، التى تخرج عن حدود المقبول فى التعامل مع الأنبياء، بل و مع غيرهم أيضا ..

ب: على أننا فى غنى عن التذكير بأن النبى (صلى الله عليه و آله) كان

١- الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ١٨٤.

٢- الآيتان ٣ و ٤ من سوره النجم.

٣- الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ١٤٤ و ١٤٥ ..

واقفا على ملاكات الأحكام، عارفا بحدود الحلال و الحرام، فلا حاجه إلى الوحي الفعلى و التفصيلى فى كل كبيره و صغيره، و لذلك فوض الله تعالى إليه حق وضع الأحكام و تشريعها فى الوقت الذى تكتمل فيه عناصره ..

و قد أوضحنا ذلك فى كتابنا: (الولاية التشريعيه) فراجع.

٢- و استدلوا- كما ذكره الأمدى أيضا- بما روى عنه (صلى الله عليه و آله): (أنه أمر مناديا يوم فتح مكة: (أن اقتلوا ابن حبابه، و ابن أبى سرح، و لو كانا متعلقين بأستار الكعبه) ثم عفا عن ابن أبى سرح، بشفاعه عثمان.

و لو كان قد أمر بقتله بوحي لما خالفه بشفاعه عثمان) (١).

و أجابوا أيضا: (يجوز أن يكون قد أبيع القتل، و تركه بالوحي، بدليل ما سبق فى الآيه) (٢).

أى بدليل أنه (صلى الله عليه و آله) لا يقول ما يقول إلا بوحي، لقوله تعالى: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى.

غير أننا بنحو آخر من البيان نقول:

إن الحكم بالقتل كان متعلقا بهؤلاء الناس، من حيث أن جرمهم يوجب ذلك .. فإذا استجدت أمور، مثل ظهور التعصب القبلى أو حدوث انشقاكات خطيره توجب فسادا كبيرا، و تضييعا لحقوق الكثيرين، و صدا عن سبيل الله، بحيث يمنع ذلك من دخول بعض الناس فى الإسلام أو نحو ذلك، فإن الحكم بالقتل يرتفع و يحل محله العفو. أى أن الحكم يتبدل

١- الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ١٨٢.

٢- الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ١٨٤.

بسبب تبدل طراً على موضوعه.

و هذا نظير ما لو استحق ولدك عقوبه على ذنب ارتكبه، فإذا شفع له إنسان عزيز تحب أن تكرمه و تظهر للناس موقعه و مكانته، فإنك تعفو عنه من أجله، و كذلك الحال فيما إذا شفع فيه إنسان ظالم يخشى من أن يتسبب رد أمره و ورود ظلم أو أذى على أناس أبرياء، فإنك تغض النظر عن عقوبه ذلك المذنب، و تظهر أنك قد عفوت عنه رعايه لهذه الخصوصيه.

فظهر أن هناك حكيمين قد اختلفا بسبب اختلاف موضوعيهما، و قضيه ابن سرح من هذا القبيل.

كفوا السلاح إلا خزاعه عن بني بكر:

و أما ما ورد في الخطبه: من أنه (صلى الله عليه و آله) قال فيها: .. كفوا السلاح إلا خزاعه عن بني بكر، من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه).

فخطبواهم ساعه، و هي الساعه التي أحلت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

فنقول فيه:

أولاً: إن هذا النص إنما ورد في بعض نصوص الخطبه دون بعض ..

و هذا و إن كان لا يدل على عدم صحه هذه الفقره، و لكنه يفسح المجال للتأمل في صحتها، و إن وجد ما يقتضى ذلك. كما هو الحال في هذا المورد كما سنرى.

ثانياً: إذا كانت بنو بكر قد هاجمت جزاعه و قتلت منها، فإن قريشا قد

شاركت فى هذا الأمر، و كانت مع من هاجم، ثم أرسلت أبا سفيان ليخدع المسلمين، و يبطل دم المقتولين المظلومين .. فلما ذا لا يشرك قريشا مع بنى بكر فى إعطاء خزاعه حق قتلهم؟

ثالثا: إذا كان ثأر خزاعه عند بنى بكر، و قريش بريئه منه، فلما ذا اعتبر النبى (صلى الله عليه و آله) ما جرى نقضا للعهد من قبل قريش بالذات؟! و ما المبرر لجمع هذا الجيش العظيم، و مهاجمه مكه، و فتحها؟!

و لماذا نهى خالد بن الوليد عن القتال؟ و أمره أن يكف عن ملاحقه الناس؟!

و كيف سيفهم الناس ذلك كله، خصوصا أهل مكه الذين استسلموا و لم يسلموا، و لما يدخل الإيمان فى قلوبهم؟!

رابعا: إن وقت صلاة العصر إذا كان يبدأ من حين الإنتهاء من صلاة الظهر إلى حين الغروب، فإن معنى قوله: (من ضحوه نهار الفتح إلى صلاة العصر منه) يصبح غير واضح المعنى. إلا إذا أريد الحديث عن وقت فضيله العصر ..

و على كل حال، فقد أشرنا إلى ما هو الحق فى وقت صلاة العصر فى فصل: المسير إلى حصون قريظه، تحت عنوان: لماذا لم يعنف النبى (صلى الله عليه و آله) تاركى الصلاة؟!

خامسا: لم يذكر لنا التاريخ شيئا عن قتلى بنى بكر على يد خزاعه، و لا قتلى خزاعه على يد المدافعين من بنى بكر، فهل يعقل أن تستمر معرکه ساعات طوالا، و لا يسقط فيها عشرات القتلى و الجرحى؟!

سادسا: الضحوه: هى ارتفاع النهار، فإذا كانوا قد خبطوهم من ضحوه النهار إلى وقت صلاة العصر، فإن ذلك يكون ساعات لا

واحد، و كيف إذا كان (يقصرها بيده هكذا)؟!

و أخيراً ما معنى: أن يكرر نفس العبارة في نفس تلك الخطبة، فيذكرها في وسطها، ثم يذكرها في آخرها؟!.

اكتبوا لأبي شاه:

و قوله (صلى الله عليه و آله): اكتبوا لأبي شاه، و عشرات الروايات الأخرى الآمره بتقييد العلم و بكتابتة حجه دامغه على الذين منعوا من كتابه الحديث بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ..

على أن ما زعموه مبرراً لذلك، و هو: أنهم خافوا من اختلاط الحديث بالقرآن، أو أنه لا- كتاب مع كتاب الله، ما هو إلا رد للنص من أجل مآرب خاصه، لا- نريد الإفاضه في بيانها. و قد ذكرنا طائفه مما يفيد في هذا البحث في الجزء الأول من هذا الكتاب، فراجع.

التبرك بالرسول صلى الله عليه و آله:

عن عبد الله بن عبيده: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد خطبته عدل إلى جانب المسجد، فأتى بدلو من ماء زمزم، فغسل منها وجهه، ما يقع منه قطره إلا في يد إنسان، إن كانت قدر ما يحسوها حساها، و إلا مسح جلده.

و المشركون ينظرون، فقالوا: ما رأينا ملكاً قط أعظم من اليوم. و لا قوماً أحقق من القوم (١).

ص: ٢٧٦

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه

اشاره

مفتاح الكعبه مع الرسول صلى الله عليه وآله:

ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من البيت و المفتاح فى يده، و خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله).

و عن برة بنت أبى تجراه، قالت: نظرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) و فى يده المفتاح، ثم جعله فى كفه (١).

قال الزهرى: إنه بعد أن خطب النبى (صلى الله عليه وآله) خطبته المتقدمه، نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) و معه المفتاح، ففتح من المسجد، فجلس عند السقايه (٢).

و كان (صلى الله عليه وآله) قد قبض مفتاح السقايه من العباس، و مفتاح البيت من عثمان. فأرجع المفتاح إلى عثمان و دفع السقايه إلى

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٢ عن الواقدى، و السيره الحلييه ج ٣ ص ١٠٠ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٣ عن عبد الرزاق، و الطبرانى، و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٧ و ٨٣٨.

مفتاح الكعبة لبني شيبه:

وقالوا: قال عثمان بن طلحه: لقيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة قبل الهجرة، فدعاني إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك، وقد خالفت دين قومك، و جئت بدين محدث.

و كنا نفتح الكعبة فى الجاهليه الإثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت عليه، و نلت منه.

فحلم عني، ثم قال: (يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت).

فقلت: لقد هلكت قريش و ذلت.

قال: (بل عمرت يومئذ و عزت).

و دخل الكعبة، فوعدت كلمته منى موقعا، فظننت أن الأمر سيصير كما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا.

فلما كان يوم الفتح قال لى: (يا عثمان، ائت بالمفتاح).

فأتيته به. فأخذه منى، ثم دفعه إلى و قال: (خذوها خالدته تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف).

فلما وليت نادانى، فرجعت إليه، فقال: (ألم يكن الذى قلت لك؟)

فذكرت قوله لى بمكه قبل الهجره: (لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت).

فقلت: بلى. أشهد أنك رسول الله.

فقام على بن أبى طالب، و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابه مع السقايه!

(و فى روايه: أن العباس تناول يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم. أى منهم على (عليه السلام)) (١).

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء).

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول الله (صلى الله عليه و آله) مضطبع (٢) بثوبه عليه، و قال: (غيبوه. إن الله تعالى رضى لكم بها فى الجاهليه و الإسلام) (٣).

و عن ابن جريح: أن عليا (عليه السلام) قال للنبي (صلى الله عليه و آله): اجمع لنا الحجابه و السقايه، فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (٤).

١- راجع هذه الفقره فى: السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ و فى هامشه عن البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣٠١.

٢- اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن و غطى به الأيسر.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ عن ابن سعد و الواقدى، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٣٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥ و ٨٨ و عن البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣٠١.

٤- الآيه ٥٨ من سوره النساء.

فدعا عثمان، فقال: (خذوها يا بنى شيبه خالده مخلده).

و فى لفظ: (تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم) (١).

و عن جابر و مجاهد: أنه (صلى الله عليه و آله) دخل فى الكعبه يوم الفتح، فخرج (صلى الله عليه و آله) و هو يتلو هذه الآيه، فدعا عثمان بن طلحه، فدفع إليه المفتاح، و قال (صلى الله عليه و آله): (خذوها يا بنى أبى طلحه بأمانه الله سبحانه و تعالى لا ينزعها منكم إلا ظالم) (٢).

و عن سعيد بن المسيب: (لا يظلمكموها إلا كافر) (٣).

و فى لفظ ابن سابط: أنه (صلى الله عليه و آله) قال لعثمان بن طلحه:

(إنى لم أدفعها إليكم، و لكن الله تعالى دفعها إليكم) (٤).

و عن الزهرى: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما خرج من البيت قال على (عليه السلام): (إننا أعطينا النبوه و السقايه و الحجاب، ما قوم بأعظم نصيبا منا).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن ابن عائذ، و الأزرقى، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عن الأزرقى و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ج ١١ ص ١٢٠، و انظر المجمع ج ٣ ص ٢٨٥ و ابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٩ و أبانعيم فى تاريخ أصفهان ج ١ ص ٢٤٨ و السيوطى فى الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ و ١٧٤ عن ابن جرير و ابن المنذر.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١.

٤- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ عن ابن عائذ، و ابن أبى شيبه، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١.

فكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحه، فدفع المفتاح إليه وقال: (غيبوه) (١). فلذلك يغيب المفتاح (٢).

و عند الحلبي: أن عليا (عليه السلام) أخذ المفتاح وقال: يا رسول الله، إجمع لنا الحجاب مع السقايه.

فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أكرهت و آذيت، و أمره (صلى الله عليه وآله) أن يرد المفتاح على عثمان و يعتذر إليه، فقد أنزل الله في شأنك. أى أنزل الله عليه ذلك و هو فى جوف الكعبه. و قرأ عليه الآيه، ففعل ذلك على (٣).

و سياق هذه الروايه يدل: على أن عليا كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان، فلما نزلت الآيه أمره (صلى الله عليه وآله) أن يرد المفتاح لعثمان .. (٤).

و عن ابن جريح عن ابن مليكه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي يومئذ حين كلمه فى المفتاح: (إنما أعطيتكم ما ترزؤون، و لم أعطكم ما ترزؤون).

يقول: (أعطيتكم السقايه لأنكم تغرمون فيها، و لم أعطكم البيت).

قال عبد الرزاق: أى أنهم يأخذون من هديته (٥).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عن عبد الرزاق، و الطبرانى.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ عن الفاكهى.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠.

٤- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠.

٥- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عن عبد الرزاق و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥.

و عند الحلبي: إنما أعطيتكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس، أي و هو السقايه، لا- ما تأخذون منه من الناس أموالهم، و هي الحجابيه، لشرفكم، و علو مقامكم (١).

و اللافت هنا: أن الواقدي يذكر نفس هذه القضييه، بعين ألفاظها، و ينسبها إلى العباس لا إلى علي (عليه السلام) (٢).

عن ابن أبي مليكه: أن العباس- رضی الله عنه- قال للنبي (صلى الله عليه و آله): يا نبي الله!! اجمع لنا الحجابيه مع السقايه.

و نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال: (ادعوا لي عثمان بن طلحه)، فدعى له، فدفع له النبي (صلى الله عليه و آله) المفتاح، و ستر عليه.

قال: فرسول الله (صلى الله عليه و آله) أول من ستر عليه، ثم قال:

(خذوها يا بني طلحه، لا ينتزعها منكم إلا ظالم) (٣).

و في روايه: (أنه لما دعا عثمان بن طلحه، و قال له: أرني المفتاح، فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام العباس، فقال: يا رسول الله، اجعله لي مع السقايه، فكف عثمان يده.

فقال (صلى الله عليه و آله): أرني المفتاح، فبسط يده يعطيه.

فقال العباس مثل كلمته الأولى، فكف عثمان يده.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٠.

٢- راجع: المغازي ج ٢ ص ٨٣٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥ عن البحر العميق.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عن عبد الرزاق.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عثمان، إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر فهاتني المفتاح.

فقال: هاك بأمانه الله).

(فأعطاه إياه، و نزلت الآية. قال ابن ظفر فى النبوع: و هذا أولى) (١).

و لعل هذا كان قبل دخوله (صلى الله عليه وآله) الكعبه، فيكون طلب العباس رضى الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبه و بعده (٢).

و بعد أن ذكر الحلبي: أن عليا (عليه السلام) دفع المفتاح إلى عثمان .. ثم ذكر أن النبي (صلى الله عليه وآله) طلب من عثمان أن يأتي به، قال عثمان:

فأتيته به، فأخذه ثم دفعه إليّ و قال: خذوها خالده تالده، لا يتزعها منكم إلا ظالم الخ ..

قال الحلبي: (و لا مانع أن يكون ذلك بعد أن دفعه على كرم الله وجهه له بأمره (صلى الله عليه وآله)، و كأنه (صلى الله عليه وآله) و آله) أحب أن يؤدى الأمانه بيده الشريفه من غير واسطه .. (٣).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم عدّه وقفات، نجملها على النحو التالي:

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٤ عن ابن مردويه، و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١.

السقايه:

ذكرت الروايه المتقدمه: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قبض مفتاح السقايه من العباس.

و السؤال هو: هل كان للسقايه من زمزم مفتاح أيضا؟! أم المقصود هو جعل السقايه فى عداد الحجابه؟!

و الذى نعرفه هو: أن السقايه كانت أحواضا من آدم، يوضع فيها الماء العذب من زمزم لسقايه الحاج، و قد يطرح فيها التمر، لتزيد عذوبه الماء، و يلذ طعمه لشاربه.

فلعلمهم كانوا قد وضعوا موانع تمنع الناس من الوصول إلى تلك الأحواض، و جعلوا لها أقفالا و مفاتيح.

توضيح أكرهت و آذيت:

ذكرت بعض الروايات المتقدمه: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال لعلى (عليه السلام) حين طلب منه أن يجمع لهم الحجابه إلى السقايه:

أكرهت و آذيت. و أمره أن يرد المفتاح إلى عثمان، و يعتذر إليه.

و نقول:

المقصود: أن عليا (عليه السلام) أكره و آذى عثمان بن طلحه حين امتنع عن دفع المفتاح، حيث لحقه إلى سطح الكعبه، و لوى يده، و أخذ المفتاح منه، و هو إكراه و آذى يحبه الله سبحانه، و فى سياق امتثال أوامره تعالى، فإن امتناع عثمان عن إعطاء المفتاح يفرض إكراهه على ذلك، لأن امتناعه يمثل تمردا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذى لا ينطق عن

الهوى .. فإذا لَجَّ في ذلك، فلا بد من إيدائه لدفع أذاه، و رد كيده ..

فكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يريد تطيب خاطر عثمان و بنى شبيهه، و رد المفتاح إليهم تألفا على الإسلام، كما كان يتألف أبا سفيان، و غيره من رؤوس الكفر و الشرك.

أعطيتكم ما ترزؤون:

و قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) للعباس: أعطيتكم ما ترزؤون.

أى ما تبدلون فيه اموالكم للناس، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالا يوضح: أن إعطاء الحجاب له لى شبيهه يراد منه إفساح المجال لهم لأخذ ما يقدمه الناس لهم، و هذا يؤيد ما ذكرناه آنفا من أن المقصود من بذل تلك المنافع لهم هو: تألفهم على الإسلام، و سل سخيمتهم عليه، ليعيشوا فى أجوائه بسكينه و رضا.

و لو أن بنى هاشم أخذوا الحجاب منهم، لوجد المنافقون و الحاسدون و الطامعون مجالا خصبا لاتهام النبى (صلى الله عليه و آله) بمحاباه أهل قرابته، و ابتغاء المنافع لهم، و تخصيصهم بالمغانم، و الأموال، و المناصب، الأمر الذى قد يؤثر على ضعف العقول، و من هو رقيق الدين، حديث الإيمان و الإسلام.

و لا نشك فى أن عليا (عليه السلام) كان يدرك هذه الحقيقه، فلم يكن ليفكر بطلب الحجاب لنفسه، و لا لبنى هاشم أصلا كما سنرى .. و لكن الأمر بالنسبه للعباس ليس كذلك، فقد دلتنا بعض النصوص على أنه كان يسعى للحصول على بعض المنافع.

و قد أشرنا إلى شىء من ذلك فيما سبق، ولسنا بصدد تحقيق هذا الأمر.

الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات:

و حول نزول آية: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (١)**

نقول:

إن هذه الآية قد وردت في سورة النساء التي انتهت نزولها قبل فتح مكة بعدة سنوات، و لو قبلنا جدلاً بأن هذه الآية قد ألحقت بموضعها من السورة بعد سنوات من تمامية نزولها، و هو أمر لا شاهد له سوى الإدعاء و التحكم، فإننا نقول:

قد روى في شأن نزول هذه الآية ما يدل على أنها لم تنزل في شأن عثمان بن طلحة في فتح مكة فلاحظ ما يلي:

١- عن زيد بن أسلم: أنزلت هذه الآية في ولاء الأمر، و فيمن ولى من أمور الناس شيئاً (٢).

٢- عن شهر بن حوشب قال: نزلت في الأمراء خاصة، **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. (٣)**.

٣- عن ابن عباس في قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ**

١- الآية ٥٨ من سورة النساء.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ عن المصنف لابن أبي شيبة، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم.

٣- الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ عن ابن جرير، و ابن أبي حاتم.

إلى أهلها .. قال: يعنى السلطان، يعطون الناس (١).

على عليه السلام لا يطلب الحجاب:

وقد ذكرت الروايات: أن عليا (عليه السلام) طلب الحجاب لنفسه أو لبنى هاشم، وقد تضمنت تلك الروايات نفسها أمورا تدل على أنها مفتراه، ونحن نجمل ملاحظتنا عليها على النحو التالي:

١- إن ثمة تناقضا ظاهرا بين الروايات، بل قد تجد التناقض فى الروايه الواحده و نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ألف: أن الروايه تقول: إن النبي (صلى الله عليه و آله) أخذ المفتاح من عثمان، ثم دفعه إليه، و قال: خذوها خالده تالده الخ ..

ثم إن الروايه نفسها تتبع ذلك بالقول: فقام على بن أبى طالب (عليه السلام) و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجاب مع السقايه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال (صلى الله عليه و آله): هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء.

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول الله (صلى الله عليه و آله) مضطبع بثوبه عليه ..

فهل أعطى النبي (صلى الله عليه و آله) عثمان المفتاح قبل طلب على

١- الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

(عليه السلام)؟! أم بعده؟!

و هل كان المفتاح مع علي (عليه السلام)؟! أم مع النبي (صلى الله عليه وآله)؟!

و هل استعاد النبي (صلى الله عليه وآله) المفتاح من عثمان، و صار معه، و اضطلع عليه بثوبه؟ أم استعاده من علي (عليه السلام)، كما هو صريح بعض الروايات المتقدمه؟!

ب: هل قال النبي (صلى الله عليه وآله) ادعوا لى عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح حين كلمه علي (عليه السلام) فى أمر الحجاب؟! أم حين كلمه العباس؟!

ج: هل نزلت آيه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ..

لحظه استلام النبي (صلى الله عليه وآله) المفتاح قبل دخول الكعبه؟! أم نزلت حين كان النبي (صلى الله عليه وآله) داخل الكعبه؟!

د: هل إن طلب العباس من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يجعل الحجاب له كان قبل دخول النبي (صلى الله عليه وآله) للكعبه؟! أم كان بعد خروجه منها؟!

طريقه جمع فاشله:

و قد احتمل الحلبي الشافعى: أن يكون طلب العباس للحجاب قد تكرر، فكان مره قبل دخول النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الكعبه، و مره بعد خروجه منها (١).

و هو كلام غير مقبول .. فإن هذا الطلب قد جوبه بالرفض، و جعل الحجاب له لى شىبهه، و نزول آيه أداء الأمانه إلى أهلها .. فبعد هذا و ذاك لا يبقى مجال لتكرار الطلب من العباس، فإنه سيكون أمرا منافيا للتسليم لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مخالفا للأدب معه، فلا يقدم عليه العباس، و لا غيره، فإن الكل يعلم: أن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يخالف ما يأمره الله تبارك و تعالى به.

أو فقل: إن الآيه قد نزلت لتحسم أمر المفتاح، فمعنى معاوده الطلب هو رفض القرار الإلهى أو الاعتراض عليه، و هذا مما لا يمكن أن يقدم عليه مثل العباس.

السدانه و السقايه مردودتان إلى أهليهما:

و قد صرحت الخطبه المتقدمه: بأن الحجاب (السدانه) و السقايه مردودتان إلى أهليهما ..

و تقدم أيضا: أنه (صلى الله عليه و آله) بعد أن طمس الصور التى كانت فى داخل الكعبه، أخذ بعضادى الباب، فخطب خطبته الآنفة الذكر .. و قد ورد فى خطبته تلك قوله: (إلا سدانه البيت، و سقايه الحج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

فرد السقايه و السدانه إلى أهليهما قد حصل قبل أن يغادر النبى (صلى الله عليه و آله) باب الكعبه ..

و لكن الروايات المتقدمه تدعى: أنه (صلى الله عليه و آله) قد وضع المفتاح فى كفه، و تنحى ناحيه المسجد، فجلس عند السقايه، ثم رد الحجاب

و السقايه على أهليهما.

و هناك طلب العباس، أو على (عليه السلام)، أو كلاهما- حسب زعمهم- الحجاب له لنفسه، أو لعشيرته ..

فكيف يطلبانها بعد أن صرح (صلى الله عليه و آله) بردها إلى أهلها قبل أن يغادر باب الكعبه؟!

أعطينا النبوه و السقايه و الحجاب:

و أما ما نسب إلى على (عليه السلام) من أنه قال: أعطينا النبوه، و السقايه، و الحجاب. ما قوم بأعظم نصيبا منا، فهو:

إما لم يحصل إن كان يقصد به إعطاء المفتاح لهم، و إيكال أمر الحجاب إليهم. لأن ما حصل هو مجرد أخذ النبي (صلى الله عليه و آله) المفتاح لفتح باب الكعبه، لإزاله ما فى داخلها مما يسىء إليها، و لم يعط النبي (صلى الله عليه و آله) الحجاب لأحد. لا لبني هاشم و لا لغيرهم، و لا تعرض لهذا الأمر بعد، لا بالسلب و لا بالإيجاب، و لم تظهر منه أية إشارة إلى الجهه التى سوف يوكل إليها أمر الحجاب ..

و إما أنه قد حصل، و لكن قد قصد به معنى آخر، و هو: أن أمر الحجاب و السقايه قد أصبح لرسول الله يضعه حيث يشاء.

فرسول الله (صلى الله عليه و آله) من بنى هاشم، و له النبوه، و له أمر السقايه و الحجاب، فيصح للهاشمى أن يقول: (أعطينا النبوه، و السقايه، و الحجاب، ما قوم بأعظم نصيبا منا). و لا يخفى أنه بهذا المعنى تكون كل الأمور بيد النبي (صلى الله عليه و آله)، فلا خصوصيه للسقايه و الحجاب.

إلا أن يدعى: أن الخصوصية كون المقام مقام جعل هذين الأمرين - السقايه و الحجابه - فى أهليهما دون غيرهما من الأمور!!

و الحاصل: أن المقصود إن كان هذا المعنى، فلا معنى لما تذكره الروايه من أن النبى (صلى الله عليه و آله) كره مقالته .. بل المتوقع منه هو أن يؤيدها، و يصدقها.

و إن كان المقصود: هو المعنى الأول، فذلك لا يقصده على (عليه السلام)، لأنه أمر لا واقع له.

البيعه فى فتح مكه:

عن الأسود بن خلف: أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مسفله، فبايع الناس على الإسلام، فجاءه الكبار و الصغار، و الرجال و النساء، فبايعهم على الإيمان بالله تعالى، و شهاده أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله (١).

و قال ابن جرير: اجتمع الناس بمكه لبيعه رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغنى - على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأخذ على الناس السمع و الطاعه لله و لرسوله فيما استطاعوا (٢).

فلما فرغ من بيعه الرجال بايع النساء، و فيهن هند بنت عتبه، امرأه أبى

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٧ عن أحمد، و البيهقى، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ٣ ص ٤١٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٤.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٧ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩.

سفيان متنقبه متنكره خوفا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخبرها بما كان من صنعها بحمزه، فهي تخاف أن يأخذ بحدثها ذلك.

فلما دنين من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (بايعننى على ألا تشركن بالله شيئاً).

فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال.

فقال: (ولا تسرقن).

فقلت: والله إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنه، و ما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟

فقال أبو سفيان- و كان شاهدا لما تقول-: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل، عفا الله عنك.

ثم قال: (ولا تزنين).

فقلت: يا رسول الله، أو تزنى الحره؟!

ثم قال: (ولا تقتلن أولادكن).

قلت: قد ربيناهم صغاراً، و قتلتهم كباراً، فأنت و هم أعلم.

فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) و عمر، ثم قال: (ولا تأتين بهتان تفتريه بين أيديكن و أرجلكن).

فقلت: و الله، إن إتيان البهتان لقبيح، و لبعض التجاوز أمثل.

ثم قال: (ولا تعصين).

فقلت: فى معروف.

و فى الحلبيه: لما قال (صلى الله عليه وآله): و لا تعصين فى معروف.

قالت: و الله ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك (١).

و فيها أيضا: أن هندا قالت: ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعصيك فيه؟

قال: لا تصحن (أو لا تنحن)، و لا تخمشن وجهها، و لا تنشرن شعرا، و لا تحلقن قرنا، و لا تشقن جيبا، و لا تدعين بالويل (٢).

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعمر: (بايعهن، و استغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم).

فبايعهن عمر، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) لا يصفح النساء، و لا يمس جلده امرأه لم يحلها الله تعالى له، أو ذات محرم.

و روى الشيخان، عن عائشه قالت: لا و الله ما مست يد رسول الله (صلى الله عليه و آله) يد امرأه قط.

و فى روايه: ما كان يبايعهن إلا كلاما، و يقول: إنما قولى لامرأه واحده كقولى لمائه امرأه (٣).

زاد فى نص آخر قوله: و لا تلحقن بأزواجكن غير أولادهن (٤).

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٦.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٦.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ عن ابن جرير، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ٦ ص ٣٥٧ و زاد المسير ج ٨ ص ١٤٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٣١٩ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٤ و ٩٦ و البحار ج ٢١ ص ٩٨ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩.

٤- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٦.

و جاءه (صلى الله عليه و آله) رجل، فأخذته الرعدة، فقال له (صلى الله عليه و آله): هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأه كانت تأكل القديد (١).

و روى على بن إبراهيم: عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر (البنظي)، عن أبان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة بايع الرجال. ثم جاء النساء يباعنه، فأنزل الله عز و جل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢).

فقال هند: أما الولد فقد ربينا هم صغارا، وقتلتهم كبارا.

و قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، و كانت عند عكرمه بن أبي جهل: يا رسول الله، ما ذلك المعروف الذى أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟

قال: لا تظمن خدا، و لا تخمشن وجها، و لا تنتفن شعرا، و لا تشقن جيبا، و لا تسودن ثوبا، و لا تدعين بويل.

فبايعهن رسول الله (صلى الله عليه و آله) على هذا.

فقال: يا رسول الله، كيف نبايعك؟

قال: إننى لا أصافح النساء.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٤.

٢- الآيه ١٢ من سوره الممتحنه.

فدعا بقدرح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها، فقال: أدخلن أيديكن في هذا الماء، فهي البيعه.

و في الكافي: رواه عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله (١).

و في مدارك التنزيل: أنه (صلى الله عليه و آله) لما فرغ من بيعه الرجال أخذ في بيعه النساء و هو على الصفا، و عمر جالس أسفل منه يبايعهن بأمره، و يبلغهن عنه.

فقال (صلى الله عليه و آله): أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً.

فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً الخ .. (٢).

ما الذي أضحك عمر بن الخطاب!؟

و ذكروا: أن هنداً لما قالت: قد ربيناهم صغاراً، و قتلتهم كباراً، فأنت و هم أعلم. ضحكك عمر حتى استلقى، و تبسم رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣)، و لم يذكروا عن سبب ضحكك أو تبسم عمر شيئاً.

و الظاهر هو: أن ثمة تصرفاً و حذفاً متعمداً، و يدل عليه ما رواه

١- الكافي ج ٣ ص ٦٦ و البحار ج ٢١ ص ١٣٤ و ١١٣ و ١١٧ و ج ٦٤ ص ١٧٨ عنه و عن تفسير القمى ج ٢ ص ٣٦٤، و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج ٢٠ ص ٢١١ و تفسير الصافي ج ٥ ص ١٦٦ و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٧ و تفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٤٦ و تحف العقول (ط ٢) ص ٤٥٧ عن أبي جعفر.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٦.

الطبرسى و غيره، قال:

(فقال: و لا تزنين).

فقال هند: أو تزنى الحره؟

فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينها و بينه فى الجاهليه.

فقال (صلى الله عليه و آله): و لا تقتلن أولادكن.

فقال هند: ريئاهم صغارا، و قتلتموهم كبارا، فأنتم و هم أعلم.

و كان ابنها حنظله بن أبى سفيان قتله على بن أبى طالب (عليه السلام) يوم بدر.

فضحك عمر حتى استلقى، و تبسم النبى (صلى الله عليه و آله) .. (١).

و لكن النص الذى أورده الديار بكرى قد حرّف الحقيقه، و أصبح بحيث يوحى: بأن ضحك النبى (صلى الله عليه و آله) إنما

كان لأجل أنه عرفها و هى متنقبه و متنكره، فقد قال: (فقال هند: إن أبى سفيان رجل شحيح، فإن أصبت من ماله هناه؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال.

فضحك النبى (صلى الله عليه و آله) و عرفها، و قال لها: و إنك لهند؟!!

فقال: نعم، فاعف عما سلف يا نبى الله، عفا الله عنك) (٢).

إلا أن يقال: إنه (صلى الله عليه و آله) قد ضحك لما عرفها، فلا مانع من أن يضحك مره أخرى حين قالت ما قالت من أجل ما

يعرفه عنها.

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و البحار ج ٢١ ص ٩٨.

٢- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩.

مع تذكيرنا القارئ الكريم بأننا لا نوافق على زعمهم: من أنه (صلى الله عليه وآله) لم يعرفها في بادئ الأمر.

بل نقول:

إنه قد ضحك منها، لظنها أنه لم يكن قد عرفها.

أو تزنى الحره!?:

إننا لا نحب أن نذكر بعض الأمور التي قد يسعى البعض لتصنيفها في عداد الأمور الشخصية، التي يحسن التستر عليها ما دام أنها لا-فائده من إثارة الحديث حولها، لا-من الناحية التربوية والسلوكية، و لا من الناحية الإيمانية والإعتقادية، كما لا أثر لها في استفادة المعنى والمفهوم الذي يفيد في تحديد النهج، أو يؤثر على المسار السياسي، أو ما إلى ذلك.

غير أننا نقول:

إن هناك ميزات أو حالات شخصية لبعض الأفراد يفيد التعرف عليها في وضوح المفهوم العقائدى أحيانا، وربما يؤثر على المسار والسلوك حتى في النواحي السياسية لأمه بأسرها. من حيث إنه يطبعه في إطار تلك الخصوصية بطابع الشرع والتدين والإعتقاد، والممارسه السياسيه وغيرها ..

و يأتي موضوع هند بنت عتبه في هذا السياق .. لأن هندا هي أم معاويه مؤسس الدوله الأمويه، التي حكمت الأمه عشرات السنين باسم خلافه النبوه، و باسم الدين و الشرع.

فإذا أثبتت الأحداث والنصوص: أن معاويه كان من الطلقاء ..

و أثبتت وجود شكوك و شبهات في طهاره مولده، من خلال ما ينسب

لأئمه، فإن تصديده لأمر الخلافه، بل لأى مقام هو أقل من ذلك بمراتب، يصبح بلا مبرر حتى بنظر من لا يرون أن الإمامه إنما تجب بالنص و التعيين من الله و رسوله ..

بالإضافه إلى آثار أخرى تترتب على ظهور هذه الشكوك ..

من أجل ذلك نقول:

إن النصوص حول هذا الموضوع كثيره نختار منها ما يلي:

قالوا:

١- كانت هند تذكر فى مكه بفجور و عهر (١).

٢- كانت كما يقول الكلبي: مغيلمه (أى تغلبها شهوتها)، و كانت تميل إلى السودان من الرجال (٢).

٣- قد اعترف معاويه نفسه: بأن بعض قريش فى الجاهليه يزعمون: أن معاويه للعباس بن المطلب .. و قد عرّض إسحاق بن طلحه بذلك ليزيد بن معاويه (٣).

٤- و قد كتب زياد بن أبيه لمعاويه: (و أما تعبيرك لى بسميه، فإن كنت ابن سميّه، فأنت ابن جماعه) (٤).

٥- و قال الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاويه: (و قد علمت الفراش

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ٣٣٦ الخطبه رقم (٢٥) و البحار ج ٣٣ ص ٢٠٠ و الغدير ج ١٠ ص ١٧٠.

٢- راجع: الغدير (ط سنه ١٤٢٤ هـ) ج ١١ ص ٢٤٢ و تذكره الخواص ص ٢٠٣.

٣- ربيع الأبرار ج ٣ ص ٥٥١ و تذكره الخواص ص ٢٠٣ و الغدير ج ١٠ ص ١٧٠.

٤- شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ١٨٣.

الذى ولدت عليه) (١).

٦- و تقدم: أن عمر تبسم حين قالت: أو تزنى الحره، لما جرى بينه و بينها فى الجاهليه (٢).

إسلام هند بعد أبى سفيان بليله:

قالوا: (و فى إسلام أبى سفيان قبل هند، و إسلامها قبل انقضاء عدتها، أى لأنها أسلمت بعده بليله واحده، و إقرارها على نكاحهما حجه لشافعى ..) (٣).

و نقول:

قد تقدم: أنه (صلى الله عليه و آله) قد أرجع زينب على أبى العاص حين أسلم قبل انقضاء عدتها.

كما أن من الواضح: أن مئات من الناس قبل إسلام هند و أبى سفيان قد أسلموا قبل إسلام نسائهم، و لم يفرق النبى (صلى الله عليه و آله) بينهم لأنهن أسلمن قبل انقضاء عدتهن، فلا حاجه للاستدلال بهند و زوجها.

إنى لا أصفح النساء:

و جاء: أن بعض النساء- و صرح الواقدى بأنها هند- قالت: يا رسول الله، نماسحك، أو قالت: هلم نبايعك يا رسول الله.

١- تذكره الخواص ص ٢٠١ و ٢٠٢.

٢- و راجع: تذكره الخواص ص ٢٠٣.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٦ و ٩٧.

فقال (صلى الله عليه و آله): لا أصافح النساء. و إنما قولى لمائه امرأه كقولى لامرأه واحده.

و فى نص آخر: لألف امرأه (١).

و نقول:

لعل طلب النساء منه (صلى الله عليه و آله) أن يبايعنه بطريقه المصافحه قد تكرر من قبل عدّه نساء، فتكررت الإجابته، فعبر تاره بمائه امرأه، و أخرى بألف ..

و عن عائشه: لم يصفح رسول الله (صلى الله عليه و آله) امرأه قط، و إنما كان يبايعهن بالكلام (٢).

و عن الشعبى: بايع رسول الله (صلى الله عليه و آله) النساء و على يده ثوب.

و قيل: إنه غمس يده فى إناء، و أمرهن فغمسن أيديهن فيه. فكانت هذه البيعه.

قال ابن الجوزى: و القول الأول أثبت (٣).

و نقول:

لقد كانت هناك عدّه بيعات للنساء مع رسول الله (صلى الله عليه و آله).

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ١٤٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٥٠ و ٨٥١.

٢- البحار ج ٢١ ص ٩٨ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن صحيح البخارى.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٧ و البحار ج ٢١ ص ٩٨ و مجمع البيان ج ٩ ص ٩٩ و ٢٧٦ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٥١.

إحداها: يوم الفتح.

و بيعه أخرى: حين قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة، فقد روت أم عطية: أنه (صلى الله عليه وآله) جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلم، فرددن عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليكن، يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً.. وقرأ إلى قوله تعالى: .. في مَعْرُوفٍ .. (١).

فقلن: نعم.

فمد يده من خارج، ومدد أيديهن من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد.

قال الحلبي: و لعل ذلك كان بحائل، و الفتنة مأمونه (٢).

و الخلاصة: أن البيعة قد تكررت قبل الهجره و بعدها، و في يوم الفتح، و في غيره، فلعله (صلى الله عليه وآله) بايعهن مره بواسطه غمس اليد في الإناء، و أخرى بالكلام ..

و أما البيعه بالمصافحه من وراء الثوب، فنحن لا نستطيع أن ننسبها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و قد تقدم التصريح بأنه لا يوافق النساء، و لعل عمر هو الذى فعل ذلك، فنسب ذلك إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، لأنه زعم لهن أنه مرسل من قبله (صلى الله عليه وآله).

و دعوى ذلك من قبل الشعبى، الذى قد يتهم: بأنه يريد تبرير فعل

١- الآية ١٢ من سوره الممتحنه.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٧.

بعض من كان يسعى لتأييد سلطانهم، وإحكام بنيانهم، تبقى غير قابله للإعتماد، فإن الشعبي لم يكن فى زمان النبى (صلى الله عليه وآله)، ولا ندرى عمن نقل هذه الكذبه الظاهره.

جرأه هند:

أما ما أظهرته هند من جراًه فى محضر رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

حتى إنها كانت تعقب على كل كلمه قالها، و كل شرط أخذه (صلى الله عليه وآله) على النساء، فقد يحسب البعض أنه أمر تستحق المدح و الثناء عليه، كما أنه يشير إلى أنها تعيش معنى الحرية بمفهومها الأوسع ..

و يؤيد ذلك: أننا لم نجد من النبى (صلى الله عليه وآله) ما يشير إلى أى تبرم، أو تضايق، أو اعتراض على أقوالها و مداخلاتها ..

غير أننا نقول:

إن هذا الذى فعلته هند إن دل على شىء، فإنما يدل على أنها لا توقر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و لا تلتزم بحدود الآداب معه، بل فى كلماتها ما يدل على حقدها الدفين، و بغضها الراسخ لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلاحظ ما يلى:

١- إنها تقول: (و الله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال) و هذا يمثل محاوله منها للتشكيك بإنصاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) و عدله .. بل هى تريد الإيحاء بأنه (صلى الله عليه وآله) قاس و ظالم، و لا ينطلق فى ممارساته من موازين العدل، و لا مما تقضى به الفطره، و يحكم به العقل، لأنه يأخذ على النساء ما لا يأخذه على الرجال .. مع أن الرجال

أقوى من النساء.

٢- ثم إنه لما قال (صلى الله عليه وآله): (ولا تقتلن أولادكن). قالت:

(ربينا هم صغارا، وقتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم).

فقد تضمن كلامها هذا: التلويح بثارتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والتصريح بأن النبي قاتل الأبناء والأحبه، حين كبروا.

و التشكيك في أن يكون محقا في قتله إياهم، حيث قالت: فأنت و هم أعلم.

و هل نسيت هند: أنها و زوجها، و أهلها، و عشيرتها كانوا باستمرارهم الذين يهاجمون رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و يسعون في محو ذكره، و إبطال أمره، و استئصال شأفته؟!

و هل نسيت هند: كبد الحمزه حين حاولت أن تأكلها، فلاكتها و لم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، حتى سميت بأكله الأكباد؟!

و أخيرا، فإننا نلاحظ: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد تجاهل هذه المرأة تجاهلا تاما، و لم يعلق على كلماتها بشيء، رغم أنها كانت جارحه له، حسبما أوضحناه.

و ذلك هو الخلق النبيل، و تلك هي سعة الصدر، و السماحة، و الصفح، و العفو عند المقدرة. و من أولى من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك كله؟

عمر في بيعه النساء:

و زعموا: أن عمر بن الخطاب كان يبيع النساء بأمره (صلى الله عليه وآله)

و آله، و يبلغهن عنه ..

و لا نجد حاجه لأمر كهذا، و لو احتاج النبي (صلى الله عليه و آله) إلى من يعينه فى بيعه النساء، فلما ذا لا يحتاج إلى مثل هذا المعين فى بيعه الرجال؟

فإنه لا فرق بين الجنسين من حيث كثره العدد، و لا فى أى شىء يوجب المعونه هنا، و الإستغناء عنها هناك. الصحيح من سيره النبي الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢٢ ٣٠٤ عمر فى بيعه النساء: ص : ٣٠٣

فلعل عمر قد حشر نفسه فى هذا الأمر، و حاول أن يعيد كلمات النبي (صلى الله عليه و آله) على مسامعهن، ليظهر لهن أن له موقعا، أو يوهم الناس أنه يقوم بعمل ما فى هذا الفتح العظيم، الذى لم نجد له فيه مكانا، و لا سمعنا له فيه صوتا، لا فى تحطيم الأصنام، و لا فى ملاحقه المطلوبين للعداله، الذين أهدر رسول الله (صلى الله عليه و آله) دمهم .. بل وجدناه فقط مع النساء كما يقولون.

و عمر رجل مغرم بالنساء بصوره غير عاديه، و قد ذكرنا فى موضع سابق من هذا الكتاب: أنه كان إذا أراد الحاجه تقول له زوجته: تذهب إلى بنات فلان تنظر إليهن (١).

و هو الذى يقول: إنه لم يبق فيه شىء من أمر الجاهليه، إلا أنه لا يبالي أى الناس نكح، و أيهم أنكح (٢).

و قصته مع عاتكه بنت زيد، التى كانت جميله، و مات زوجها فخطبها

١- راجع: المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٣٠٣ و مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٠٤ عن الطبرانى.

٢- طبقات ابن سعد (ط بيروت سنه ١٣٧٧ هـ) ج ٣ ص ٩٨٢.

عمر، فرفضته، فعقد لنفسه - بزعمه - ثم ذهب إليها فعار كها حتى وطأها أشهر من أن تذكر (١).

بيعه معاويه .. و إسلامه!!!

و كان من جمله من بايع النبي (صلى الله عليه و آله) معاويه.

فقد روى عنه قوله: لما كان عام الحديبيه وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي.

فقلت: إياك أن تخالف أباك، فيقطع عنك القوت.

فأسلمت، و أخفيت إسلامي.

فقال لي يوما أبو سفيان، و كأنه شعر بإسلامي: أخوك خير منك، و هو على ديني.

فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامي، و لقيته (صلى الله عليه و آله)، فرحب بي الخ .. (٢). ثم يستمر الحلبي في ذكر فضائل معاويه و مآثره ..

و نقول:

أولاً: إن هذا الحديث مروى عن معاويه نفسه، و هو غير مأمون على الروايه مطلقاً، فكيف إذا كان يحدث عن نفسه، و يريد أن يثبت لها فضيله، أو يدفع عنها رذيله؟

ثانياً: إن هذا الكلام غير صحيح، إذ إن معاويه لو كان قد أسلم قبل ذلك لم يصح أن يعتبره المسلمون من الطلقاء. و قد تقدمت طائفه من

١- طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٨ ص ١٩٤ و كنز العمال ج ١٣ ص ٦٣٣.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٩٤ و ٩٥.

النصوص التي تصرح بذلك، و هي مرويه عن: عمر بن الخطاب، و علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و ابن عباس، و المسور بن مخرمه، و سعه بن عريض، و صعصعه بن صوحان، و عبد الرحمن بن غنم .. فراجع ما قدمناه في فصل سابق، في فقره بعنوان: (اللقاء .. و الخلافه).

و الذي يبدو لنا: أن معاويه قد أراد أن يتخلص من وصمه العار هذه، فاخترع لنفسه هذا الحديث ..

ص: ٣٠٨

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

اشاره

لا هجره بعد الفتح:

قالوا: إن مكة شرفها الله تعالى كانت قبل الفتح دار حرب، و كانت الهجره منها واجبه إلى المدينه، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام، فانقطعت الهجره منها.

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكة: (لا هجره بعد الفتح، و لكن جهاد و نيه، و إذا استنفرتم فانفروا) (١).

و عن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشه مع عبيد بن عمير الليثي، و هى مجاوره بشير، فسألها عن الهجره، فقالت: (لا هجره اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله و رسوله، مخافه أن يفتن عنه.

فأما اليوم فقد أظهر الله تعالى الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث كان، و لكن جهاد و نيه) (٢).

البيعه على الجهاد:

و عن يعلى بن صفوان بن أميه قال: جئت بأبى يوم الفتح، فقلت: يا

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ عن البخارى، و مسلم.

٢- المصدر السابق.

رسول الله بايع أبى على الهجره.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (بل أبايه على الجهاد فقد انقضت الهجره) (١).

عن مجاهد مرسلًا، قال: جاء يعلى بن صفوان بن أميه بعد الفتح، فقال:

يا رسول الله، اجعل لأبى نصيبا فى الهجره.

فقال: (لا هجره بعد اليوم).

فأتى العباس، فقال: يا أبا الفضل، ألسنت قد عرفت بلائى؟

قال: بلى، و ما ذا؟

قال: أتيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأبى ليبيعه على الهجره فأبى، فقام العباس معه فى قيظ ما عليه رداء، فقال لرسول الله

(صلى الله عليه و آله): أتاك يعلى بأبيه لتبايعه على الهجره فلم تفعل.

فقال: (إنه لا هجره اليوم).

قال: أقسمت عليك يا رسول الله لتبايعه.

فمد رسول الله (صلى الله عليه و آله) يده فبايعه، فقال: (قد أبررت عمى و لا هجره) (٢).

و نقول:

إن لنا ههنا وقفات للتوضيح و البيان و هى التاليه:

١- قد ذكرنا حين الكلام حول هجره العباس و إسلامه:

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ عن أحمد، و النسائى

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦٠ و ٢٦١ عن ابن أبى أسامه.

أن الهجره باقيه ما دام هناك خوف على النفس من أعداء الله تعالى و أعداء أهل الإيمان، و قد صرح بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له، قرر فيها (عليه السلام): أن الهجره من أرض يضطهد فيها أهل الإيمان باقيه و قائمه.

و صرح أيضا (عليه السلام): بأن الهجره هى لمن عرف حجه الله فى الأرض، و ليست لأهل الضلال و الإنحراف، و من آمن ببعض الكتاب و كفر ببعض، و تعصب و كابر (١).

٢- إن الهجره التى نفاها رسول الله (صلى الله عليه و آله) هى الهجره من مكه بعد فتحها، و لم يرد نفى موضوع الهجره، و قد أوضح حديث عائشه المتقدم ذلك.

٣- إن الذين كانوا يأتون إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد الفتح، و يصرون أن يبائعوه على الهجره إنما كانوا يفعلون ذلك لأنهم عرفوا أن للهجره قيمه فى الإسلام، و أن للمهاجر مقاما منيفا، و موقعا رفيعا و شريفا. فأرادوا أن ينالوا شرفا ليس فيهم، و مقاما ليس لهم، فمنعوا من ذلك على لسان رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لذلك صاروا يوسطون الآخرين للحصول على ما منعوا منه، فلم تنفعهم الوساطات شيئا.

و لكن إذا كان أهل الحق و الصدق يواجهون فى بلد آخر ضغوطا و اضطهادا من أجل دينهم، ثم هاجروا فرارا بدينهم إلى بلد الإسلام،

١- راجع: خطبه رقم ١٨٧ فى نهج البلاغه، و البحار ج ٦٦ ص ٢٢٧ و الإيجاز و الإعجاز للثعالبي ص ٣٢.

و حيث يحميمهم النبي (صلى الله عليه و آله) أو الإمام (عليه السلام)، فإن لهم مقام المهاجر إلى الله و رسوله، و أجره، و شرفه، و عزته ..

إن ظهر النبي صلى الله عليه و آله على مكة آمن به:

عن ابن إسحاق السبيعي قال: قدم ذو الجوشن الكلابي على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال له: (ما يمنعك من الإسلام)؟.

قال: رأيت قومك كذبوك، و أخرجوك، و قاتلوك، فانظر، فإن ظهرت عليهم آمنت بك و اتبعتك، و إن ظهوروا عليك لم أتبعك.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله): (يا ذا الجوشن، لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم).

قال: فو الله إنى لبصريه (١)، إذ قدم علينا راكب من قبل مكة، فقلنا ما الخبر؟

قال: ظهر محمد على أهل مكة. فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله (صلى الله عليه و آله).

قلت: و أسلم بعد ذلك، و روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) (٢).

و قال الحسن البصرى: (لما فتح رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة، قالت العرب: أما ظفر محمد بأهل الحرم، و قد أجارهم الله من أصحاب

١- ضريه: اسم مكان. قريه فى طريق مكة، من البصره من نجد (معجم البلدان).

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٦١ عن ابن سعد، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ٤ ص ٦٨ و المصنف لابن أبى شيبه ج ١٤ ص ٣٧٥ و الطبقات لابن سعد ج ٦ ص ٣١.

الفيل، فليس لكم به يد. فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا، بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا، و اثنين. فصارت القبيله تدخل بأسرها في الإسلام) (١).

و نقول:

إن لنا الحق في أن نسجل بعض الملاحظات، التي نوجزها كما يلي:

إسلام العرب:

١- إن ما تقدم يوضح لنا حقيقة هامه هي: أن إسلام العرب لم يكن عن قناعه، و إنما لأنه لم يعد لهم بمحمد يد. أى أنهم كانوا يتوقعون أن تتمكن قريش من التغلب عليه، و إذ بها قد عجزت عن ذلك. فجاءهم ما لا قبل لهم به، فاضطروا إلى إظهار الإسلام.

٢- و من الواضح: أن المقصود بالعرب هو: قسم منهم، و لعلمهم الأعراب الذين حكى الله عنهم هذا المعنى، فقال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ .. (٢).

و إلا فقد كان في العرب طوائف كبيره دخلت في الإسلام طوعا، قبل فتح مكه، و حيث لم يكن هناك ما يدعو إلى الخوف منه، بل لأنهم وجدوا في الإسلام ضالتهم، و ما بهر عقولهم، و ما من شأنه أن يحل مشاكلهم.

٣- و في حديث ذى الجوشن الكلابى دلالة ظاهره على موقع القوه التي تصنع النصر في تفكير ذلك الرجل، و اعتبارها هي المعيار. و إليها

١- البحار ج ٢١ ص ٩٩ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٤.

٢- الآية ١٤ من سوره الحجرات.

يستند القرار بالإيمان والكفر، مع أن القوه الماديه قد تتوفر للحق وأهله، وقد لا تتوفر لهم، بل تكون لدى أهل الباطل. فالقوه لا تستطيع أن تعطى الإنسان أية فرصه لتمييز الحق من الباطل، كيف وقد قتل الأقوياء أنبياء الله وأوصيائهم، واعتدوا على الضعفاء، وعلى النساء والصبيان وقتلوهم؟

٤- إنه (صلى الله عليه وآله) قد قدم لدى الجوشن دليلا على صحه نبوته، تمثل فى إخباره الغيبى القريب عن ظهوره وانتصاره على أهل مكة، فقال له (صلى الله عليه وآله): (لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم).

هذا عدا عن أنه قد رأى كما رأى غيره معجزات وكرامات كثيره له (صلى الله عليه وآله) لا تبقى أمام عقله أى فرصه للتهرب من الاعتراف بنبوته ..

أذان بلال فوق الكعبه:

و عن ابن عباس، و رواه عن بعض أهل العلم، و عن عروه، و عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن ابن أبى مليكه، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما حان وقت الظهر أمر بلالا أن يؤذن بالظهر يومئذ فوق الكعبه، ليغيظ بذلك المشركين، و قريش فوق رؤوس الجبال، و قد فرّ جماعه من وجوههم و تغيّبوا.

(قال الواقدي: خوفا أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان، و منهم من قد أومن).

و أبو سفيان بن حرب، و عتاب- و لفظ ابن أبى شيبه: خالد بن أسيد،

و الحارث بن هشام- جلوس بفناء الكعبه.

فقال عتاب- أو خالد- بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه.

و قال الحارث: أما و الله، لو أعلم أنه محق لا تبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا.

و قال بعض بنى سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبه.

و قال الحكم بن أبي العاص: هذا و الله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بنى جمح على بنيه أبي طلحه.

و قال الحارث بن هشام: إن يكن الله تعالى يكرهه فسيغيره.

و فى روايه: أن سهيل بن عمرو قال مثل قول الحارث.

فأتى جبريل رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقال: (قد علمت الذى قلت).

فقال الحارث و عتاب: نشهد إنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك (١).

و فى روايه: أن الحارث بن هشام قال: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!

١- دلائل النبوه للبيهقى ج ٥ ص ٧٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ عن أى يعلى، و ابن هشام، و البيهقى عن ابن إسحاق، و ابن أبى شيبه، و الأزرقى و الواقدى، و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠١ و ١٠٢ و راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٨٤٦ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨.

ولا- مانع من وجود الأمرين منه، أى و تقدم فى عمره القضاء وقوع مثل ذلك من جماعه لما أذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبه أيضا.

أى و قال غير هؤلاء من كفار قريش: لقد أكرم الله فلانا- يعنى أباه- إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبه.

إلى أن قال: فخرج عليهم النبى (صلى الله عليه و آله)، فقال لهم: لقد علمت الذى قلتكم.

ثم ذكر ذلك لهم، فقال: أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا.

فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا، فضحك رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فقالوا: نشهد أنك رسول الله، و الله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك (١).

.. و صار بعض قريش يستهزئون و يحكون صوت بلال غيظا، و كان من جملتهم أبو محذوره، و كان من أحسنهم صوتا، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأمر به، فمثل بين يديه، و هو يظن أنه مقتول.

فمسح رسول الله (صلى الله عليه و آله) ناصيته و صدره بيده الشريفه، قال: فامتأ قلبى و الله إيماننا و يقينا، فعلمت أنه رسول الله.

فألقي عليه (صلى الله عليه و آله) الأذان، و علمه إياه، و أمره أن يؤذن

لأهل مكة، و كان سنة ست عشرة سنة، و عقبه بعده يتوارثون الأذان بمكة.

و تقدم: أن أذان أبي محذوره و تعليمه الأذان كان مرجعه (صلى الله عليه و آله) من حنين، و تقدم طلب تأمل الجمع بينهما (١).

و عند الراوندى: أنه (صلى الله عليه و آله) أمر بلالا عند وقت صلاة الظهر، فصعد على الكعبة، فقال عكرمه: أكره أن أسمع صوت أبي رباح ينهق على الكعبة.

و حمد خالد بن أسيد الله على أن أبا عتاب توفى و لم ير ذلك.

و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو نطقت لظننت أن هذه الجدر ستخبر به محمدا.

فبعث إليهم النبي (صلى الله عليه و آله)، فأتى بهم، فقال عتاب: نستغفر الله و نتوب إليه، قد و الله يا رسول الله قلنا، فأسلم و حسن إسلامه، فولاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة (٢).

و فى نص آخر: أنه لما بلغ بلال: (أشهد أن محمدا رسول الله) قالت جويرية بنت أبي جهل: قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلى، و الله لا نحب من قتل الأحبه أبدا. و لقد كان جاء أبى بالذى جاء به محمدا من النبوه فردها، و لم يرد خلاف قومه (٣).

قالوا أيضا: دخل النبي (صلى الله عليه و آله) مكة، و كان وقت الظهر،

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٢.

٢- البحار ج ٢١ ص ١١٨ و ١١٩ و ١٣٣ عن الخرائج و الجرائح، و عن إعلام الورى.

٣- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٤٦ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٢ عن تاريخ الأزرقي.

فأمر بلالا فصعد على ظهر الكعبة فأذن، فما بقى صنم بمكة إلا سقط على وجهه، فلما سمع وجوه قريش الأذان قال بعضهم فى نفسه: الدخول فى بطن الأرض خير من سماع هذا.

وقال آخر: الحمد لله الذى لم يعش والدى إلى هذا اليوم.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله): (يا فلان قد قلت فى نفسك كذا و يا فلان قلت فى نفسك كذا).

فقال أبو سفيان: أنت تعلم أنى لم أقل شيئا.

فقال (صلى الله عليه و آله): (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) (١).

و نقول:

قد تكلمنا حول هذه النصوص فى عمره القضاء، و أكثرها بعمره القضاء أنسب، و لسياقها أقرب. و إنما أوردناها هنا مجاراه لكتاب السير.

و سوف لا نعلق عليها ههنا بشىء، بل نكتفى بما ذكرناه هناك، و نقتصر هنا على الإشارة التالىة:

و قد ذكر النص المتقدم، و تقدم أيضا عن مصادر عديده: أن النبى (صلى الله عليه و آله) دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر (٢).

فإذا كان الوقت ظهرا، و كان على (عليه السلام) فى هذا الوقت على ظهر الكعبة، فمن أولى منه بالأذان على ظهرها، أو ما هى الحاجه لإصعاد بلال على ظهر الكعبة من جديد، من أجل الأذان!؟

١- البحار ج ٢١ ص ١١٩ عن الخرائج و الجرائح.

٢- راجع ما ذكرناه تحت عنوان: إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبة.

و لذلك نقول: إنه قد روى يزيد بن قعنب، عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد علي (عليه السلام) في جوف الكعبة، و أرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمه سميه عليا، فهو علي ..

إلى أن قال عن علي (عليه السلام): (و هو الذي يكسر الأصنام، و هو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي الخ ..) (١).

فالذي أذن فوق ظهر الكعبة حين دخول النبي (صلى الله عليه و آله) إليها، هو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

و لكن ذلك لا يمنع من أن يكون بلال قد أذن في المسجد الحرام، أو علي ظهر الكعبة في سائر الأوقات، فأغاظ المشركين.

النبي صلى الله عليه و آله لا يعود إلى مكة:

عن أبي هريره: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما فرغ من طوافه، أتى الصفا فعلا منه حتى يرى البيت، فرفع يديه، و جعل يحمد الله تعالى و يذكره، و يدعو ما شاء الله أن يدعو. و الأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض:

أما الرجل فأدر كته رغبه في قريته، و رأفه بعشيرته.

قال أبو هريره: و جاء الوحي، و كان إذا جاء لم يخف علينا: فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى يقضى، فلما قضى الوحي، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (يا معشر الأنصار).

قالوا: لبيك يا رسول الله.

١- إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٧ عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.

قال: (قلتم: أما الرجل فأدر كته رغبه في قريته، و رأفه في عشيرته).

قالوا: قد قلنا ذلك يا رسول الله.

قال: (فما أسمى إذن!! كلا، إني عبد الله و رسوله، هاجرت إلى الله و إليكم، المحيا محياكم، و الممات مماتكم).

فأقبلوا إليه يبكون، يقولون: و الله يا رسول الله، ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله و برسوله.

فقال رسول الله: (فإن الله و رسوله يعذرانكم و يصدقانكم) (١).

و نقول:

إن الأنصار حين قالوا، أو قال بعضهم: أدركته رغبه في قريته، و رأفه في عشيرته، قد جروا على مقتضيات الطبع البشرى الإنسانى، الذى يختزن الحنين إلى الأوطان، و الرحمه، و الرأفه بذوى الأرحام، و قد غفلوا عن أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد صنعه الله تعالى على عينه، و أصبح فانيا فى الطاعه و العبوديه له تعالى، يرى ما يرى، و يرضيه ما يرضيه، و يغضبه ما يغضبه، و لا يريد إلا ما يريد.

و هو أيضا رسوله الذى جاءهم بالهدى و دين الحق، الذى لا يحابى قومه على حساب دينه و عقيدته، و لا يحن إلى شىء إلا إذا كان فى ذلك الحنين رضا الله و طاعته.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٦ عن الطيالسى، و ابن أبى شيبه، و مسلم، و أحمد. و أشار فى هامشه إلى: مسلم ٣/١٤٠٧ فى الجهاد و السير باب فتح مكه ٨٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٥ ص ٥٦ و معانى الآثار ج ٣ ص ٣٢٥. و راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩.

و هو حين هاجر، إنما هاجر إلى الله، و الله أحب إليه من عشيرته، و ذوى رحمه، و بلده ..

و لتكن هذه العناصر الثلاثة: عبوديته لله تعالى، و رسوليته الهاديه إلى طريق الحق و الخير، و هجرته إلى الله تعالى، هى الأدله القاطعه، و البراهين الساطعه على أنه لا- يرغب إلا بأن يكون مع الله، و فى دار هجرته إليه، لا فى بلده، و لا مع قومه، و لا يتخذ عشيرته و ذوى رحمه بطانه من دون المؤمنين ..

بل المؤمنون هم أهله، و عشيرته، دون الناس كلهم.

إذن يخزيك الله:

عن أبى إسحاق السبيعي، عن ابن عباس قالاً: رأى أبو سفيان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يمشى و الناس يطأون عقبه، فقال بينه و بين نفسه:

لو عاودت هذا الرجل القتال، و جمعت له جمعاً؟

فجاء رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى ضرب بيده فى صدره، فقال: (إذن يخزيك الله).

فقال: أتوب إلى الله تعالى، و أستغفر الله مما تفوهت به، ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة، إنى كنت لأحدث نفسى بذلك (١).

عن سعيد بن المسيب قال: لما دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مكة ليله الفتح، لم يزالوا فى تكبير و تهليل، و طواف بالبيت حتى أصبحوا،

١- تهذيب تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٤٠٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٤ ص ١٠٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٦ عن ابن سعد، و عن الحاكم فى الإكليل، و عن البيهقى.

فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من الله؟

قالت: نعم، هذا من الله.

قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قلت لهند: أترين هذا من الله؟!

قالت: نعم هذا من الله.

فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله عز وجل و هند (١).

عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو سفيان جالس في المسجد، فقال أبو سفيان: ما أدري بما يغلبنا محمد؟

فأتاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضرب صدره وقال: (بالله تعالى نغلبك).

فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله (٢).

و عن ابن عباس قال: لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا سفيان بن حرب في الطواف، فقال: (يا أبا سفيان، هل كان بينك وبين هند كذا وكذا)؟

فقال أبو سفيان: فشت على هند سرى، لأفعلن بها ولأفعلن.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٦ و ١٤٧ عن الذهلي في كتابه: جمع حديث الزهري.

٢- معانى الآثار ج ٤ ص ٣١٤ و راجع: السيره الحلبيه ج ٣ ص ١٠٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٧ عن ابن سعد، و الحارث بن أبى أسامه، و ابن عساكر، و الضعفاء للعقيلي ج ١ ص ٢٢٦ و ج ٣ ص ٥٧ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٤٠٦ و لسان الميزان ج ٤ ص ١٧٨.

فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) من طوافه لحق بأبى سفيان فقال: (يا أبا سفيان، لا تكلم هنداً، فإنها لم تفش من سر ك شيئاً).

فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله (صلى الله عليه و آله) (١).

مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان:

١- إن من يراجع حياه أبى سفيان يخرج بحقيقه مفادها: أن هذا الرجل بما تصدى له من أعمال، و فيما كان له من ممارسات قد عاين الكثير الكثير من دلائل النبوه الظاهره، و معجزاتها القاهره، و آياتها الباهره.

و لكنه كان يصبر على رفضها، و يتعمد تجاهلها، و يسير فى طريق اللجاج، و المكابره، و العناد، و الجحود للحق، و السعى لطمسه، و مواصله الحرب مع أهله ..

و الذى ذكر فى الروايات آنفا ما هو إلا رشحه يسيره من تلك الدلالات، و العبر و العظات.

و هذا يؤكد لنا حقيقه هامه، و هى:

أن هذا الصلف و العناد للحق يدعونا إلى تصديق تلك الطائفه من النصوص المختلفه و الكثيره، التى تؤكد: أنه لم يغير نهجه، و أنه لم يسلم، و إنما استسلم، و لما يدخل الإيمان فى قلبه، و أنه لم يزل كهفناً لأهل النفاق، و أنه كان يحلف: أنه ما من جنه و لا نار، و إنما هو الملك و الدنيا (٢).

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٧ عن العقيلي، و ابن عساكر.

٢- راجع: ترجمه أبى سفيان فى الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه)، و فى قاموس الرجال، و غير ذلك.

٢- أما قول أبي سفيان: (ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة) فمعناه: أنه كان إلى تلك اللحظة يتخذ سبيل النفاق، وأنه لم يكن قد أسلم قبل ذلك، رغم نطقه بالشهادتين في مَرَّ الظهران قبل دخول النبي (صلى الله عليه وآله) مكة ..

فإذا جاء بعد النطق بالشهادتين ما دل على ما يوجب الحكم بخروجه من الدين، فلا شىء يمكن أن يثبت عودته إلى الإسلام بصوره يقينيه، و يبقى الأمر رهنا بما يصدر عنه من دلالات و شواهد تؤيد هذا الإحتمال، أو ذاك.

فإن بلغ الأمر إلى درجه اليقين بعودته إلى الإسلام، فذلك هو المطلوب، و إلا، فإن مجرد الاحتمالات لا تفيد شيئاً في إثبات إسلامه.

٣- إن ما حدث به أبو سفيان نفسه من الرغبة بالعودة إلى قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما جاء على سبيل الحسد للنبي (صلى الله عليه وآله)، لما رآه من عزته (صلى الله عليه وآله) و عظمته، و خضوع الناس لأمره و نهيه، و سعيهم للتقرب إليه، و لم يعرض لأبى سفيان ما يزيل هذا الحسد من نفسه.

و لعل ما كان يراه من مزيد شوكته، و تأكيد عظمته من شأنه: أن يزيد من تأجج نار الحسد في قلبه، و يلهب صدره حنقا و غيظا، و يملأ قلبه حقدًا و بغضا.

الم. غلبت الروم:

و بعد .. فلا شك في أن فتح مكة كان من أعظم النعم التي حبا الله بها

نبيه و أوليائه، إذ بذلك سقط الشرك و انتهى أمره، و خضدت شوكته فى الجزيره العربيه كلها، و أفسح المجال لدخول الناس فى الإسلام أفواجا.

و فرح المسلمون بنصر الله تبارك و تعالى أعظم الفرح. و كان ذلك فى السنه التى غلبت الروم على فارس .. و ظهر مصداق قوله تعالى: **الْمُغْلِبَاتِ الرُّومِ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَ عِدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعِدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (١).**

و قد جاءت هذه البشاره فى أوائل الهجره حيث كانت فارس قد غلبت الروم. فبشر الله فى هذه الآيات بفتح مكه و بنصر الله لهم على الشرك منذئذ.

و ذلك لأن معظم الناس سوف يقبلون على هذا الدين، و يحتاجون إلى الإيمان به و بالنبوه إلى المعجزه الميسوره و الواضحه، التى لا تحتاج إلى فكر و دراسه و تأمل، و لا تحتمل التأويل، و لا يمكن ألقاء الشبهه فيها ..

و أكثرهم يعيش البساطه، و لا- يملك من العلم و الفكر، ما يمكنه من أدراك حقائق القرآن العالیه، أو ما يجعله يتفاعل مع الإستدلالات العلميه المعمقه. و هم لا- يعرفون شيئاً عن مصطلحات الفلاسفه، و أساليب استدلالهم، فجاء هذا الإخبار الغيبى ليسهل عليهم هذا الإيمان، و ليرسخه فى نفوسهم، و يعمقه فى وجدانهم، و ضميرهم. و هو من مفردات الرحمه الآلهيه لهم.

و أما ادعاء أن المقصود بالآية فرح المسلمين بنصر الروم لأنهم أهل كتاب على المشركين لأنهم مجوس، فهو غير مقبول .. فإن المجوس أهل كتاب أيضا، وإن كانوا قد ضيعوه كما ورد في بعض الروايات (١).

١- الكافي ج ٣ ص ٥٦٧ السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٨٨ و الأملی للصدوق ص ٤٢٤ و التفسير الصافي ج ٢ ص ٣٣٤ و تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٠٢ و ج ٣ ص ٤٧٥ و تفسير الميزان ج ٩ ص ٢٥٣ و راجع: الخلاف ج ٥ ص ٥٤٢ و المبسوط ج ٢ ص ٣٧ الوسائل (آل البيت) ج ٢٠ ص ٣٦٥ و تذكره الفقهاء (ط. ج) ج ٩ ص ٢٧٩ و مصادر ذلك كثره اقتصرنا على ذكر بعضها.

ص: ٣٢٨

الفهارس

اشاره

١- الفهرس الإجمالي ٢- الفهرس التفصيلي

١- الفهرس الإجمالي

الباب الثاني: فتح مكة الفصل الأول: هكذا تحرك من مر الظهران ٧- ٥٤

الفصل الثاني: دخول مكة ٥٥- ٨٠

الفصل الثالث: القتال في مكة ٨١- ١٢٤

الفصل الرابع: منزل الرسول صَلَّى الله عليه وآله و جوار أم هاني ١٢٥- ١٥٦

الفصل الخامس: ما جرى لأبي قحافه ١٥٧- ١٧٨

الفصل السادس: طواف النبي صَلَّى الله عليه وآله و تحطيم الأصنام ١٧٩- ٢١٨

الفصل السابع: النبي صَلَّى الله عليه وآله في داخل الكعبه ٢١٩- ٢٤٤

الفصل الثامن: الخطبه الأولى في مكة ٢٤٥- ٢٧٤

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه في مكة ٢٧٥- ٣٠٦

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات ٣٠٧- ٣٢٦

الفهارس ٣٢٧- ٣٤٠

٢- الفهرس التفصلى

الباب الثانى: فتح مكه الفصل الأول: هكذا تحرك من مرّ الظهران الإعلان بالأمان: ٩

هل هذا تشرف لأبى سفان؟! : ١٢

إستجداء بعد الإستغناء: ١٣

حفظ حرم الله تبارك و تعالى: ١٣

وضوء و صلاه أبى سفان: ١٤

الدعاه الجدد إلى الإسلام: ١٤

أبو سفان يرصد كتائب الفتح: ١٥

كتائب الإسلام إلى مكه: ١٧

العباس هو المشير أم أبو بكر؟! : ٢٨

أهداف حضور العرض: ٢٩

أبو سفان يصر على أن ما يراه (ملك): ٣٠

أغدر يا بنى هاشم؟! : ٣٠

العهده و العدد: ٣٢

كتائب أم قبائل: ٣٢

من هؤلاء: ٣٤

ص: ٣٣٢

خالد .. غلام!!: ٣٤

اللواء و الرايه: ٣٦

الرايات السود: ٣٧

لقد عزّ عمر بعد قله و ذله: ٣٨

أبو سفيان يصر على موقفه: ٣٩

و لكنه أمر حتم: ٣٩

بنو بكر أهل شؤم: ٤٣

موقف النبي صَلَّى الله عليه و آله من كلام سعد: ٤٤

يوم المرحمه و يوم عزّ قريش: ٤٥

أخذ الرايه من سعد: ٤٦

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكه: ٤٧

على عليه السلام صاحب اللواء: ٤٨

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش: ٤٩

أبو سفيان يقبل غرز رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: ٥١

تأثير المرأة على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله!!: ٥٢

إيحاءات لا تجدى شيئا: ٥٢

أسلم بنا: ٥٤

الفصل الثاني: دخول مكه أدوار مخترعه للعباس رحمه الله: ٥٧

خوف النبي صَلَّى الله عليه و آله على العباس: ٥٩

سهم العباس في عكاظ .. أكذوبه أخرى: ٦٢

كيف دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ؟! : ٦٥

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ : ٧١

الفتح جائزه المذنب: ٧٢

العيش عيش الآخرة: ٧٣

تواضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَخَشَعَهُ لِرَبِّهِ : ٧٤

رايه الزبير: ٧٦

الأمر لسعد، و الرايه لقيس: ٧٧

النساء يلطمن وجوه الخيل: ٧٨

كيفيه الدخول و الخروج من مكة: ٧٨

الفصل الثالث: القتال في مكة خالد يقاتل في مكة!! : ٨٣

من الخندمه إلى البحر: ٩١

أوقف الطلب: ٩٣

كفوا السلاح إلا خزاعه: ٩٣

احصدوهم حصدا: ٩٥

المهاجرون يظنون أن خالدًا قوتل: ٩٦

خالد لا يعصى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ٩٦

كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد: ٩٧

قضاء الله خير: ٩٧

لم يسب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لقريش ذريه: ٩٨

أردت أمرا، و أراد الله غيره: ١٠٢

نهى أن يقتل من خزاعه أحد: ١٠٣

شعار النبي صَلَّى الله عليه و آله في فتح مكة: ١٠٤

فتحت مكة عنوه لا صلحا: ١٠٩

إستدلالات و تأويلات: ١١١

الشهداء من المسلمين: ١١٥

لا غنائم في يوم الفتح: ١١٦

قريش لا تقتل صبيرا و لا تغزى: ١١٨

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء: ١٢٠

هذا ما وعدني ربي: ١٢١

الفصل الرابع: منزل الرسول صَلَّى الله عليه و آله و جوار أم هاني أين نزل النبي صَلَّى الله عليه و آله في مكة؟! ١٢٧

هذا منزلنا يا جابر: ١٢٩

الحكمه في اختيار موضع النزول: ١٣٠

النبي صَلَّى الله عليه و آله يصل الماضي بالحاضر: ١٣١

أين نزل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله؟! ١٣٢

إرث عقيل لأبي طالب دون علي و جعفر: ١٣٢

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صَلَّى الله عليه و آله: ١٣٥

لا ينزل النبي صَلَّى الله عليه و آله بيوت مكة: ١٣٥

النبي صَلَّى الله عليه و آله لا يدخل دور مكة: ١٣٦

تكریم النبی صلی اللہ علیہ و آلہ لام ہانی: ۱۳۹

ص: ٣٣٥

على عليه السلام و أم هانى: ١٤٠

الأمان .. و الجوار: ١٤٥

من الذين آوتهم أم هانى!?: ١٤٧

لقاء على عليه السلام بأم هانى: ١٤٨

خوف الجبناء: ١٤٩

لم تصرح أم هانى بما تطلب: ١٤٩

موقف الزهراء عليها السلام من أم هانى: ١٥٠

أم هانى لا تجير على رسول الله صلى الله عليه و آله: ١٥٠

ما مثلك يجهل الإسلام: ١٥١

خوف المشركين من عمر: ١٥٢

رنه إبليس .. و حديث نائله و ..: ١٥٢

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافة إسلام أبى قحافة: ١٥٩

الحديثان الأخيران: ١٦٣

أبو بكر يريد طوق أخته: ١٦٥

أربعة أسلموا هم و آباؤهم: ١٦٦

إسلام أبوى أبى بكر: ١٦٧

آيات فى بر أبى بكر بأبويه: ١٦٨

أبو بكر يضرب أباه: ١٧٢

أسلم تسلم: ١٧٤

الأمانه اليوم قليل: ١٧٥

إسلام أبي طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه: ١٧٦

أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام: ١٧٦

الفصل السادس: طواف النبى صَلَّى الله عليه وآله و تحطيم الأصنام طواف النبى صَلَّى الله عليه وآله بالبيت: ١٨١

تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام: ١٨٢

إحالات على ما سبق: ١٨٥

ألف: المسلمون يتدرون وضوء رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ١٨٥

ب: ما رأينا ولا سمعنا ملكا بلغ هذا: ١٨٦

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ١٨٦

د: المشركون فوق الجبال ينظرون: ١٨٦

تأسى عمر برسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ١٨٧

استلام الركن بالمحجن: ١٩٠

استلم الحجر ثم ركب راحلته: ١٩١

محاولة اغتيال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ١٩٢

أين كان مقام إبراهيم عليه السلام؟! : ١٩٤

لقد كدت تركز إليهم: ١٩٥

صنم لكل قبيله، و حى، و بيت!! : ٢٠٢

كف حصى يرمى به الرسول صَلَّى الله عليه وآله: ٢٠٣

على عليه السلام يكسر أصنام الكعبه: ٢٠٥

على عليه السلام يكسر الأصنام: ٢٠٨

تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح: ٢١٠

لماذا التعرض للأصنام سرا؟! ٢١١

على عليه السلام ينوء بثقل النبوه: ٢١٢

هل خيل إلى على عليه السلام؟! ٢١٤

تعمل للحق، و أحمل للحق: ٢١٤

لماذا لم يباشر النبي صَلَّى الله عليه و آله تحطيم الأصنام؟! ٢١٥

لو نزع دلوا من زمزم: ٢١٦

النداء بتكسير الأصنام في البيوت: ٢١٧

عكرمه يكسر الأصنام: ٢١٨

الفصل السابع: النبي صَلَّى الله عليه و آله في داخل الكعبه مفتاح الكعبه مع النبي صَلَّى الله عليه و آله: ٢٢١

مفتاح الكعبه أخذ قهرا: ٢٢٣

إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبه: ٢٢٥

صلاه النبي صَلَّى الله عليه و آله داخل الكعبه و خارجها: ٢٢٩

النبي صَلَّى الله عليه و آله لم يدخل الكعبه إلا يوم الفتح: ٢٣١

إزاله الصور من داخل الكعبه: ٢٣٢

التكبير في زوايا الكعبه: ٢٣٥

صلاه النبي صَلَّى الله عليه و آله في داخل الكعبه: ٢٣٥

سؤال .. و جوابه: ٢٣٧

أبو بكر و عمر لم يدخلوا الكعبه: ٢٣٧

هذا تأويل رؤياى: ٢٣٩

عثمان بن طلحه فى فتح مكه: ٢٤١

آيه: أداء الأمانات إلى أهلها: ٢٤٢

لمن هذا التهديد؟! ٢٤٢

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه خطبه الرسول صلى الله عليه و آله فى مكه: ٢٤٧

نص آخر للخطبه: ٢٥٢

وقفات مع الخطبه الشريفه: ٢٥٤

عتقهم دليل فتح مكه عنوه: ٢٥٤

الطلاق .. و الخلافه: ٢٥٥

تعظيم بيت الله: ٢٥٧

كلكم لآدم، و آدم من تراب: ٢٥٨

السلاح فى مكه فى عام الفيل و يوم الفتح: ٢٥٩

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكتها!!: ٢٦١

الإعلان الأول: التوحيد: ٢٦٢

لك بها دار فى الجنه: ٢٦٢

صدق وعده، و نصر عبده: ٢٦٥

إلا الإذخر: ٢٦٦

اجتهاد الرسول صلى الله عليه و آله: ٢٦٩

كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر: ٢٧٢

ص: ٣٣٩

التبرك بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ٢٧٤

الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعه في مكة مفتاح الكعبة مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ٢٧٧

مفتاح الكعبة لبني شيبه: ٢٧٨

السقايه: ٢٨٤

توضيح أكرهت و آذيت: ٢٨٤

أعطيتكم ما ترزؤون: ٢٨٥

الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات: ٢٨٦

على عليه السلام لا يطلب الحجاب: ٢٨٧

طريقه جمع فاشله: ٢٨٨

السدانه و السقايه مردودتان إلى أهليهما: ٢٨٩

أعطينا النبوه و السقايه و الحجاب: ٢٩٠

البيعه في فتح مكة: ٢٩١

ما الذي أضحك عمر بن الخطاب؟!: ٢٩٥

أو تزني الحره؟!: ٢٩٧

إسلام هند بعد أبي سفيان بليته: ٢٩٩

إني لا أصافح النساء: ٢٩٩

جرأه هند: ٣٠٢

عمر في بيعه النساء: ٣٠٣

بيعه معاويه .. و إسلامه!!: ٣٠٥

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات لا هجره بعد الفتح: ٣٠٩

البيعه على الجهاد: ٣٠٩

إن ظهر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَكَّة آمِنَ بِهِ: ٣١٢

إسلام العرب: ٣١٣

أذان بلال فوق الكعبة: ٣١٤

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَعُودُ إِلَى مَكَّة: ٣١٩

إذن يخزيك الله: ٣٢١

مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان: ٣٢٣

الم، غلبت الروم: ٣٢٤

الفهارس:

١- الفهرس الإجمالي ٣٢٩

٢- الفهرس التفصيلي ٣٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

